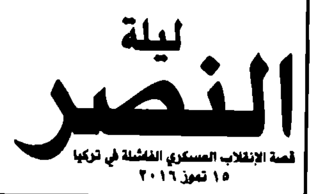


ليلة النصر

قصة الإنقلاب العسكري الفاشلة في تركيا
١٥ تموز ٢٠١٦

محي الدين قندور




ليلة
النصر
قصة الإنقلاب العسكري الفاشلة في تركيا
١٥ تموز ٢٠١٦

ليلة النصر... قصة الإنقلاب العسكري الفاشلة في تركيا 15 تموز 2016 / رواية
محي الدين قندور / مؤلّف مقيم في بريطانيا
الطبعة الأولى، 2018



المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
المصيطبة - شارع ميشال أبي شهلا - متفرع من جسر سليم سلام
مفرق الجامعة اللبنانية الدولية LIU - بناية النجوم - مقابل أبراج بيروت
ص.ب.: 11/5460 الرمز البريدي 1107-2190
تلفاكس: 707892 1 00961 - 707891 1 00961
بيروت - لبنان
E-mail: mkpublishing@terra.net.lb
موقع الدار الألكترونيّ: www.airpbooks.com

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب.9157، عمّان، 11191 الأردنّ،
هاتف: 5605432 6 00962، هاتفاكس: 4631229 6 00962
E-mail : info@airpbooks.com

ترجمة: محمد أزوقة
تصميم الغلاف: محمود وزني / الأردنّ
الصفّ الضوئيّ: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر/ بيروت، لبنان
التنفيذ الطباعيّ : ديمو برس / بيروت، لبنان

رواية
NOVEL

محي الدين قندور





محي الدين قندور تفرغ للكتابة عام ١٩٩٠ بعد نجاح نشر ثلاثيته التاريخية الأولى «القفقاس» ، وقد كتب منذ ذلك الحين أكثر من ثلاثين رواية ، كلها مبنية على أبحاث دقيقة متعمقة . هو مؤرخ (دكتوراه) ولكنه مثل أستاذه جيمس ميتشنر ، اختار قاعدة القصة ليروي بواسطتها تواريخ مواضيع بحثه . لقد ترجمت كتبه إلى لغات عديدة وتتمتع بانتشار واسع ، خاصة في الوسط الرقمي . يمكن إيجاد لائحة كاملة عن آخر أعماله في مكتبات بارنز آند نوبل Barns & Noble (الولايات المتحدة) والأمازون Amazon.com ومستودعات الكتب الأخرى ، وشبكات التواصل على الانترنت على مدى العالم .

الفصل الأول

وقفت عضو مجلس الشيوخ تراقب الشاشة عاقدة ذراعيها . ووقف مساعداها الرئيسيان على بعد خطوة خلفها ، يحملان ملفات فوق لوحة كتابة بأيديهما . وقف ستيف وظهره إلى الحائط ، على مسافة سبع أقدام بالضبط إلى يمين باب غرفة الفندق .

فندق هيلتون إستنبول هو أحد الفنادق الفخمة في السلسلة شباك الغرفة المغطى بستارة شبكية على المسافة نفسها إلى يمينه . السرير ذو الحجم الملوكي أمام كل ذلك ، مكتملاً بالشراشف القرمزية المقلوبة ، ولم ينم عليها أحد بعد .

هي غرفة واسعة ، ولكنها ليست هائلة بأية مقاييس . لم تكن السناتور تريد أية عناوين صحفية تنتقد ذوقها المسرف . كان ستيف قد مشى عبر المساحة الواسعة التي تشبه غرفة الجلوس خارجها ، وأحصى ثلاث غرف نوم أخرى ، الأرجح أنها أصغر حجماً ، متفرعة عنها . سيحتل جهاز حماية السناتور إحداها ، ثم مركز قيادة مزود بكاميرات أمنية ذات بث حي مباشر ، ويحتل مساعداها الأخرى .

تفحص ستيف الشابين . هواة سياسة . يتمتع الأول بكتفين عريضتين وما زال يحمل عضلات بارزة إلى حد ما ، يحتمل أنه لعب في المركز الثاني ، أو الأكثر احتمالاً في الثالث بكرة القدم الجامعية ، لكنه بات واضحاً أن نمط حياة واشنطن قد بدأ يؤثر فيه بسرعة ، رغم

أنه ما زال في منتصف عشرينات عمره . فقد بدأت كتفاه تسترخيان ، ومعدته ترغم جذعه أن تقع فوق نفسها مثل بيت قديم متداع . وهذا نتيجة كل تلك الوجبات المكتبية التي يجبر الشخص على المساهمة فيها حتى يتشارك في المعلومات ويبحث الإمكانيات في العاصمة ، هكذا فكر ستيف أن هاوي السياسة ذكي إلى حد معقول ، وقادر على إطاعة الأوامر وتنفيذها حتى يصل إلى فريق السناتور ، وحتى إلى داخل الغرفة ، لكن صديقه هو الذي ظهر بدور الفتى الخارق البراعة بدون نظارات طبية وتسريحة شعر متموجة حسب طراز التسعينيات ، بدا هاوي السياسة رقم اثنين مثل نمط الشباب الذين قرروا دراسة القانون ، بعد قراءة كتاب أن تقتل الطائر الساخر ، والسياسة بعد تخمة مشاهدة حلقات كثيرة من مسلسل الجناح الغربي .

عاود ستيف الالتفات إلى رئيستهم . أدرك أن السناتور ليست ممن يمكن التعامل معهن باستخفاف ، برغم المظاهر على العكس ، فهي رئيسة لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ . تفحصها من فوق إلى تحت بينما كان الخبر يروى على التلفزيون ، وأصوات المذيعين على ارتفاع معتدل . كان قد رأى الرجال الظاهرين على الشاشة من قبل . لكنه لم يكن قد شاهد السناتور عن قرب من قبل . هي ما زالت فتية ، عند نهاية ثلاثينيات عمرها - أجرى ستيف قراءته عنها في ذلك الصباح ، وهو إجراء عادي بعد أن تلقى المكالمة ، وهكذا فقد أصبح الآن على دراية بالتفاصيل المعروفة عن حياتها الشخصية ، بالإضافة إلى العامة . هي وزوجها متزوجان منذ قرابة خمسة عشر عاماً ، مع أنهما كانا متحابين منذ سنتهما الأولى في جامعة هارفارد . التقيا من خلال الجمعيات الجامعية المحترمة والمتميزة المعروفة . بينما تابعت هي

الأعمال الخيرية والعمل لدى المنظمات غير الحكومية بعد تخرجها، إلا أن زوجها استعمل أموال العائلة ليستثمر في مشاريع البرمجيات المؤسسة حديثاً، خاصة التطبيقات بشكل رئيس، وهكذا أصبح الرجل الأكثر ثراءً في سلالتيهما الغنيتين أصلاً

عندما شعرت السناتور أنها طورت ما يكفي من الصورة العامة من خلال قضاياها المتنوعة، وأصبح زوجها قادراً على ائتمان الأعمال اليومية لاستثمارات زوجته في أيدي مساعدين مأجورين، باشرت عملها باتجاه سيرة سياسية. بحيث حققت الإنجاز المثير للإعجاب لجعل نفسها مرغوبة لدى الجماهير، بينما أيضاً تسمح للشركات الكبيرة في منطقتها الانتخابية أن تعمل بسلاسة ولا تؤثر على مصالح أي شخص مهم. عندما تبنت المبادرات الخضراء، حصلت الشركات التي تم إقناعها بالتوقيع على مبالغ ضخمة من خزائن الحكومة، على تحويل أملاكهم بحيث تمت تغطية أكلاف تحولهم، ولم تكن لدى الأكثرية الغالبة من أولئك الذين يسددون فاتورة التكاليف، أي فكرة، جاءت شركات جديدة إلى الولاية ومنحت سياسات توفير المزيد من الوظائف.

كل ما رآه الناس العاديون هو الحبيبة الأمريكية التي تصنع المستقبل الأفضل لأطفالهم.

أعجب ستيف بجرأة التصرف حد الوقاحة، لكن ظل سؤال واحد يزعجه، فهو لم يكن قد قابل زوجها أبداً، فلماذا حدث أن دخلت هي معترك السياسة وليس زوجها؟ ثم أيضاً، عندما نظر إلى ساقيها الطويلتين من الخلف، مع الجوارب السوداء والكعب العالي، وذراعيها المعقودين على الخصر النحيل، أدرك حتماً من هو الذي يفضل مقابلته

من بين الزوجين هذا الصباح . استدار هاوي السياسة الغبي لينظر إليه . لابد وأنه بسبب ارتدائه بذلة ثمنها ألف دولار وحذاء بخمسمئة دولار ، اعتقد أن سترة ستيف وقميصه وحذائه الجبلي هي ملابس ساكن الكهوف .

في الواقع ، فإن ستيف كان متأكداً من أنه مستمر في ارتداء القميص نفسه منذ ثلاثة أيام حتى الآن . كان يشعر فيه بالراحة . التلذذ . قابل تحديق الهاوي السياسي وانتظر حتى يستدير عنه قبل أن يعدل نظارته الطبية ويعاود النظر إلى التلفاز

ضغط السياسي على زر التحكم عن بعد لجهاز ال DVD وأخذ الجميع يراقبون .

ظهر على الشاشة خمسة رجال ، جالسين على مسرح أمام شاشة علاقة تبث صورهم للجمهور المباشر الذي يصغي إلى مناظرتهم . في أقصى اليمين جلس الصحافي في جريدة نيويورك تايمز داڤيد أغناطيوس ، بينما جلس إلى يساره مباشرة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ، إلى جانبه كان رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق شمعون بيريس . أكمل الخماسي الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون ، ورئيس مجلس إدارة الجامعة العربية عمرو موسى كانوا يتحدثون في جلسة خاصة لمؤتمر قمة داڤوس في سويسرا

كانوا على وشك الوصول إلى قمة المشهد ، وهو السبب الذي من أجله تم استدعاء ستيف .

كان بيريس يتحدث ، كما فعل في أغلب أوقات الجلسة ، ويشير بإصبعه باتجاه أردوغان بطريقة معممة . أصغى هو والرجال الآخرون إلى ترجمة ما يقوله بيريس عبر السماعات .

قال الإسرائيلي «ماذا ستفعل أي دولة؟ ماذا ستفعل أنت» - عاد إلى التأشير نحو أردوغان «إذا سقطت الصواريخ على إستنبول كل ليلة؟ ليست غزة عدوتنا . ليس الناس الموجودون في غزة أعداءنا . نحن نعيد الحياة إلى غزة ، ولكن بدون دكتاتوريين . إن هدفنا هو إحلال السلام وليس الحرب»

أنهى كلامه ليتلقى كمية وافرة من التصفيق ، وقبل أن تتاح الفرصة لأي من المتحدثين الآخرين للرد ، بدأ أغناطيوس ، بوصفة الرئيس ، يختتم الجلسة

«لقد كانت هذه مناظرة قوية ومفعمة بالشغف» كان أغناطيوس يجلس متكئاً إلى الأمام ، ويضم يديه إلى بعضهما «ويمكن أن يستمر لساعات ، ولكننا فعلاً تجاوزنا وقتنا و . . .»

التفت أغناطيوس متفاجئاً حينما وضع أردوغان يده على ذراعه ورفع إصبعه قال «اسمح لي»

«أشكرك ، حضرة رئيس الوزراء» وضع أغناطيوس يده فوق يد أردوغان ، لم يكن أي من الرجلين عدائياً ، ولكن كلاهما يسعى لتوكيد رأيه «ولكننا حقيقة يجب أن . . .»

«دقيقة واحدة» قال أردوغان .

«كنت مستعداً لأعتذر لرئيس الوزراء» قال أغناطيوس «ولكننا فعلاً مضطرون الى . . .»

«كلا» قالها أردوغان بحزم «دقيقة واحدة . دقيقة واحدة رجاءً»

«حسناً» قال أغناطيوس «فقط دقيقة واحدة»

بعد أن اقتنع ، بدأ أردوغان يزيل السماعات عن رأسه واستدار عائداً إلى بيريز وبدأ بقوله «يا سيد بيريز ، أنت أكبر مني سناً ، لكن

حجم صوتك مرتفع جداً . أنا أعرف أن هذا سببه الشعور بالذنب . لن يكون صوتي على تلك الدرجة من العلو . أعرف هذا . عندما يحين وقت القتل ، أنت تعرف كيف تقتل بشكل جيد . أعرف جيداً كيف تقتل الأطفال على الشواطئ ، كيف تطلق النار عليهم . أذكر رئيسي وزراء سابقين من بلدك قالا إنهما كانا سعيدين جداً عندما تمكنا من دخول فلسطين فوق دبابة» .

استدار أردوغان نحو الحضور المؤثرين ذوي المستوى العالي ، وبيريز يصغي بتركيز . في قمة دافوس . «كذلك أنا أدين أولئك الذين يصفقون لهذه القسوة من بينكم ، لأن التصفيق لأولئك الذين يقتلون الأطفال هو جريمة ضد الإنسانية . نحن هنا لا يسعنا أن نتجاهل الحقيقة»

ران على القاعة صمت مطبق الآن . رفع أردوغان مجموعة من الملاحظات عن الطاولة الصغيرة إلى جانبه

«لقد دونت مجموعة ملاحظات هنا – »

ظهر وكأن فعل التقاط الملاحظات قد أيقظ أغناطيوس من ذهوله فعاد إلى رفع ذراعه :

«يا حضرة رئيس الوزراء ، نحن لا نستطيع أن نعاود النقاش –»

استدار أردوغان إليه بحدة «لا تقاطعني !»

استند أغناطيوس إلى الوراء . جرب وسيلة مختلفة «مع كل الاعتذارات ، ولكننا فعلياً مضطرون إلى اصطحاب الناس إلى العشاء . . .»

تجاهله أردوغان ، ممسكاً بصفحاته في إحدى يديه ومشيراً نحو الحضور بالأخرى .

«سأقول شيئين . تقول الوصية السادسة (أنت لن تقتل) . توجد

جرائم قتل هنا . يقول جلعاد أتزمون إن البربرية الإسرائيلية أسوأ من القسوة . هو يهودي . يقول آفي شلايم ، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة أكسفورد ، والذي أدى خدمته في الجيش الإسرائيلي ، في جريدة الغارديان . . .»

عاد أغناطيوس إلى التدخل ، بينما جلس بيريز عاقداً يديه على صدره ، يصغي

«أرجوك يا حضرة رئيس الوزراء»

أنهى أردوغان كلامه بقوله «لقد تحولت إسرائيل إلى دولة عصابات»

«أشكرك حضرة رئيس الوزراء ، لكنني أطلب منك أن تراعي مضيفنا» عاد أغناطيوس إلى محاولة إنهاء الأمور .

«أنا بدوري أشكرك» قال أردوغان وهو يهم بالنهوض عن مقعده . بقيت السماعات نشيطة لذلك استمر المترجم في الكلام فوق الإذاعة «لقد انتهت دافوس بالنسبة إليّ الآن . ينبغي أن تعرفوا جميعاً أنني لن آتي إلى دافوس مرة أخرى»

بدأ أغناطيوس يضحك بعصبية

«أنت لن تسمح لنا بالتكلم» أخذ صوت أردوغان يرتفع «لقد سمحت له بالتكلم لمدة خمس وعشرين دقيقة وأنا لاثنتي عشرة دقيقة لا سبيل» ، استدار وسار مغادراً المسرح ، ولم يتوقف إلا ليصافح عمرو موسى أثناء خروجه . بدأ الاحتفال يتفكك ، حيث بدأ الناس ينهضون عن كراسيهم ويتوجهون نحو المخارج .

عوداً إلى غرفة السناتور ، رفع الغبي جهاز التحكم عن بعد وأطفأ التلفاز وجهاز الـDVD .

انتظر ستيف أن يطرحوا سؤالهم .

استدارت السناتور وواجهته ، عاقدة ذراعيها جسمها تحت البذلة هو جسد عارضة أزياء سباحة . قرأ ستيف سلفاً أنها تنهض قبل الخامسة صباح كل يوم لتذهب إلى صالة الرياضة . أصبح ذلك المجهود واضحاً ، لكنه بات يتساءل عما إذا كان سيضايقها علمها بأنها لا يمكن أن تؤثر عليه بسلطتها وجمالها . لم يكن الأمر مرده إلى عدم اهتمامه بالنساء . فالأمر بعيد عن ذلك ، لكن عدم اهتمامه ينبع من حقيقة وصوله إلى أوائل أربعينيات عمره ، وأنه يعمل لدى جهاز الاستخبارات لأكثر من خمسة عشر عاماً . خلال ذلك الوقت ، أوصلته اتصالاته إلى حيث قامت نساء أجمل بكثير مما اعتقده ممكناً بالرقص ، في العادة بملابس ضئيلة أو حتى بدونها ، عاريات أو شبه عاريات ، وقد عرضت عليه عجائب ما كان هذان الموظفان يقدران على أكثر من الحلم بها . نتيجة ذلك ، لم تعد مغازلة سناتور اتحادي تحمل له الكثير من الإغراء . أدرك أنها قادرة على استقراء ذلك من النظر في وجهه

سألته «هل مارست تركيا الإرهاب في ذلك الوقت؟»

حك ستيف لحيته ، مسدّها فوق خديه ثم نظر إلى التلفاز

«لقد راقبت الحدث كما فعلت أنا» أوقف نفسه عن نفض كتفيه

سحبت نفساً عميقاً ، رفعت ذقنها حتى أصبحت تنظر إليه من الأعلى ؛ لأن كعب حذائها العالي منحها بوصة من الطول عنه «هل كان هناك أي شيء آخر؟»

«هل تقصدين ما إذا كانوا قد تناولوا وجبة العشاء؟»

زم الرجلان عينيهما باتجاهه

«اسمعي ، لا أعتقد أنك بحاجة إلى أن أسهب في تحليل ما حدث للتو بأكثر مما يجب»

دس ستيف يديه في جيبيه «لقد كان الوضع واضحاً حتى يراه الجميع»

«لدي مانحون أصيبوا بالجنون على هذا الوضع القائم في تركيا إنهم يقولون إننا يجب أن نفعل شيئاً ما»

«لقد كان ذلك إخفاقاً في نقاش تمت إدارته بطريقة سيئة . أمين عام الأمم المتحدة ، رئيس مجلس إدارة الجامعة العربية ، ورئيس وزراء تركيا على المسرح مع رئيس وزراء إسرائيلي سابق؟» رفع ستيف كفيه مفتوحين «ليس ذلك رباعي صالون حلاقة . من هو الذي يتمتع بعقل سليم وبرمج هذا النقاش لمدة خمس وأربعين دقيقة فقط؟ هؤلاء الأشخاص قادرون على الاستمرار لساعات ، وقد كانت إهانة موجهة لهم جميعاً أن يتم التعامل معهم مثل أنشودة في ساعة الغداء . أصبح محتماً أن تتأذى مشاعر البعض»

«ليس ذلك هو ما يهمني» التفتت السناتور إلى طاولة الكتابة ، فسحب هاوي السياسة رقم اثنين الكرسي لأجلها . جلست ووضعت ساقاً فوق الأخرى ، وهي مستمرة في التحديق بعيني ستيف طيلة الوقت .

«هل لدينا خطط جاهزة؟»

«هذا صحيح . الخطط هي نفسها كما كانت على الدوام بالنسبة لتركيا ، ولكن لم تطرأ حاجة لاستعمالها حتى الآن»

«حتى الآن» قال الغبي

تظاهر ستيف وكأن الغبي لم يتكلم «إن تركيا عضو في حلف شمال الأطلسي»

«وهذا سبب إضافي بأن لا - « أشارت السناتور إلى التلفاز «يتم السماح بهذا . ذلك هو سبب وجودنا هنا في إستنبول . هل هذا الحادث يجعل الخطط أسهل أم أصعب؟»

«من الصعب التكهن» فكر ستيف للحظة «لقد كانت تركيا تسير في طريق واحدة لمدة طويلة» .

«وماذا عن الآن؟»

«يبدو الآن أنها تسير في طريق آخر» . قال ستيف «هذا أمر لا يمكن إنكاره» .

«إذاً؟»

«إذا أصدرت الأمر ، وأنا أفترض أنك حائزة على الإذن بالمضي فيه ، فهناك موارد موضوعة في مكانها من أجل المسألة»

«من قبل الناتو؟»

احتفظ ستيف بصبره رغم أن تفاهتها قد بدأت تغيظه . أصبح بحاجة إلى كأس من الجعة

اكتفى بالقول «الأفضل عدم القول»

استندت إلى الوراء «وأنا لا أريد أن أعرف» .

«إذاً لماذا سألت؟» استدار ليغادر «ولكنك لن تعرفي» عاود الاستدارة عند الباب وطأطأ برأسه في أدب «سيدتي»

الفصل الثاني

«مطار أتاتورك . الساعة العاشرة . القاعة الدولية . إنه قادم من دبي ، ولكن دبي كانت مجرد محطة لتغيير الطائرة ، لذلك سيكون مرهقاً» .

«وما الذي تريد مني أن أفعله؟»

«يا آيلا ، لقد أخبرتك لتوي . قابليه في العاشرة ، ضعيه في سيارة أجرة وتأكدي من وصوله إلى الفندق . أخبري الاستقبال أن ينظموا له مكالمة إيقاظ في السادسة والنصف في غرفته ، ويرتبوا وجود سيارة أجرة لتأخذه إلى المكتب في الثامنة إلا ربعاً . أخبريه أن يحجز سيارة الأجرة أثناء وجودك هناك - لا تعتمدي عليهم لأن يخابروا في الصباح»

«بارس -» مررت آيلا يدها على شعرها وأعادت وضع الهاتف على أذنها «لقد أصبحت في البيت . أنا لا أرتدي ملابس لائقة بالعمل» .

«ليس هذا عملاً يا آيلا . إنها عملية مجاملة . اذهبي كما أنت تماماً . لن يمانع إذا كنت ترتدين ملابس عادية . هل يستطيع أورهان أن يوصلك بسيارته؟»

نظرت إلى وجهها المغسول في المرآة وعبست .

استدارت مبتعدة عن المرآة «إنه في عمله» .

«أوه»

«سيعود في الغد . اسمع ، سوف أفعلها -»

«عظيم ! يا لك من منقذة للحياة . اركبي سيارة أجرة واحتفظي بالإيصال . سوف يتولى جيزيم مسألة تسديد نفقاتك»

«سأراك في الغد يا بارس»

«باي!»

وضعت آيلا الهاتف على الطاولة ومسحت الشقة بعينيها الأضواء خافتة ، طبق السلطة نصف المأكول الذي أجبرت نفسها على تحضيره ما زال قابعاً على طاولة القهوة أمام الكنبة الطويلة . الكتاب الذي وعدت نفسها بالمباشرة في قراءته في وقت أبكر من الأمسية وعلبة الـDVD إلى جواره . بمجرد أنها وحدها هذه الليلة لا يعني عدم وجود ما تفعله لديها . هل يستطيع أورهان أن يوصلك بسيارته؟

يعرف بارس أن أورهان غائب هذا الأسبوع . سيتاح لهم يوم غد سوية قبل أن يعاود السفر يوم الجمعة . يزعجها مقدار ما يعرفه زملاؤها في العمل عن حياتها ، على الرغم من أن آيلا لا تعتبر نفسها شخصاً منعزلاً بشكل طبيعي . فهي تحب أن تكون حجرات حياتها حائزة على قليل من الفصل بينها . لمجرد أن طاولة عملها ملاصقة لطاولة شافاك لا يعني أنها بحاجة لمعرفة أحوال والدي شافاك ، أو العكس

لا يهم

نظرت إلى ساعة يدها ثم وزعت نظرتها على الغرفة . لديها ساعتان أو ربما أكثر قبل أن تضطر إلى المغادرة . إذا كانت الطائرة ستصل في العاشرة فربما تكون لديها مهلة من نصف ساعة بعد ذلك قبل أن يمر السيد ستوريوهان من الجمارك ويتناول حقيبته

ومع ذلك ، فقد تدمرت أمسيتها . رجعت إلى داخل مطبخها الصغير وبدأت تحضر القهوة . ستشكل هذه والتلفاز مادتي إشغالها

للساعتين القادمتين . استعادت هاتفها أثناء انتظارها غليان الماء .

ديميت

هل من أخبار؟

جاءت إشارة الصح لتشير إلى أن الرسالة النصية قد تم إيصالها ثم إشارة أخرى لتشير إلى أنه تمت قراءتها تحت النص ، وراقبت بدء صعود البخار أثناء كتابة ديميت لردها

لا شيء . لا أعتقد أنني سأدخل

تبع النص ثلاثة وجوه ايموجي حزينة . استخدمت آيلا إبهاميها بينما الماء يغلي ، لكتابة ردها

هراء ! لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك بوجود سيرتك الذاتية !

جاءت رنة جواب ديميت بينما آيلا تملأ فنجانها

آمل ذلك . . . . شكراً

مشت عائدة إلى الكنبة الطويلة حاملة فنجان القهوة بيدها وتناولت أداة الريموت . بينما التلفاز يرسل في الخلفية ، عاودت كتابة نص

تفحصي بريدك في الصباح . ستكون هناك !

ستكون هذه ليلة طويلة بالنسبة لكليهما

***

وصلت آيلا إلى المطار وعبرت خلال الأبواب المزدوجة قبل العاشرة بثلاث دقائق بالضبط . تصرف سائق سيارة الأجرة بما يكفي من اللباقة لأن يلتزم الصمت طيلة الرحلة ، فكانت تشعر بالامتنان لذلك على الأقل كانت ترتدي بنطالاً مريحاً من النوع الذي يتمدد ، باللون الكحلي ، يتوسع فوق أحذية الجري وفوقه سترتها الكحلية ذات

غطاء الرأس ، لازمها شعور غريب بأنها ذاهبة إلى صالة الرياضة عوضاً عن المطار . القاعة واسعة موحشة وتكاد تخلو من الناس في معظم الأرجاء لحظة دخولها ، مجرد بضع مجموعات من الناس في الزاوية البعيدة أمام نضد المراجعة والتدقيق ، والتي كان معظمها مغلقاً معتماً ارتعشت قليلاً مع تأثرها بتكييف الهواء بعد الجو المسائي الدافئ لشهر تموز في الخارج ، مشت حتى وصلت إلى لوحة معلومات وتفحصت نازلة بعينيها حتى وصلت إلى الرحلة القادمة من دبي

على الوقت

رفعت رأسها وتلفتت حولها باحثة عن بوابات الوصول . لم يكن هناك أي منها ، بالطبع

أنا في قاعة المغادرين

هي لا تحب السفر ولا تتقنه مطلقاً ، وهي تعتمد على أورهان في هذه الأيام ليقرأ لها اللوائح عندما يذهبان خارج المدينة مصادفة

متى كانت آخر مرة تواجدنا فيها سوية في المطار؟

جاهدت لتتذكر أثناء توجهها إلى الدرج الآلي الصاعد ، وأصبحت على وشك وضع رجلها على أول درجة ، لكن لفتت انتباهها الشارة التي تحمل صورة السكين والشوكة قرب الحاجز وجعلتها تتوقف .

تلك هي قاعة الطعام

أكملت مشيها . مجموعات الركاب المنتظرين للمرور عبر بوابات المغادرة في الطرف القصي من القاعة أكبر أعداداً في هذا القسم من القاعة ، لكنها مازالت على مسافة لابأس بها . هي تعلم أنه يوجد درج آلي يؤدي إلى قسم القادمين في مكان قريب .

هناك ساعة إلكترونية تعطي الوقت لأربع وعشرين ساعة معلقة

من السقف تقول الساعة العاشرة بالضبط . وصلت إلى درج آلي آخر ، وهذا هو النازل من قاعة الطعام في الأعلى ، واقتنعت أن الدرج الآلي التالي سوف يقودها إلى قاعة القادمين . حاولت أن تحلل كم من الوقت سيلزمها للوصول إلى القادمين ، ولم تكد تحرك رأسها حتى بدأ الناس يصيحون قرب بوابة المغادرة الكائنة إلى يمينها

بعد خطوتين ، وظهر كأن السقف أضاء وتشقق فوقها ، فقد انفجرت صاعقة في وسط القاعة تماماً . سقطت على ركبتيها . تعالى الصياح واكتسب المزيد من الحدة في هذه اللحظة . نظرت إلى الجهة المقابلة وشاهدت رجالاً يحملون أسلحة . ثبت لها أن الصواعق هي في الحقيقة طلقات نارية . هناك رجال بالأزياء الرسمية يردون بإطلاق النار على رجال آخرين يرتدون سترات سوداء وعلى ظهورهم حقائب . دفعت بنفسها لتنهض وركضت نحو أحد الأعمدة ، أي شيء لتختبئ خلفه . الناس يتراكضون بكل الاتجاهات .

خفضت رأسها وركعت وتكورت خلف العمود . كل طلقة تسبب لها رجفة . أحست وكأن الطلقات لا تنتهي . نظرت إلى يمينها ويسارها فرأت عائلات ، عمال المطار ، كلهم يحاولون الوصول إلى المخارج أخبرها جسمها بأن تنهض وتتحرك ، لكن دماغها لم يتمكن من إرسال الإشارات المناسبة إلى ساقيها . بعدها أصيبت بالعمى . أخبرها شيء ما ، مقالة في إحدى الصحف ، بأن الصدمة الارتجاجية التي تشعر بها هي نتيجة لقنبلة

للحظة قصيرة ، كانت هناك حرارة حارقة وكأنها قد وقفت أمام نار متأججة . لم تسمع انفجاراً عالياً . بدلاً من ذلك ، أحست بالصوت يخترقها ، مطلقاً أسنانها ومسبباً إحساساً بالموت في عظامها . انتشر

الغبار في الجو . رائحة أشبه بالبترول . بدا كل شيء غاطساً تحت الماء . نهضت وركضت بدون أن تبذل أي مجهود ، إلى يمينها أولاً ثم بطريقة غير متعمدة وسليقية ، أصلحت مسارها لتركض في الاتجاه الذي قامت منه

بقي آخرون يركضون مثلها ، لكنها ثبتت عينيها على الأبواب الآلية التي دخلت عبرها في المدى . لم تملك الشجاعة الكافية لتعيد النظر إلى بوابات المغادرين . استقر الخوف وسط معدتها ، مثل وجبة رهيبة مستحيلة على الهضم . أدركت أنها أصيبت بالصمم لأن الهواء لم يعد يندفع عبر أذنيها كما يفعل في العادة حينما تركض . شاهدت شخصاً بوجه مسود وملابس محترقة ، بدت وكأنها سقطت وسط حريق . ثم الأبواب . الهواء الدافئ النقي داخل أنفها . أحست بالثقل ينزاح عن صدرها

«اخرجوا ! اخرجوا ! لقد انفجرت قنبلة !»

انهمك سواقو سيارات الأجرة في إخراج الناس عبر الأبواب وهم ينظرون بقلق إلى المدخل بحثاً عن أي إشارة على وجود مهاجمين ، بينما انشغل آخرون في التأشير للقادمين الجدد بالابتعاد عن الأبواب والتراجع ، ويخبرونهم أن الأفضل هو التراجع والخروج إلى مواقف السيارات . مشت آيلا إلى وسط مجموعة كبيرة من الناس ، واقفين في وسط موقف السيارات الكائن خارج بوابات المطار . بدأت تسحب أنفاساً طويلة

أخبرها شيء ما لا تكاد تتذكره من حلقات التأمل بأن تنظر إلى قدميها حتى تشعر بأنها واقفة بثبات ، لكنها لم تستطع أن تفعل ذلك . تلفتت إلى وجوه الناس المحيطين بها ، ثم إلى الأضواء الحمراء المتقطعة

التابعة لصافرات الإنذار وسيارات الإسعاف القادمة عن بعد . كان الناس الواقفون عند المدخل يصرخون ، يحاولون العودة إلى الداخل ، يقولون إن أحباءهم مازالوا في الداخل هناك ، لكن جرى منعهم من قبل أولئك المتجمهرين حول الأبواب ، والذين لم يسمحوا لأي شخص بالمرور . أرادت أن تغادر ، أن تبتعد عن المكان . بدأت تمشي . عند أول خطوة لها ، تحولت سماء الليل إلى بياض وأضيء كل شيء كما لو أنه تم بفعل مفتاح إشعال كوني ، أطلقته هي .

سقط أناس بقربها على الأرض . اشتعلت كرة هائلة من اللهب في السماء خلفها فوق طابور السيارات المصطفة ، اشتعلت السيارات الأقرب إلى الانفجار واحترقت . قنبلة أخرى . لحظتها انفجرت خزانات وقود أول سيارتين ، ما تسبب في المزيد من الزعقات وصرخات الخوف . بدأ الحشد يركض ، فانضمت آيلا إلى تيارهم ، نزولاً في ممر موقف السيارات ، ثم في وسط الطريق . شاهدت فسحة بين سيارتين ، إحداهما للأجرة والأخرى سيارة ركاب بدون أرقام ، استدارت وركعت بينهما ، لينضم إليها رجل وامرأة من كل جانب . أثناء مرور الفارين من جانبيها ، دفعت بذقنها إلى صدرها وأكملت رجفتها ، تنتظر أن ينتهي كل هذا الجحيم .

الفصل الثالث

الشارع رمادي تحت ضوء الفجر رغم أن الساعة لم تتجاوز الرابعة صباحاً إلا بقليل ، حينما ظهر عبد الكريم ومشى بتثاقل صاعداً نحو المدخل . من وجهة نظره المشبعة بالخمر ، فالشارع مهجور ، فأخذ يدندن لحناً قديماً لنفسه وهو يقطع الياردات القليلة الأخيرة المؤدية إلى الدرجات حيث سينهار في فراشه

تراجع بضع خطوات حينما خطا ليڤانت خارجاً من المدخل فاتحاً ذراعيه على اتساعهما

«كريم ! هيه يا صديقي ! ما الذي تفعله؟»

انتقلت عينا كريم في الأنحاء ولكن لم يكن هناك أي شخص آخر في الجوار . زمَّ عينيه باتجاه ليڤانت .

«اخرج عن طريقي» .

اتجه جانباً ليتجاوزه ، لكن ليڤانت وقف في طريقه مرة أخرى ، يتصرف كأنه يريد أن يلتقي بصديقه القديم . خطا كريم إلى الوراء ، وقد بدأ نظره وذهنه يصفيان من كميات المخدرات الكثيرة التي لم يتوقف عن استهلاكها طيلة الأمسية

«كيف تعرف اسمي؟»

لم يتسن لليڤانت الوقت ليرد قبل أن تلمع السكين وتبدأ الصعود نحو وجهه في لحظة

خطا إلى الوراء بدون أن يفكر، ليخلق مسافة بينه وبين مهاجمه ثم أهوى بنعل قدمه اليمنى على ركبة كريم اليسرى، السلاح الأطول ضد الهدف الأقرب. تباطأت ردود فعل كريم نتيجة ليلته الطويلة فلم يبذل أي محاولة ليتحرك مبتعداً. أحسّ ليڤانت بطقة مرضية حينما تمددت الساق ثم انحنت إلى الوراء. صرخ كريم من الألم وتعثر ليقع إلى الوراء وتسقط السكين على الرصيف. كانت يدا ليڤانت قد سحبتا مسدسه لدى تراجع قدمه ووقوفها في وقفة إطلاق النار. سحب السلاح بكلتا يديه ووجهه نحو كريم المصاب.

«لا تتحرك». قال وهو يقترب ليركل السكين بقدمه بعيداً

بسبب تركيزه على كل من الرجل المصاب والسلاح المبعد، لم يشاهد الشكل الثالث يبرز من عبر الشارع ويركض باتجاههما. لم ينتبه إلى وجود شخص آخر قريباً منهما إلا عندما ظهرت يد، رفعت السكين وتجاوزته

«سليمان؟»

لم يلتفت المخبر عند ذكر اسمه، ذهب مباشرة إلى كريم المستلقي كلياً بسكون ودفع بنصل السكين بين أضلاعه، ليعيد سحبه ودفعه مرة أخرى.

«سليمان، لا!» صرخ ليڤانت ورفع المسدس، لكنه لم يستطع أن يطلق النار «توقف!»

استمر سليمان يطعن كريم المرة تلو الأخرى، حتى مزق القماش فوق جذع الرجل عديم الحظ ثم رفع السكين نحو رقبته حينما رفع كريم يديه في محاولة للدفاع عن نفسه

«لعنة الله على هذا!» خطا ليڤانت إلى الأمام وركل سليمان بقوة

ليحاول أن يجبره على التوقف ، متخوفاً أن يقوم سليمان بطعنه في لحظة جنونه . «قلت لك توقف !»

ضرب ليڤانت بقوة سليمان بين كتفيه بكعب مسدسه وقفز إلى الوراء ، وكما توقع ، استدار سليمان ليهاجمه . لم يرجع إليه تعقله سوى منظر فوهة مسدس ليڤانت موجهاً إلى وجهه مباشرة .

تأمل ليڤانت الجسد الممزق المذبوح لكريم الذي مات والرصيف الغارق في الدماء ثم أعاد النظر إلى سليمان ، الذي وصل الآن إلى حافة البكاء وانهمار الدموع ، بينما تتسلل نغمة نواح خفيضة من فمه المغلق .

سأله «ما الذي فعلته؟»

***

أدارت طبيبة آيلا عيادتها الخاصة لما يقارب الثلاثين سنة . حصل هذا على الرغم من بنية الدكتورة أوزلو المغرقة في الصغر ، وحقيقة أن شعرها الذي كان فيما مضى ذهبياً مخطط الآن بالرمادي . لم يظهر أن أياً من هذه العوامل قد أبطأها أو جعلها أقل صلابة خلال العقد الأخير أو أكثر كانت قد أعطت آيلا مطاعيمها وهي بعد طفلة ، ومازالت تعتني بكافة عوارضها الصحية ، بدءاً من نزلات البرد والإنفلونزا وصولاً إلى ما يبدو أنه عدم قدرة آيلا على الحمل .

تفحصتها المرأة بحركات سريعة وحاسمة وهي فوق طاولة الفحص ، وجاءت نبرة صوتها تحمل التوبيخ

«كان ينبغي عليك أن تتصلي بي في تلك الليلة بالذات ، أو على الأقل صباح اليوم التالي . من يعرف أنواع الضربات أو الصدمات التي يمكن أن تكوني تلقيتها على رأسك؟»

«لقد كان كادر المستشفى كفؤاً ومتعمقاً ، وبكل الأحوال ، فقد أرادت الشرطة أن تأخذ أقوالنا ، ولذلك بقينا هناك لساعات . كنت ستمضين الليلة بطولها هناك» .

«ذلك لا يحدث فرقاً . في المستقبل ، إذا علقت في مشكلة مثل تلك مرة أخرى ، اتصلي بي على الفور . يا إلهي . مجرد التفكير في الموضوع . لن أسمح بأن يقلق والدك حول ما إذا كنت تتلقين العناية المناسبة ، أكثر مما أقلق على أطفالي أنفسهم . يمكنك أن تنزلي الآن»

طوّحت آيلا بساقيها عن الطاولة «نعم يا دكتورة»

أخذت الدكتورة أورزلو تسحب قفازي اللاتيكس عن يديها

«يمكنني أن أخبرك بعدم وجود أية أضرار داخلية ، وأنك لن تتأثري بأي شكل ، فيما عدا قليل من الصدمة والألم في طبلتي أذنيك»

انهمكت آيلا في ارتداء بنطالها الجينز «حسناً»

«تناولي المزيد من الطعام الحلو للمشكلة الأولى وابتعدي عن الضجيج العالي للثانية»

«نعم يا دكتورة»

رفعت آيلا عينيها بينما مالت المرأة نحوها وحدقت في وسط عينيها ، عابسة ومركزة لتبحث عن تفاصيل دقيقة لا يعرف معظم الآخرين كيف يبحثون عنها

أعلنت الطبيبة «حسناً ، أنت تنامين على الأقل . ولذلك لا حاجة لأن أعطيك وصفة لذلك أيضاً . أنا لا أحب أن أعطي تلك الوصفات بكل الأحوال . المفتاح هناك هو المزيد من التمارين الرياضية . ارهقي نفسك بالعمل واللعب وسوف يعتني جسمك بالباقي .

ولكن بالطبع فإن الناس في هذه الأيام لا يرغبون في عمل ذلك ،

وهكذا يفضلون هم والأطباء صغار السن ، لاحظي ، أن يحصلوا على نومهم من زجاجة حبوب»

«نعم يا دكتورة»

«كيف هو زوجك؟»

«هو ليس زوجي بعد»

«صحيح ، حسناً ، كيف هو بكل الأحوال؟»

«أورهان بحال جيدة . إنه قلق بالطبع ، ولكنني قلت له إنني قلقت عليه بالطريقة نفسها التي يقلق بها علي الآن ، منذ أن التقيت به»

هزت الدكتورة أوزلو رأسها «أمر منطقي جداً . آمل أنه لم يكن لديه ما يقوله حول ذلك»

«كلا ، بل خرج واشترى بعض الزهور ثم عرض أن يطهو . وهو لم يطبخ أي شيء أكثر من إذابة بيتزا مجمدة طيلة حياته»

«يا إلهي لابد وأنه شديد القلق . كيف انتهى ذلك الموقف؟»

«تنازلنا وتراضينا وطلبنا طعاماً جاهزاً»

«حسناً - أكثر من الخضار - حتى على البيتزا . الكثير والكثير ثم اللحم الأحمر لا تكوني دلوعة . أنت بحاجة إلى الحديد»

«حاضر يا دكتورة»

«حسن جداً . فإذاً سأراك في الأسبوع القادم»

رفعت آيلا الكنزة فوق رأسها وأنزلتها حول رأسها ثم توقفت «هل تعتقدين يا دكتورة بوجود شيء على غير ما يرام عندي؟»

استدارت الدكتورة أوزلو ، ونظرت إليها بتدقيق . «على غير مايرام بالنسبة لك؟ ما الذي تعتقدين أنه غير صحيح بالنسبة لك؟»

«أقصد أنني لم آخذ أي علاج لإيقاف تكون الطفل لمدة ستة أشهر ، ولم يحدث شيء»

«وهل هذا يجعلك تفكرين بوجود مشكلة لديك؟»

«كلا ، أنا - في الحقيقة لا أعرف»

«كلا ، ليست لديك مشكلة . ولذلك سألتِ . استمعي إليّ يا عزيزتي . يمكن لهذه الأمور أن تستغرق الكثير من الوقت . لكل زوجين شابين يدخلان إلى هنا ويحدقان فيّ مصدومين ، لأنهما على وشك الحصول على قادم جديد ، هنالك ثلاثة أو أربعة أزواج مثلك ومثل أورهان لا يستطيعون أن يفهموا لماذا لم يحدث معهم أي شيء حتى الآن أقول لهم جميعاً الشيء نفسه - لا تقلقوا . ذلك أسوأ شيء يمكن أن تفعلوه أنا التي ستخبركم عندما تصبحون بحاجة إلى محاولة شيء ما وحتى ذلك الحين ، لا تدعوا الأمر يشغل بالكم . اتركوا الطبيعة تأخذ مجراها»

«سوف أخبر أورهان»

«افعلي ذلك . هل هو الذي يعتقد بوجود مشكلة لديك؟»

«كلا ، هو لم يقل أي شيء أبداً ، لكنني أعلم أنه يقلق حول المسألة»

أطرقت الطبيبه مفكرة «حسناً ، حاولي أن تخبريه بأن لا يقلق هو الآخر ، بدون أن تقولي له بأن لا يقلق مباشرة . هل تفهمين؟»

فكرت آيلا في هذه المقولة «أظن ذلك ، نعم يا دكتورة . أشكرك»

«وهل يمكنك أيضاً أن تقترحي عليه الزواج؟ لقد قضيتما ما يكفي من الوقت معاً . نحن في تركيا كما تعلمين ، ولسنا في بلد أوروبي متحرر اجتماعياً»

الفصل الرابع

قذف بالقدح الأول إلى مؤخرة حلقه ، ولكن الشعور بالحرقة الذي يفترض فيه أن يحسه كان غائباً جاء الثاني بالطريقة نفسها . وقف الساقي ، رجل ضخم عليه مظاهر القوة يرتدي قميصاً أسود بياقة مفتوحة ، حاملاً القنينة بيده وهو يراقبه ثم تقدم نحوه ليصب الثالث ، بسكبة مجانية ، بدون أن يزعج نفسه الآن بالمعيار الفولاذي لمثل هذا الزبون المحترم .

«ما الذي حدث في الخارج هناك؟»

لم يلتفت ليڤانت ، بل بقي يحدق أمامه ، وأبقى عينيه على انعكاس صورته في المرآة المعلقة في الجدار الخلفي للمشرب والكريستال المضاء لكل القناني الموجودة

«كان ينبغي علي أن أصطحب فريقاً»

«لا عليك . ما كنت ستتوقع . لو اصطحبت معك فريق دعم لكان كريم اكتشفه ، وكان ذلك سوف يتسبب في نهايته على الأقل لم يعد في الشوارع . حسناً هو ممدد على الشارع ولكن بجسمه فقط . فقد رحلت روحه العفنة»

بوراك هو الشخص الأول الذي خابره ليڤانت بعد أن جرد سليمان من سلاحه وأجلسه على عتبة بيت الداعرات . كان الدم يغطي وجه المخبر الذي جمدته الصدمة مثل قناع . حاولت ليڤانت أن لا ينظر

إليه . عندماً كان ليڤانت تحرياً صغير السن يعمل في الشارع ، عمل بوراك مرشداً له ، وظل الرجل الذي يساعده ويخرجه من المتاعب حينما يحتاج إلى الإنقاذ .

وصل بوراك إلى الزاوية ، والتي بقيت خالية ، بعد أقل من عشر دقائق ودحرج سليمان على الفور في مؤخرة سيارته . سجل دماغ ليڤانت احتمالية أن يتم استنتاج مستهجن حول احتفاظ بوراك بملاءات من البلاستيك في صندوق سيارته ، لكن دماغه كان يسجل ما بدا مثل مئة من التفاصيل في ثانية ، وكانت هذه الأقل أهمية بينهـــا

«سوف تصبح مضطراً إلى إحضار جماعتك إلى هنا» استمر بوراك يقول بينما يداه تمسدان البلاستيك حول زوايا مقعد السيارة . وظل سليمان يتمتم وهو على وشك فقدان الوعي .

«إنهم على طريقهم إلى هنا أصلاً » . قال ليڤانت .

«حسناً . أين هي السكين؟» انتصب بوراك في وقفته ونظر إليه

«في تلك الناحية» مال ليڤانت برأسه

نظر بوراك إلى السكين ، وهو يقيس مسافتها عن جثة كريم ، ويقلب الاحتمالات داخل دماغه «حسناً» ، قال أخيراً «سيكفي هذا إذا كنت تستطيع أن تقود ، اركب سيارتك واذهب إلى الحانة السرية ستكون قد خلت من الزبائن بحلول هذا الوقت . ادخل هناك وانتظر . سوف أحضر إليك بعد أن أنتهي من هذا . . .»

نفض إبهامه باتجاه سليمان «ليستريح»

هزَّ ليڤانت رأسه وعاد ماشياً نحو سيارته

في المشرب ، لم يكن هناك سوى كليهما والساقي ، مدَّ ليڤانت

قدحه باتجاه بوراك، لكن رفيقه نفض رأسه رافضاً «كيف هو الوضع هناك؟»

وضع بوراك يديه على السطح الرخامي ونظر إلى الجهة المقابلة من النضد. أشغل الساقي نفسه متعمداً

«الوضع تحت السيطرة. حضر زملاؤك وسيطروا على المشهد، ثم ابتعدوا وانتظروا حتى تطل جماعتي، وهكذا يعتقدون أنهم أول الناس هناك. لقد ذهبت المخابرة الرسمية إلى الـ MIT قبل حوالي خمس دقائق، والآن يحاول زملاؤك أن يخمنوا كم من الوقت المناسب يجب أن يمضي قبل أن يصلوا للمرة الثانية ويرتدوا وجوههم المصدومة»

هزَّ ليڤانت رأسه ثم جرع كأسه في ردة واحدة إلى حلقه. مدَّ القدح الفارغ باتجاه الساقي الذي تردد في البداية ثم تقدم بعد رؤية هزة رأس إيجابية من بوراك.

«يجب أن تذهب إلى بيتك وتحظى بقسط من النوم»

مسح ليڤانت أنفه بظاهر يده ثم هزَّ رأسه «نعم، نعم، أنت على حق»

مال بوراك نحوه وهمس في أذنه «أنت لم تتناول أي شيء آخر، صحيح؟»

نفض ليڤانت رأسه «أبداً»

عاود بوراك الوقوف مبتعداً «حسناً. من الصعب تحديد الحالة التي أنت فيها الآن»

«ربما يتحتم علي الذهاب إذاً، ما الذي تعتقده؟»

غير بوراك رأسه وأشار للساقي لكي يصب له قدحاً «تلك المادة لا تنفعك أبداً يا ليڤانت، وأنت تدرك ذلك. دعني أخبرك بما ترغب في

سماعه . لقد كنت سيء الحظ هذه الليلة . لقد تصرفت بالطريقة الصحيحة ولكن الرجل انهار . ليس هناك ما كان بوسعك أن تفعله بطريقة مختلفة ، فيما عدا إطلاق النار عليه هناك في الشارع وخلق فوضى أسوأ مما حصل . الأمر الذي لم تفعله . ولذلك ، صحيح ، لقد فقدت ميزة الياقة الكبيرة ، ولكنك نجوت لتقاتل في يوم آخر . لدى كل منا عدد كبير من الأصدقاء الذين لا يمكنهم أن يقولوا الشيء نفسه حالياً ، أليس ذلك صحيحاً؟»

تجرع ليڤانت الشراب «ذلك صحيح» .

«إذاً قم بالعمل الذكي . اذهب إلى البيت ، ابتلع حبتي منوم إذا اضطررت واتصل بي بعد ظهر هذا اليوم . بعدها اذهب وتحدث إلى رئيسك . سيعرف أين أنت موجود بكل الأحوال»

ذهب ليڤانت فعلاً إلى البيت وخابر رئيسه في العمل ، الذي أمره بأخذ بقية الأسبوع إجازة ، قائلاً له إن صوته يدل على أنه متعب . جلس على الأريكة في شقته ونظر إلى الجدار العاري ، وعندما هجره النوم بدأ يجوس في الشقة نظر إلى ساعة يده . ثم نزل إلى الطابق الأرضي ووجد البواب الذي أصر على أن يذهب ليشتري له ما يريد . أخبره ليڤانت بشيء من الاستسلام أنه يريد قارورة ويسكي الشعير المنقوع ، ونظر الرجل المسمى إلياس مستغرباً وسأله عما إذا كان يتوقع ضيوفاً ، لأنه لم يكن قد ذكر أي شيء .

«كلا يا إلياس» . هزَّ إلياس رأسه ، وهو صاحب خبرة ربع قرن في مقدمة البناية ، وانصرف متمهلاً نحو الدكان . تنهد ليڤانت واتكأ على النضد منتظراً . رن هاتفه

«أنت لست نائماً» قال باراك من الناحية الأخرى .

«كيف تعرف ذلك؟»

«لقد أجبت على المكالمة»

«حسناً ، أنا في فسحة الاستراحة»

«لا تقم بأي عمل غبي يا ليڤانت»

ظهر إلياس في تلك اللحظة بالذات ووضع قنينة الويسكي في يده .

«لن أفعل» .

«لقد كلمت المخفر المسؤول عن شارع كريم . يجري التعامل مع الحادثة على أنها جريمة قتل بسبب المخدرات . لا أكثر من ذلك . فقد قضى وقته في نادٍ ليلي معروف بالإجرام طيلة الليل . اعتبرت جريمة القتل إما عملية سرقة انتهت بطريقة خاطئة ، أو أنها خلاف بين العصابات . كيف سيتم التعامل مع ذلك بالنسبة لجماعتك؟»

«سوف يتعايشون معها» .

«لا يبدو وكأنك ستتعايش معها أنت»

«كما قلت يا بوراك ، الأفضل أنه تم إبعاده عن الشوارع»

بعد بضع ساعات واستهلاك معظم محتويات القنينة ، عاود ليڤانت الخروج ، يقود سيارته بسرعة ثم يوقفها ، خارج إمكانية رؤية مشهد الجريمة ثم المشي لبضع مئات من الياردات إلى المكان الذي قتل فيه كريم . كان الناس ووسائل الإعلام الذين تجمعوا في ذلك الصباح قد انصرفوا ، كما انصرف خبراء فريق البحث الجنائي والتحري

مجرد اثنين من رجال الدورية واقفين حول جزء من الرصيف محاط بشريط يمحو أية دلالة على حدوث أي شيء غير مرغوب فيه في الماضي القريب .

أبرز لهما بطاقة هويته وعبر عنهما، إلى الباب المفتوح وصاعداً الدرجات المؤدية إلى شقته فوق، الشقة نفسها التي راقبا بصحبة سليمان خروج كريم منها قبل يوم واحد بالضبط.

«اذهب من هنا!» جاء الجواب حين نقر على الباب، لذلك نقر مرة أخرى ثم مرر أصابعه بخفة عند الحافة، يتحسس كثافة الخشب. لم يكن الباب من النوع القوي كثيراً ما يركِّب الرجال الذين يديرون هاته الفتيات أقفالاً إضافية وغالات على الباب إذا كان هناك الكثير من المال في المكان، ولكن في معظم الحالات لم يكونوا يغامرون باحتمال أن تقفل فتياتهم الباب دونهم، ولذلك كانت الأبواب تترك على حالها أصبح شبه واثق أنها لن تكون مسلحة بأي سلاح غير علبة من رذاذ تثبيت الشعر

«يا آنسة» نادى عليها - عبر الباب «هذه قضية في منتهى الخطورة، وتتعلق بتهريب المخدرات على المستوى الدولي واحتمال وجود إرهاب. إذا لم تفتحي الباب، سيصبح من الضروري الاتصال بفرقة تقوم باستخدام كبش خشبي. هم قادرون على الوصول إلى هنا خلال أربع دقائق»

حين لم يحصل على أي جواب، اتخذ خطوة إلى الوراء وضرب بحذائه الباب في النقطة الكائنة تحت مقبض الباب مباشرة. طار الباب منفتحاً إلى الوراء ودخل هو كانت الفتاة واقفة في وسط غرفة جلوس مغرقة في الصغر، وقد ضمت يديها إلى قبضتين ورفعتهما نحو كتفيها في ذعر

«ولكنني لا أريد أن أنتظر كل تلك المدة»

كانت مرتدية ملابسها وكأنها على وشك الذهاب إلى العمل،

سواء كان هناك رجل ميت على عتبة باب بيتها أم لم يكن . تضع كمية مبالغاً فيها من المكياج ، وفستاناً أحمر من قطعة واحدة ، مغرقاً في الصغر ، مزوقاً بتنانين صينية باعثة على الضحك .

حذاء بلاتفورم يصل إلى ركبتيها لإكمال المنظر - الإطلالة شعرها مربوط إلى الأعلى على شكل كتلة مجدولة ، خلافاً لتسريحة الأمس . تفحصها ليڤانت بعناية من فوق إلى تحت ثم تجاوزها وتفقد غرفة النوم . تأكد من أنها رأت المسدس المعلق على ردفه . المكان كله عابق بعطر رخيص . نظر خلف الباب ثم تفقد المرحاض عاد أدراجه خارجاً كانت قد سيطرت على أعصابها . قالت له «هل تعرف من الذي يمتلك هذه الشقة؟ إنه يوري - »

«نعم أنا أعرف يوري» فتش في كومة من الرسائل والأوراق المتروكة على طاولة جانبية ، وأسقط بعض التماثيل الصغيرة أثناء عمله . التقط نظرة عينيها إذ سقطتا نحو الأرضية . بدت لوهلة حزينة

رفعت رأسها نحوه «سوف أتصل به !»

اندفع نحوها «نعم ، افعلي ذلك . هل يسمحون لك باقتناء هاتف أم أنك تريدين أن تستعملي هاتفي؟»

وضع يداً على مسدسه القابع في جرابه وأمسك بها بالأخرى حول كتفيها ، فتلها حتى أسقطها إلى الأرضية . وقعت على معدتها فوضع ركبته فوق ظهرها ، مستمتعاً بتدفق القوة من خلال جسمه أراد أن يتسبب بالإيذاء . أخرج بطاقة هويته ثم سحب رأسها إلى الوراء من شعرها حتى تراها بجلاء .

«افتحي عينيك !»

بات واثقاً إلى درجة معقولة من أنها لا تستطيع أن تقرأ ما تقوله

البطاقة ، لكن الصورة هي صورته وعليها الختم الحكومي الذي جعلها تبدو رسمية . ذلك يكفي

«نعم ، أنا واثق من أن يوري يريدك حقيقة أن تقحميه في المشكلة نفسها التي أنت واقعة فيها ، صح؟ ماذا تظنين؟ ماذا تعتقدين أنه يفعل بالبنات اللاتي يذكرن اسمه للشرطة؟»

«ماذا تريد؟»

«سوف تخبريني بكل ما تعرفينه عن كريم»

«لا أعرف أي شخص اسمه كريم ، لقد أبلغت الشرطة بذلك مسبقاً»

«بل تعرفينه . أراهن أيضاً أنك تعرفين ما فعله تفجيرات القنابل ، عمليات الاختطاف والتعذيب . أطفال ونساء ميتون . الآن ، إذا كذبت علي فسوف أبدأ بتكسير أصابعك»

سحب يدها بقوة إلى الوراء من عند خصرها ثم شد على الشاهد باتجاهه . زعقت من الألم .

«والآن أخبريني . منذ متى وكريم يجيء إلى هنا؟ أخبريني»

انهارت «منذ حوالي سنة ، ربما أكثر» . جاء صوتها عالياً ومحملاً بالألم «طيلة وجودي هنا»

«وكم صار لك من الوقت هنا؟»

«لا أدري ، أظن حوالي سنة»

«ولماذا جاء كريم إلى هنا؟»

«في المرة الأولى ، حضر بصحبة يوري . لقد جلبه يوري وصعد به إلى هنا ، ثم تركنا لوحدنا . لم يدفع لنا أي مال أبداً . وقال يوري إن بوسعه البقاء هنا كل الوقت الذي يريده»

خفف من ضغطه على إصبعها «ما الذي تحدثتما بشأنه؟»

«لم يكن يجب أن يتكلم»

عاود الضغط على الإصبع . زعقت «مرة أخرى وستضطرين إلى مزج مشروبات الكوكتيل بيد واحدة . والآن ، ما الذي تحدثتما عنه؟»

«لا شيء . هو فعلياً لم يكن يكثر من الكلام»

«وأنت لم ترغبي في الحديث أيضاً؟ رغم أنكما وحدكما في هذا المكان؟» سحب الإصبع درجة أخرى . أصبح بوسعه أن يشعر بالمفصل يكاد ينفجر «هذه فرصتك الأخيرة»

«لقد أخبرني بالقليل عن المكان الذي ينوي الذهاب إليه ليلة أمس . كان لديه بعض الأصدقاء»

«أي أصدقاء؟»

«لا أعرف !»

«ماذا غير ذلك؟»

«قال إنني يجب أن أحاول الخروج من إستنبول قبل الأسبوع القادم»

أدار ليڤانت رأسه نحوها عند هذا . انحنى فوقها مقترباً «لماذا؟»

«ماذا؟»

«لماذا قال لك ذلك؟»

«قال إن شيئاً ما سيحدث في المدينة خلال عطلة نهاية الأسبوع القادم ، وإنه يحتمل حدوث متاعب . وإنه يتحتم عليّ الخروج»

«ولكنك لم تغادري هذه الشقة . هل كلمك عن تفجير؟ عن هجوم آخر مماثل للمطار؟ ماذا؟»

«بدا مسروراً من نفسه حينما قال ذلك . لقد كان يتصرف بتلك

الطريقة كثيراً . يخبرني بشيء ما ثم لا يخبرني بالبقية ، وكأنه يستمتع بكونه يعرف أكثر مما أعرفه . قال إنه ستقع مشاكل كبيرة في المدينة خلال الأسبوع القادم وإنني يجب أن أبقى بعيدة» .

«أي نوع من المشاكل؟»

«لا أعرف» .

«من كان أصدقاؤه؟»

«كانوا يلتقون ويقضون الوقت في النادي الليلي . أنا لا أعرفهم لقد أخبرتك . أنا حتى لم أرهم أبداً» .

«أسماء . أريد منك أسماء حالاً ، وإلا فإنك ستذهبين معي في رحلة»

اقتربت من البكاء . لكنها لم تسمح لنفسها «لم يذكر أية أسماء . بعض الرجال يحبون أن يحضروا أصدقاءهم إلى البيت كما تعلم ، لكن كريم لم يكن من ذلك النوع . لم يكن يحب أن يتشارك مع غيره بأي شيء» .

«صحيح ، لقد كان يبدو مثل أمير حقيقي» .

دفع ركبته وسط ظهرها مرة أخرى ، صرخت وحاولت الإفلات .

«هل قلت نهاية الأسبوع؟ أخبريني بكل شيء»

أخذت تبكي من خلال أنفها «كل ما قاله هو أنني يجب أن أغادر صباح يوم الجمعة . قالها مثل نكتة كبيرة لأنه يعرف أنني لن أغادر . أعتقد أن ذلك كان مضحكاً» .

حاولت أن تنظر إليه إذ رفعت رأسها «هل قتلته؟»

«كلا ، ولكنني كنت سأفعل ذلك»

«أنا سعيدة لأنه مات»

«هذا صحيح . كثير من الناس سعداء بموته» .

نهض واقفاً ، تفحص الغرفة الحقيرة مرة أخرى وتركها راقدة على الأرضية . لم يغلق الباب خلفه

***

«هل قلت في نهاية هذا الأسبوع؟» جاء صوت بوراك متعباً

«يوم الجمعة . ذلك هو ما قالته»

«وأنت تعتقد أن شيئاً ما يحدث؟ أين؟»

ترك ليڤانت القهوة لتبرد في ماسك القدح داخل السيارة «لا أعرف . ولكن شخصاً مثل كريم سيعرف حتماً إذا كان هناك حدث كبير على وشك التحقق ، صحيح؟»

«ربما . ربما لا . لقد كان موقع اهتمامه إلى الجنوب ، ولكن كيف تعرف أنه كان يتكلم عن ذلك الموقع ، أو ربما هنا؟ لقد قلت بأنه عاد لتوه من فرنسا ، ربما يكون قد تلقى خبراً مفاده أن شيئاً ما سينفجر هناك مرة أخرى» .

«الذين يحرقون فرنسا ليسوا من جماعة كريم»

«حسناً ، برضه ، أنت لا تعرف ما إذا كان يتكلم عن أنقره أو إستنبول أو أي مكان آخر . ما الذي ستفعله بهذه المعلومة؟»

فكر ليڤانت ، وضع يده على القدح الورقي ليقيس حرارته «ماذا بوسعي أن أفعل؟ إن البلاد في حالة استنفار قصوى أصلاً »

«بالضبط» سحب بوراك نفساً طويلاً وعميقاً . «في هذه اللحظة ، فيما يتعلق بأي دائرة أمنية في البلاد ، فإنه يحتمل حدوث شيء ما اليوم أو غداً أو حتى الجمعة . حالياً ، كل ما لديك هو كلام مومس . ماذا سيكون رأي مديرك في ذلك؟»

نفخ ليڤانت الهواء من فمه «ليس الكثير» .

«حسناً ، نصيحتي لك هي أن تذهب لتراقب حركة السير مع جماعة الحاسوب . انظر ما اذا كان لديهم أي شيء يميل باتجاه نهاية الأسبوع . أنت لا يمكنك التحزر . ولكن لا تأخذ هذه المعلومة إلى أعلى من هذا . سوف يضحكون منك بشدة ، وستكون بحاجة إلى سنة أو اثنتين قبل أن يعودوا إلى التعامل معك بجدية» .

«يفترض فيَّ أنني مجاز لمدة أسبوع»

«إذاً تسلل وادخل . تلك هي وظيفتك ، صح؟»

الفصل الخامس

وقف ستيف خارج المقهى ونظر إلى الزبائن الذين يملأون العرائش المحيطة بالبناء . بالنسبة لجميع المتفرجين العاديين ، فهو مقهى إسرائيلي خارجي عادي ، لا يختلف عن أي منشأة أخرى يمكن العثور عليها في كل مكان حول البحر الأبيض المتوسط . الزهور مزروعة في الصناديق التي تحدد منطقة الجلوس الخارجية ، وتمت تربية كميات طويلة من الأزاهير على شكل حبال ولفها حول الحاجز السلكي العلوي ؛ لتمنح الزبائن الذين يتناولون وجباتهم بعضاً من الخصوصية ، ولكن تسمح لهم في الوقت نفسه بالنظر إلى الناس المارين بهم في الخارج .

تسمح أفضل الطاولات الموجودة في الجهة القصية لشاغليها بالنظر تحتهم إلى الأمواج وهي تضرب جدران المرفأ والصخور تحتها . الميناء على مسافة مشي لخمس دقائق باتجاه الشمال . لطالما أحب ستيف مدينة حيفا . فهي تتناسب مع إحساسه بانعدام الوقت . في أجزاء منها على الأقل .

آفي جالس إلى أفضل طاولة بالطبع ، وهي الموجودة في الزاوية القصوى ، تماماً فوق البحر وتتمتع بإطلالة لكامل منظر المقهى والشارع في الخارج . رغم أنه لم يرسل أية إشارة ، إلا أن ستيف أدرك بأن آفي قد لمحه في اللحظة التي دار فيها حول الزاوية القادمة من جبل الكرمل وجامع محمود في المدى . يحتمل أنه وضع رقابة على ستيف منذ

اللحظة التي غادر فيها الطائرة ، ولكن ذلك إجراء متوقع . هي مجاملة احترافية

بإمكان آقي أن ينزل في دير بارك بولاية ميتشيغان وسيشعر بالإهانة بدون شك إذا لم يعين ستيف سيارتين لملاحقته . راقب النادلة وهي تحضر صينية محملة بالطعام إلى طاولة آقي ، حيث يستند الرجل المسن في جلسته ويبتسم لها وهي تضع الطبق على الطاولة . هزَّ رأسه شاكراً لها وابتعدت النادلة مبتسمة . هناك أربع طاولات أخرى مشغولة في المطعم ، وآقي الزبون الوحيد المنفرد . أما الباقي فهم أزواج ، ذكور وإناث ، لكن ستيف لم يستطع أن يغالب الشك في عدد العشاق المزيفين الذين هم في الحقيقة من الموساد . يحتمل أنهم جميعاً عملاء .

عبر البوابة فوقفت النادلة أمامه على الفور ، تسأله عن احتياجاته أشار ستيف إلى آقي قائلاً «ذلك هو صديقي» .

«آوه ، نعم» ردت النادلة بالإنجليزية «أرجوك» مدت ذراعها وقادته نحو مقعده .

رفع آقي ما بدا مثل شطيرة مفتوحة عالياً وهو يستمتع بقضمة من الزاوية السفلية

«آه ! لقد حضرت في الوقت المناسب . إليك – تذوق . لقد تم رش الزيت فوق البندورة والجبنة حتى لا يختلط مع السمسم الموجود في الخبز . مقرمش»

مدَّ الخبز باتجاه ستيف وهو مستمر في المضغ .

«كلا ، أشكرك» جلس ستيف بطريقة جانبية في الكرسي ، بحيث أسند أحد مرفقيه إلى الطاولة ، والآخر على ظهر الكرسي .

«عندما أصل إلى هنا في هذا الطقس ، تنسد شهيتي كلياً» .

شمس الصيف تخترق شعره المتناقص على قمة رأسه وتحرقه . أعاد آفي الطعام إلى طبقه . «إذاً لابد وأنه ليست لديك أي شهية على الإطلاق» .

«بالكاد» قال ستيف . نظر إلى النادلة «قهوة» .

هزت رأسها بالقبول وانصرفت . ابتسم لها آفي أثناء استدارتها ثم راقبها أثناء انصرافها وهي تهز ردفيها بلطف على لحن سري .

«هل سمعت؟» سأل ستيف .

فقد وجه آفي تعبيره الودي وعبست عيناه «أنا رأيت وبعدها أنت سمعت . إن ما نشعر به ليس سراً» .

نظر ستيف إليه . آفي أصغر سناً من أن يكون محارباً قديماً في جميع حروب إسرائيل ، لكنه كان موجوداً في معظمها . وقد أدى خدمته على الخط الأمامي ، يلاحق مهاجمي منظمة التحرير الفلسطينية في الستينيات ، وبعدها يعمل مرافقاً لمعظم قادة البلاد الحاليين .

أسس لنفسه الشهرة في حرب الأيام الستة . بعد ذلك ، كانت هناك بضع عمليات خاصة تم تنفيذها وجاءت مشاركته فيها جزئية على الأقل . مع أن ستيف لم يقابله إلا بعد أن اكتسب هذا الوجه العطوف لرجل مسن ، إلا أنه يعرف أن آفي في أقصى ما يمكن للرجل أن يصل إليه من برودة متحجرة . هو يحترم ذلك ، لكنه ظل ينظر إلى زميله المقابل له بنوع من الرهبة . لقد تجاوز آفي نقطة التعاطف . أراد ستيف أن يغادر بينما هو ما زال ساخراً ، ولكن قبل أن يموت كلياً من الداخل . التفت ليواجه آفي .

«أنت تعرف أن ظاهرة غزة لدى حكومتك يجب أن تصل إلى نهايتها في يوم ما»

ابتسم آڤي «أنت تعرف أيضاً أنه لو لم توجد غزة لاخترعنا واحدة . وإلا فكيف سنتمكن من استجرار التعاطف ونجز النقود من الغرب إذا لم نكن تحت التهديد بشكل مستمر؟»

«نعم بالطبع ونحن نساعدكم في هذه الملهاة . والآن دعنا نعود إلى موضوعنا ، تركيا . هل هناك ما يجري في الخفاء ونحن لا نعرف شيئاً عنه؟»

نفض آڤي رأسه نفياً ، وهو يمسح شفتيه بمنديل ورقي «كلا الوضع هو كما ظهر في داڤوس . أنا لا أعتقد أن الموضوع كان مخططاً له أو مفتعلاً ، حتماً لم يعرف أي شخص من جانبنا ما الذي سيحدث ، ولكن من يستطيع أن يناقش أن ما حصل يتوافق مع أهدافنا المرغوبة؟»

«لا أحد» رفع ستيف رأسه أثناء اقتراب النادلة ووضعها الفنجان أمامه . انتظرا بينما وضعت القشدة والسكر ثم الملعقة في مكانها

«هل هناك خط لدى أنقره قادر على التأثير في الشؤون؟» تناول ستيف الملعقة وبدأ يحرك ببطء

نفض آڤي رأسه «كلا» نظر بعيداً إلى البحر . «لقد سحبت السفن التي أرسلها الأتراك إلى غزة أواخر إمكانيات الدعم لأردوغان في مجلس البرلمان . سنوات – عقود – من التعاون تم إلقاؤها بعيداً . إن نصف أعضاء الكنيست يشعرون بالحنق . أنت يا صديقي في المكان الخطأ بالنسبة للاستشراف العملي» .

«لدينا صديق آخر في الوطن» لمح ستيف المرأة الجالسة على الطاولة المقابلة وهي تنظر إليه من زاوية عينها

هزَّ آقي رأسه «أعرف . ذلك الرجل الذي يعيش في بنسلڤانيا ويشبه اسمه غولاغ . لقد كان فيما مضى صديقاً للرجل القابع في أنقره أيضاً . احترس فيمن تدخلهم إلى بيتك . من تدخله من الباب الأمامي لا حاجة له بالشباك المفتوح»

«إنهم على علاقات طيبة منذ السنوات الخيرة . صعوداً إلى قمة سلسلة القيادة ، وداخل دوائر الحكومة المختلفة»

فرك آقي يديه وهو ما زال ينظر إلى الأفق . «تركيا بلد كبير . سوف أفاجأ إذا لم يوجد فيه العديد من الناس بأفكار مختلفة على مدى البلاد كلها . انظر إلى بلدنا –»

استدار وألقى بنظرة على مرتادي المقهى «يوجد الكثير جداً من جميع مناحي الحياة إلى درجة أننا أحياناً نفقد الرؤية بأنفسنا ، ونحن لا نكاد نصل إلى عشر حجمهم»

رفع ستيف الفنجان إلى شفتيه «وهكذا فأنت ليست لديك مشكلة في التشاور مع صديقنا» .

«ليس الأمر منوطاً بنا حتى نخبركم بمن تتكلمون إليهم ، أليس هذا صحيحاً؟»

«ولكنكم توافقون ، صح؟»

«نحن نوافق» . نظر آقي إلى ستيف من فوق نظارته الشمسية «نحن قادرون على تقديم نظام أمني . لن نترك أي شيء للصدفة ولن يمكن تتبع أية آثار» .

تناول ستيف جرعة وأعجبه المذاق «لا حاجة لذلك ، سوف تسمعون الإنذار» .

***

مكتب ارمان وصدري أشبه بوحدة تخزين ، أو بوصف أدق خزانة مستودع حسب رأي ليڤانت . في بناية حديثة ، حيث المكاتب مصممة على أساس مساحة مفتوحة في الغالب ، ومصممة بغرض أن يتمتع العملاء بالكثير من مصادر الهواء والنور ، طلب أكثر اثنين من المحليين الشباب فعالية في مكاتب استخبارات أنقره تحديداً أن يوضعا في غرفة صغيرة بقياس خمس أقدام بثمان مع ستائر على طول إحدى الجهات ، وجدار كامل من آلات تحليل المعلومات خلفها . أصبحت الغرفة معتمة ورطبة وباعثة على الكآبة . امتلأت الأرضية بأغلفة الأطعمة الجاهزة ، السريعة والعادية الملقاة في كل مكان . بسبب كونه غير مستهلك للحلويات والأطعمة الجاهزة ، فقد تولد لدى ليڤانت الشعور غير المريح أنه يخطو عائداً إلى سنواته الأولى بعيداً عن البيت حينما اضطر إلى المشاركة في شقة صغيرة مع مجندين آخرين ، والذين لم يبد على أي منهم امتلاك القدرة على التنظيف والترتيب وراء أنفسهم .

جلس المخترقان الحكوميان جنباً إلى جنب ، يحدقان في الشاشتين ، بينما تتنقل أصابعهما بسرعة مذهلة فوق لوحتي مفاتيح عاديتين وفأرتين على رقعتيهما كلاهما مصاب بالبدانة المطلوبة وفقر الدم المتأتي من عدم التعرض لأشعة الشمس بدرجة كافية ، والطعام الرديء وانعدام التمارين ، ولكن هنا وفي مقر سلطتهما ، فهما ملكان ، ويضطر رجال من أمثال ليڤانت ، برغم كونهم مسلحين وقادرين على التسبب بأكثر الأضرار الجسدية إثارة للرعب للمتهمين ، إلى الوقوف وانتظار أن تتم مخاطبتهم مثل الأذلاء

سأل ليڤانت «إذاً ، هل يمكنكما أن تفعلا أي شيء؟»

«أنا آسف» قال أرمان واصبعه ينقر على زر الفأر في يده اليمنى «ماذا كانت المعلومة التي كنت تسعى إليها؟»

«لدي دليل بأن شيئاً ما سيقع يوم الجمعة القادم هذا» نظر إلى الشاشتين ، لكنه لم يستطع أن يفهم أي شيء من خلطة الأرقام والرسوم البيانية ، وما تعنيه الموجات المتدفقة مثل النبض . كان يعتقد أن الحواسيب قد أصبحت واضحة بسيطة في السنوات القليلة الأخيرة ، ولكن الواضح أنه يوجد عالم لا يعرف عنه شيئاً . أصبح يشعر بأن هذين الرجلين قادران أن يعثرا له على شيء في ذلك العالم يمكنه أن يأخذه إلى الناس الموجودين في المراتب الأعلى ، حتى رئيس الـMIT هاكان فيدان شخصياً إذا باشرا العمل على الفور .

«الجمعة» فتح صدري نافذة فارغة على الشاشة أمامه «أين؟»

«لا أعرف . أظن هنا» .

«أنت تظن؟» رفع أرمان عينيه نحوه لثانية ثم عاد إلى الشاشة «تقصد أنقرة؟»

«ربما . أو ربما إستنبول . لقد طرت قادماً من هناك ليلة أمس . ذلك هو المكان الذي وجدت فيه الدليل . أنا متأكد بدرجة معقولة أنه سيحدث في تركيا»

توقف الرجلان عن الطباعة وتبادلا النظرات .

«ما الذي سيحدث؟» عاود صدري الطباعة

«لا أعرف» .

«يا عميل عزير» لم يزعج أرمان نفسه بالنظر إليه هذه المرة «هل تعرف ما هو الشيء الذي نعمل عليه في هذه اللحظة؟»

عاد ليڤانت إلى النظر نحو الشاشتين ثم نفض رأسه «كلا» .

«نحن حالياً نتابع حركة أموال جرى تهريبها عبر هذا البلد لاستعمال المجموعات الإرهابية في الجنوب، وعبر الحدود في كل من العراق وسورية. لقد جاءت الأموال عبر مواقع متباعدة بقدر بعد سويسرا عن جزر كايمان، وكان أصلها من أمكنة غير محتملة مثل مقاطعة أوكفوسكي في ولاية أوكلاهوما. هل تعرف مدى تعقيد مجموعات الأرقام والشيفرات المؤدية للدخول إلى حركة هذه الأموال؟»

«لا»

«لا» توقف أرمان عن الطباعة «دعني أصوغ هذا بتعابير يمكنك أن تفهمها. إذا استطعنا أن نربط الأموال التي عثرنا عليها مودعة من بلدة الكاوبوي في أوكلاهوما، بالأموال التي تتدفق نحو المجموعات العاملة ضد هذا البلد، فسوف نغلق قسماً كاملاً من أعداء هذا البلد. هنا تماماً، في هذه الغرفة، سنكون قد أوقفنا جيشاً. عندما نتمكن من إثبات وجود هذه الصلات، سوف نمنح رؤساءنا أيضاً الإثباتات التي تمكنهم من ممارسة الضغط على الحكومات الأجنبية، للقضاء على هذه العملية، والنظر إلى حكومتنا بمنظار الاحترام عندما يحين الوقت الذي قد نحتاج فيه إلى صنيع. هل تفهم ما أقوله؟»

«أعتقد ذلك». عقد ليڤانت ذراعيه

«وهكذا عندما تفكر في ما قلته لك، هل تعتقد أنه استخدام مفيد لوقتنا أن نغلق هذا العمل لنذهب في مطاردة لحفلة ما ستتم في نهاية الأسبوع أنت قد سمعت بها، والتي ستقام في وقت ما، في مكان ما، وربما حتى ليس في هذا البلد مطلقاً؟»

«أنا – لا –ليس ذلك مفيداً»

«أشكرك ، أيها العميل»

«ورغم كل ذلك ،» اتكأ ليڤانت على هيكل الباب ، غير متأثر ، «هل تعتقد أن بإمكانك أن تلقي نظرة؟»

نظرا إليه وتنهدا ، بينما استمرت أصابعهما تنقر على مفاتيح الحروف .

الفصل السادس

انقلب أورهان ولف الملاءة حول كتفيه ، بحيث سحب معظمها عنها وهي على الجانب الآخر من الفراش . مدت يدها خلفها لتسحبها إليها . «لماذا عيَّرت المنبه على ساعة مبكرة إلى هذه الدرجة؟» سألها متمتماً خلال ضباب النوم .

«لأنني أردت أن أستمتع بالرقاد في الفراش معك» . قالت آيلا «لا أستطيع أن أفعل ذلك إذا كنت نائمة»

وجهه مدفون في الوسادة «إنه يوم عطلتي . سأكون تحت تصرفك طيلة النهار»

«صحيح ولكنه ليس يوم عطلتي ، لذلك أنا مضطرة للذهاب عما قريب»

رفع رأسه باتجاهها «الى أي درجة قريب؟»

«التاسعة»

زعقت عندما انقض عليها ، سحبها تحته وهو يزرع القبلات على كل مسامات كتفيها المكشوفتين ورقبتها ، وأخيراً تباطأ ووضع شفتيه فوق شفتيها لوقت طويل . نظر في عينيها عندما انفصلا ، ثم إلى الوقت على الساعة المنبهة ثم عوداً إليها

«إنها الساعة الخامسة . إذاً ما الذي سنفعله لمدة أربع ساعات؟»

«استلق في الفراش أيها السخيف !» استدارت وارتمت وبالغت في نيتها العودة إلى النوم ، وقد أغلقت عينيها مع ابتسامة بناتية على وجهها . نظر إليها لفترة طويلة ثم أسلم نفسه ليفعل الشيء نفسه «يبدو الأمر طيباً بالنسبة لي ، على ما أفترض» . رقد إلى جانبها ودفع برأسها إلى وسط ذراعه . زحفت واندست في صدره . تنهد أورهان «إنني متعب لدرجة رهيبة في نهاية الأمر»

«سأجهز لك الإفطار قبل أن أذهب»

«تموين صباحي مبكر» . قال أورهان «تماماً مثل الجيش»

قالت «لقد تقدمت كثيراً منذ ذلك الوقت . يحصل أفراد الحرس الرئاسي الشخصيون على تموينات خاصة»

«أوه» قال وهو يرفع رأسه عن الوسادة ، وقد انحسر شعره الأسود جانباً .

«مينيمين؟» بحلقت فيه من تحت الملاءة «هل كنت تتلصص على محتويات الثلاجة؟»

«إلا إذا نظرت في منتصف الليل . لقد ذهبنا إلى الفراش مباشرة فور عودتي إلى البيت ، هل تذكرين؟»

«آه ، نعم» قهقهت لنفسها قليلاً «حسناً ، يحتمل أنني قد اشتريت قليلاً من تلك الجبنة التي تحبها»

ارتمى على ظهره في الفراش ومدّ ذراعيه وهو يتثاءب بسعادة ورضى «لا أستطيع أن أنتظر» .

لاحقاً ، وبعد أن تمشيا في غرفة الجلوس ، والشمس تتسلل عبر نوافذ الشقة ، أخذت روائح البيض المقلي وأعشاب آيلا الخاصة تملأ الشقة ، جلس أورهان على الأريكة ، أحكم لف روب الحمام على

جسمه واستمر يرشف من كوب الشاي . مرر أصابعه عبر المجلات على الطاولة الجانبية

«متى سيكون الوقت المناسب لمقابلة والديك؟»

«ما زال الوقت مبكراً على ذلك . دعني أمهد الطريق أولاً . أنت تعرفين أنهما شركسيان بعقلية قديمة»

«نعم أعرف ذلك . أراهن أنهما يرغبان في أن تتزوج من صبية شركسية بالطبع»

لم يحر أورهان أي جواب . اكتفى بالنظر إليها بعيون محبة أثناء تجولها في المطبخ . غيَّر الموضوع ليسألها «في أي ساعة تنهين عملك؟»

«سوف أحاول أن أخرج في الساعة الثالثة ، أو الرابعة على الأكثر» . ردت عليه بصوت عال «كل مواعيدي معدة لهذا الصباح ، وهكذا سيكون ما بعد الظهر مخصصاً لإخبار بارس عما يجري ، وبعد ذلك سأصبح حرة . هل تريد أن تأتي وتقابلني؟»

عبس لدى ذكر الاسم . «كان يفترض فيهم أن يمنحوك بعض الوقت بعيداً عن العمل بعد الذي حصل في المطار . خاصة وأن الحقيقة هي أن بارس كان يفترض فيه أن يتواجد هناك وليس أنت»

عبرت باب المطبخ الصغير تحمل كوب القهوة بيدها . لم يستطع أن يقاوم خفض عينيه باتجاه بنطالها المغرق في القصر وقميصها المقرمط . كانت هناك أوقات ارتدت فيها هذه الملابس إلى صفوف الرقص واليوغا التي حضرتها ، ولكنها أصبحت حالياً مخصصة للبيت ، قالت له «هذه لعينيك فقط»

قالت فيما بعد «لقد عرضوا علي إجازة . كان بارس في غاية الأسف»

«أنا متأكد من أنه كان كذلك» قال أورهان وهو يعتدل في جلسته

«لا تقل له أي شيء» .

«لن أفعل» . صدقته . على الرغم من أن أورهان لم يكن معجباً بزملائها في العمل - فقد كان يجدهم تافهين وأصواتهم مرتفعة ، خاصة بارس - عرفت آيلا أنه لا يمكن أن يفعل أي شيء يسيء إلى سيرتها العملية . لكن ذلك لم يكن يعني أنه يؤمن بأنها يجب أن تستمر في العمل بعد أن يتزوجا ، فقط ليثبت لها أنه يهتم بأمرها ، بحيث لا يتسبب لها بأي إحراج أو ضرر . «ولكن إذا حدث لنا شيء مثل ذلك في نطاق عملي ، فإنهم يأمروننا بأخذ بعض الوقت بعيداً عن العمل» . استمر في القول «أنت لست مدربة لرؤية مثل تلك الأشياء» .

قالت وهي تنظر بعيداً عنه «لم أكن مستعدة للحرارة . لقد قرأت عن كل شيء آخر ، أو شاهدته بالأفلام . الصراخ ، الدخان . حتى الروائح . لكن الإحساس بالحرارة على بشرتي لحظة انفجار القنابل كأنني وقفت قريبة من نار ملتهبة أكثر مما ينبغي»

كان يكشر «لم لا تطلبين إجازة لبضعة أيام؟ يمكنني أن أطلب من رئيسي في العمل ليحضر لك شخصاً تتحدثين إليه . حتى إنني سأذهب معك» .

عادت لتنظر إليه ، مع ابتسامة «إنني على ما يرام . لقد كنت محظوظة . عرض علي الأطباء في المستشفى الأمر نفسه في تلك

الليلة ، كما قالت الدكتورة أوزلو أنني سأكون على ما يرام» .

«الدكتورة أوزلو عمرها مئة سنة»

«إنها في السبعين»

«وهل تقبلين بقيادة سيارة عمرها سبعون سنة؟»

«كلا ، بل سأبيعها . آمل أن يبدو شكلي حلواً مثلها عندما أصل إلى ذلك العمر»

ابتسم مرة أخرى . «سوف تعتنين بأحفادنا ! إنني فقط قلق بشأنك . كما أنني غاضب على الناس الذين تعملين لديهم» .

«حسناً ، أنت لم تحبهم فعلاً أبداً »

«أنا –» نفض كتفيه «أنا أميل إليك أنت !»

رمقته بنظرة متفحصة متسائلة ، وقد ارتسمت ابتسامة حائرة على وجهها «فقط تميل إليّ؟»

«بل أنت تعرفين أن الأمر أعمق من ذلك» .

«إنني آمل ذلك» قالت له «لأنني لا أعد وجبات إفطار مثل هذه لمجرد أي شخص» . رفعت ذقنها وتشممت محتوى الهواء «بالحديث عن الإفطار ، أظن أنه جاهز» أسرعت عائدة إلى المطبخ .

نادى وراءها «ما زلت أعتقد أنك بحاجة إلى الحصول على وقت راحة من العمل»

«وأنا أعتقد أنني على ما يرام» . تزامن صوت الأطباق على النضد وتقحيط المقالي وتداخل مع صوتها «سأكون قلقة عليك خلال عطلة نهاية هذا الأسبوع أكثر مما أنت قلق عليّ»

«لا تغيري الموضوع» . التقط مجلة موضة نسائية ، كشّر فيها ثم ألقاها على الطاولة . «وبكل الأحوال . الرئيس ذاهب في إجازة في

نهاية هذا الأسبوع . سنكون موجودين في مارمريس لمدة ثلاثة أيام بدون أن يكون لدينا ما نفعله» .

«يبدو ممتعاً» . عادت تحمل طبقين ، وضعتهما على طاولة الطعام ثم رجعت لإحضار الشوك والملاعق . قال

«نعم ، أمر رائع أن تتواجد على شاطئ البحر مرتدياً بذلة داكنة وأحذية . تتجول في الحديقة لساعات بطولها ، بدون أن يكون لديك ما تفكر فيه بينما خطيبتك لوحدها في البيت والخطر يحدق بها»

خرجت وجلست إلى المائدة ، ترتب الحصر والأطباق والملاعق والشوك .

«لن أكون وحدي ، إن ديميت قادمة لتقيم معي»

نهض وذهب لينضم إليها «ديميت؟ أليس زوجها ضابطاً في الجيش؟»

«إن آيدين هو صديقها المقرب»

دوّر عينيه واتخذ مقعده .

«إنها تنوي التقدم إلى الوظيفة المتاحة في دائرة المحاسبة . سيقدم بارس توصية بحقها ، وينبغي أن تحصل عليها . أنا أنوي أن أساعدها في أسئلة المقابلة»

«هل تعرفين الأسئلة التي سيطرحونها عليها؟»

«كلا يا سخيف . سأعطيها بعض الأسئلة العمومية لتتمرن عليها وسوف نراجع ما ستقوله كإجابات . يحتاج معظمهم إلى الأجوبة نفسها بكل الأحوال ، المسألة هي في الطريقة التي تقولها فيها»

«صحيح» قال . تناول قضمة وأطلق زمجرة موافقة «ألا يبدو أن بارس يقدم توصيات إيجابية لكل الفتيات اللواتي يعملن هناك؟»

رمقته بنظرة تقول إنها تعرف ما يفعله ، وإنها لن تعلق بالطعم .

«إنه خدوم»

«صحيح ، هكذا يبدو»

مضغت طعامها وأطلقت له ابتسامة عذبة . فقد تم تحذيرها من كون الرجال الشراكسة غيورين . لكن غيرته أشعرتها بالسعادة .

الفصل السابع

تلفت ستيف حوله في مشرب الفندق وتساءل عما إذا كان كل فندق في أنحاء العالم كافة سيبدو على الشكل نفسه بعد أن يتقاعد. عندما باشر عمله، كان لكل بلد طعمه ومنظره المميزان - حتى البلدان في الكتلة الشرقية التي لم تكن تتمتع بأي طراز على الإطلاق مما يمكن تسميته تصميماً معيناً

عندما قام الشيوعيون بتدمير الخصائص البرجوازية في الهندسة المعمارية والديكور، فقد قاموا بدون قصد منهم بإيجاد الذوق الاشتراكي. أما الآن، فكل بلاد هبط فيها ستيف، أصبح يرى فيها شباناً ناحلين يرتدون قمصاناً رياضية عليها صورة تشي جيڤارا تلك بالنسبة له كانت أعظم مأساة في حقبة الحرب الباردة.

الأمر الأسوأ في هذا العصر هو أن كل دولة تبدو، في المظهر على الأقل، وكأنها تتحول إلى كرتونة حليب بطريقة ما، متجانسة ومنسجمة إلى حد انعدام الخصوصية والتميز

كل شيء هو نفسه. ادخل إلى أي فندق رخيص في فرنسا أو نيويورك، أو حتى هنا في نيقوسيا، عاصمة قبرص، وستطالعك التزويقات الخشبية الرخيصة في المشارب وغرف النوم، رقيقة ومجوفة عند اللمس. ثم الجدران المطلية نفسها على فراغ بدون أية رسوم أو نقوش،السقوف البيضاء المطلية نفسها بالكلس بدون أية إضافات.

فكر لنفسه «ربما أنا فقط بحاجة إلى أن أعثر على وكيل سفر

أفضل من الحالي وأتوقف عن ارتياد نزل السفر نفسها» . رشف من قهوته وعاين حنفيات الجعة . الوقت مبكر قليلاً . بقيت دقيقتان على الموعد المرتب والذي يفترض فيه أن يقابل الجنرال . سيصل الجنرال في الموعد بالضبط . ستيف معتاد على التبكير . ذلك هو الفارق ما بين الخدمة في الجيش والعمل لدى وكالة الاستخبارات المركزية

وزع نظراته على الناس المحيطين به ، مستمتعاً بمراقبة السلوكيات المتباينة للناس الباقين في هذا المكان بعد إغلاق نافذة الإفطار بوقت طويل ، وقبل زحمة موعد وجبة الغداء . هناك رجلان جالسان على طاولتين مختلفتين في زاويتين مختلفتين من الغرفة ، يقلب احدهما دليلاً سياحياً قديم الطراز والآخر منهمك في هاتفه المحمول . ظهر كلاهما في خمسينيات عمريهما ، لكن المظاهر يمكن أن تكون خادعة

يعرف ستيف أن لدى كل منهما عائلة مقيمة معه في الفندق ، لكن العائلات كانت قد خرجت في هذه الآونة ، الأغلب أنها ذهبت إلى المنتجع أو إلى بركة السباحة . لم يبد على أي من هذين الرجلين أنه يستمتع بقضاء أي وقت تحت الشمس . أدرك أنهما يستمتعان بالهدوء والسكينة التي تتبع عدم فعل أي شيء طالما كان ذلك ممكناً

فكر لنفسه «أتمنى لكما حظاً سعيداً أيها السيدان . تبدوان وكأنكما حققتما هذه الراحة باستحقاق» ثم هناك امرأة بدينة بقصة شعر مبالغة في القصر ، جالسة عند أبعد نقطة عن الباب ، خلف ستيف مباشرة ، الذي دائماً ما يجلس على كرسي مشرب مرتفع كلما استطاع ، ليحصل على منظر كامل للغرفة ومخارجها . التفت إليها ورأى أنها تتفحص لائحة الطعام . رفعت رأسها لتنظر إليه فأشاح بوجهه عنها «استمتعي»

عاودت ساقية المشرب الظهور ، سمراء صغيرة السن ، في حوالي العشرين ، يحتمل أنها تعمل بوظيفة صيفية بين فصلين جامعيين . هي فتاة تقول تصرفاتها إنها ستصل إلى أمكنة مرموقة . نظر ستيف إلى حذائها . أسود مسطح ويبدو وكأنه مصنوع من نوع صلب من البوليستر فوق نعل مطاطي مرن . الفتاة جميلة إلى درجة أنها جعلت الحذاء يبدو رائعاً

قبل الساعة الثانية عشرة بثلاثين ثانية ، دخل الجنرال من خلال الباب فتخلى ستيف عن المنظر الجميل الذي يتلهى به وبدأ عملية العد . وقف الجنرال عند الطرف القصي من البار لعشر ثوان بالضبط ثم بدأ يتخذ طريقه ببطء إلى حيث جلس ستيف توقف بعد عشر ثوان أمامة ورأى مدى قرب المرأة البدينة خلفه وأشار إلى طاولة في وسط الغرفة .

نهض ستيف وتبعه بدون أن ينطق بكلمة عند دقات الساعة الاثنتي عشرة لحظة جلوسهما أحدهما مقابل للآخر

سأله ستيف «هل ترغب في كأس ماء؟»

«لا» قال ڤوتيل

«هل تناولت إفطارك؟»

عقد الجنرال ذراعيه وأخرج تنهيدة طويلة من أنفه العريض احتفظ بالكثير من عنفوانه بالنسبة لرجل في مثل سنه ، وذلك ما يمكن للمرء أن يتوقعه من رجل عسكري خدم لمدة أربعين سنة تفحص ستيف بنظرة تحمل أبعد من مجرد انعدام الخوف . لم يتنازل حتى أن يظهر احتقاره له

قال «أنا لا أحب الجواسيس نحن لم نلتق من قبل واعتقدت أنك يجب أن تعرف هذا منذ البداية . ليس الأمر مرده إلى أنني أعتقد

أنه لا حاجة لكم أيها الشباب يعرف الجميع أن الحروب يتم كسبها أو خسارتها نتيجة للاستخبارات . ولكن أنتم تذهبون إلى أبعد من ذلك . أنتم تحاولون أن تديروا الألعاب بما يتناسب مع خطط ألعابكم ، وليس خططنا نحن . وهكذا فأنا لا أميل إليك بكل بساطة»

عدَّل ستيف ياقة سترته القديمة أطلق نصف ابتسامة وانزلق في مقعده أكثر قليلاً «ليست تلك مشكلة أيها الجنرال . نحن جميعاً على الجهة نفسها ، ليس للميل أية علاقة بالأمر»

وضع ڤوتيل يديه على الطاولة ، شبك أصابعه وأخذ يدق إبهاميه ببعضهما «هل أديت الخدمة العسكرية؟»

أمال ستيف رأسه «إنني أقوم بالخدمة العسكرية حالياً»

قال ڤوتيل «هذا هو بالضبط الأمر الذي يشكل لي مشكلة مع أمثالكم . أعتقد أنكم تخدمون أجندتكم ولا شيء غيرها»

«هناك الكثير منا أكثر مما يمكن أن تفكر فيه . أنا لن أحكم عليك بما يفعله الجنرالات الآخرون . لو فعلنا ذلك ، لما كنا وصلنا إلى أبعد من بنيديكت أرنولد»

«ما زلت لا أميل إليك»

تساءل ستيف عما إذا كان الجنرال يمتلك الخيال ليرى الأشياء التي ينبغي عليه الخوف منها قبل حدوثها . إن الشجاعة غير العقلانية هي أسوأ أنواع التهور الأحمق

«عاصفة الصحراء»

«ماذا؟»

«لقد أديت خدمتي» . جاء دور ستيف ليعقد ذراعيه «الكويت ثم بعد ذلك عبر الحدود في العراق . لقد تم منحك رتبة قبل غرينادا وبنما

مباشرة ، أليس ذلك ما حصل؟»

«ذلك صحيح» قال ڤوتيل «لقد كانت الثمانينيات حقبة مضحكة كان لدينا رجال قضوا سنوات في الغابات المظللة قبل عشر سنوات ، ويتم إرسالهم في ذلك الوقت في عمليات أشبه بالإجازات . حروب الموز . لقد استمرت عاصفة الصحراء حوالي أربعة أسابيع ، أليس كذلك؟»

«ذلك صحيح»

«ولكنك كنت قد انسحبت بحلول عملية العراق اثنين ، ألم تفعل؟»

«لقد تم إرسالي لأخوض حروب الموز بدون زي عسكري . أظن أنهم كانوا بحاجة إلى أفضل الرجال هناك»

انتفض رأس ڤوتيل إلى الوراء وضرب على الطاولة ، ما جعل الأشخاص الأربعة الآخرين في المشرب يقفزون مجفلين ثم انفجر في الضحك وقال «صحيح ، أظن ذلك . ما حدث لاحقاً أمر مؤسف جداً»

نفض ستيف كتفيه «لقد أدى الجيش مهمته عام ٢٠٠٣ . لقد ربح الحرب . أما الباقي فكان إخفاقاً من الاستخبارات ومن القيادة»

«هذا صحيح» . عاد ڤوتيل إلى الجدية ، لكن اللسعة في صوته كانت قد اختفت . «والآن نحن نتعايش مع ذلك الإخفاق»

اقتربت النادلة منهما بشيء من التوتر ، تحمل قلماً ودفتراً صغيراً

«جعة» قال ڤوتيل

شعر ستيف بالسعادة «قدحان . وبعض الفستق السوداني»

هزت الفتاة رأسها بصمت وعادت لتقف خلف النضد

«وهكذا ما هي حاجتكم إليّ؟»

تلفت ستيف حوله . أدرك أن المواربة لن تفيد «نحن بحاجة إلى خط اتصال مع المسؤولين الرئيسيين في تركيا . الأشخاص الذين في القمة كما تعلم»

«لماذا؟»

«أنا لا أقرر الألعاب» .

ابتسم ڤوتيل لنفسه وأقر بالنقطة «مؤكد أنك تحتفظ بهذه لنفسك»

«إن شراكتنا تعني أن نوعية العلاقات التي نحتاج إليها موجودة هناك سلفاً ، على المكشوف . إن السناتورة لا ترغب في أية عمليات خداع أو احتيال»

«السناتورة؟ هل تقصد -؟»

«نعم . هي بعينها»

أحسّ ڤوتيل بالتأثر والاحترام . جلس كلاهما مستندين إلى الوراء بينما تضع النادلة شرابيهما وطبق الفستق على الطاولة ، وانتظرا حتى تعاود الانصراف .

«حسناً» . قال بعد أن تناول جرعة «لا خداع ولا احتيال ، كما تقول . إن تركيا حليفة لنا فلماذا نحن نلتقي هنا؟»

«أنت لديك خط اتصال مع الأشخاص في المراتب العليا . ليس هناك سبب للتشكيك في قدرتك على الاتصال بهم . أريدك أن تخبرهم بأن الولايات المتحدة تدعم الجمهورية التركية» .

«هل هذا كل شيء؟»

«هذا كل شيء . نحن ندعم مؤسساتها وجهازها الحكومي والعسكري» .

«هل أنت تريد مني أن ألتقي مع عضو رئيس في الأمن التركي وأخبره بأننا ندعمهم؟»

«صحيح . تعاني تركيا من مشاكل مع اللاجئين والإرهاب لم نستطع أن نتخيل حصولها في بلادنا ، ونريدهم أن يعرفوا ، بصفتهم حلفاء لنا ، أننا ندعمهم ، وأننا نقف مستعدين لتقديم أية مساعدة ضرورية»

شرب ڤوتيل نصف قدحه وفكر في هذا العرض . «إلى من تريدني أن أقول هذا الكلام؟»

دفع ستيف بمربع صغير ممزق من ورق الملاحظات عبر الطاولة . «ذلك هو الاسم والرقم»

«وأنت تريد فقط أن أقول هذا الكلام وأعطيه هذا الرقم؟»

«أشكرك أيها الجنرال» .

«ذلك رقم كبير»

رشق ستيف من جعته وتناول حفنة أخرى من الفستق «إن تركيا حليف كبير»

في وقت لاحق ، نظر ستيف من شباك الطائرة إلى مدينة نيقوسيا الصغيرة وسواحل قبرص وهي تختفي تحته وغرق في التفكير كثيراً ما يخفق الأنماط العسكريون في فهم الإيماءات الذكية ، وتصبح الأمور أشبه بلعبة نرد عندما يتم السماح لهم التفكير بحرية أكثر مما هو ضروري . هو يعرف ذلك أكثر من معظم الآخرين . لكن هذه العملية بالذات التي يتحتم عليه أن يسلك المسار المغرق في النعومة ، والذي يرغب في سلوكه . إذا كان ڤوتيل لا يرغب في قيادته للعبة ، فهو كان يفترض فيه أن يتعلم تلقي الأوامر من المدنيين منذ زمن طويل

الفصل الثامن

تجول أورهان في أرجاء الشقة وهو يرشف من فنجان قهوته بعد أن غادرت آيلا ، كانت لديه اجازة يوم واحد وليلة واحدة في هذا الشهر ، وها قد انقضت الليلة

أحسَّ بالتصلب والكسل . سيتاح له ولآيلا بضع ساعات ثمينة أخرى قبل أن يضطر إلى اللحاق بطائرة مغادرة من إستنبول إلى أنقرة في ذلك المساء . أجبره التفكير بالمطار على التكشير - فكرة وجود آيلا في العمل - مع بارس - جعلته يشعر بالمرارة سلفاً

كان حدسه يتحسن تجاه التعرف على أين وكيف أثرت فيه الظروف . ذلك من صنع آيلا . فهي قادرة على أن تخبره أشياء عن نفسه لم يكن يعرفها ولن يدركها بدون حضورها

أدرك من خلالها كيف أن علاقته بوالده ووالدته لم تتطور أبداً أبعد من الاحترام الكلي من قبل الطفل للكبير . فهو شركسي في نهاية المطاف والتقاليد القديمة مغروسة في جيناته

لم يغير إدراكه أي شيء ، ولكن على الأقل فإن وعيه للطريقة التي يتكلمون فيها إليه سيمكنه من تجنب الكثير من الجدالات التي دقت الأسافين بينهم في السنوات الماضية

أصبح التفكير في المسألة غير عادي حالياً ، ولكن كان هناك وقت فكر فيه بالهجرة ، تجربة حظه في أوروبا أو الولايات المتحدة بعد إنهاء

خدمته العسكرية . لكن والدته كانت مريضة وهو الابن الأكبر ، الابن الشركسي . لم تكن هناك قوة على الأرض قادرة على أن تحركه من التواجد قريباً منها ، وهكذا فقد بقي في الجيش ، وسمح له القادة أن يختار موقعه ومركزه . كان من الطبيعي أن يختار مكان سكنى يبعد عن بلدة موطنه أقل من ساعة

سرَّ قائده العقيد حينما قال أورهان إنه يعتزم إعادة التطوع . سجل وجهه التعبير نفسه الذي انطبع على وجه مدرب الرياضة في مدرسته الثانوية بأدرنه حينما أخبره الفتى أورهان أنه تم قبوله في الجامعة بموجب منحة كادت أمه تطير فرحاً لسماعها الأخبار التي تقول إنه في طريقه إلى العاصمة كان حلمها أن يكمل تجارة والده في الأقمشة بالجملة . جلس وقتها الأب في الكنبة وحدق أمامه ، وقد أرخى عينيه باتجاه الأرضية في مسافة متوسطة كما هي عادته ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة

اعتاد أورهان على إعجاب الناس بحضوره وقدراته . بقي ذلك قائماً حتى التقى بأيلا . اكتشف أنهما على طرفي نقيض . فهي فتاة من مدينة كبرى ، جريئة ، تضج بالحيوية ، وجميلة . أما هو ، فنجم رياضي تحوم البنات حوله في العادة ، لكنه أحسَّ أمامها بأنه جاهل وقروي . تفهم عوالم ورموزاً شاهدها كل يوم ولكن لم يكن له أي اهتمام بها حتى التقى بأيلا . جعلت الموسيقى والفن والأداء تبدو في لحظة وكأنها أمور حيوية كان الأمر الوحيد الذي استمتع به حتى ذلك الحين هو حضور حفلات الزفاف الشركسية ، حيث الرقص أمر لا مفر منه . طالما أغاظته آيلا بقولها إن الشراكسة لا يعرف الناس عنهم سوى ثقافة الرقص

أدرك أن أصدقاءها يضحكون على كونه أخرق ومفرطاً في جديته ، لكن علاقته بآيلا لم تكن مسألة شارع باتجاه واحد . فقد قدرت له كونه أوضح لها بأن الحياة تنطوي على أكثر من حضور حفلات الافتتاح وتناول الطعام في آخر مطعم يعتبر صرعة حديثة . أعادت اكتشاف السكينة والتفكير العميق ، القوة المتأتية عن التقاليد وأخذ العبر ، والتي طالما أشار إليه أورهان على أنها الخابزة . لم يعد قضاء ليلة هادئة في الشقة بدلاً من ضجيج أي ناد ليلي يمثل نهاية الدنيا ، بشرط وجود أورهان هناك بالطبع ، يروي لها أساطير النارتيين النابعة من شعبه

أصدر هاتفه رنة واحدة . رسالة مسعود . *آمل أن عملية العودة إلى الوطن تتحرك قدماً بخطوات سريعة . إذا كنت لا تزال تحتفظ بالطاقة ، فأنا ذاهب إلى صالة الرياضة . أحضر قفازيك*

وضع أورهان الهاتف على الطاولة ودخل إلى الغرفة . ارتدى قميصاً رياضياً ، بنطال رياضة قصيراً واسعاً وشحاطات بركة السباحة الرجراجة . لن يحتاج إلى الحذاء . تحتفظ آيلا بأثقاله ومعداته الرياضية الأخرى في إحدى زوايا غرفة الجلوس ، فتناول حقيبته أثناء خروجه ، والتقط مفاتيح السيارة من جانب الباب .

شعر بالرضى عن خروجه . فالشوارع ملأى بالناس والسير يتحرك في منتصف فترة الصباح . هذا هو الوقت المفضل لديه من النهار وصل إلى موقف السيارات في وقت وصول زميله نفسه ، أوقف مسعود سيارته ولوّح له بإشارة مجاملة مع غمزة وسمح له بالمرور أولاً . أوقفا سيارتيهما في الطابق الثالث واتخذا طريقهما إلى صالة الرياضة الصالة مليئة بالمتريضين إلى درجة مفاجئة بالنسبة ليوم عمل عادي ،

ومعظمهم من النوع الثقيل ، مفتولي العضلات مثل كليهما ، وكلهم يتدربون حتى التعرق في يوم تموزي حار . أودع أورهان ومسعود حقيبتيهما وارتديا قفازيهما واتخذا سبيلهما نحو الحلبة الفارغة على الفور . قضيا معظم دقائق الساعة التالية وهما يتبادلان اللكمات واللبطات المركبة بدون كثير كلام ، ولم يتوقف أي منهما إلا لشرب رشفة من الماء ، حتى غرق قميصاهما في العرق تدريجياً وسال العرق أنهاراً على وجهي الشابين

أورهان هو صاحب الضربات الأقوى بين الاثنين ، لم يكن هناك شك في الأمر ، لكن مسعود ظل يفرح بين الفينة والأخرى حين يغمره بمجموعة من الضربات الخفيفة على ذراعيه وجانبي رأسه ، ثم يخفي ضربة أقوى كل وهلة تجبر خصمه على إصدار زمجرة انزعاج يعود إليه أورهان عن الحبال عادة بضربات طائشة ، بينما يتراقص مسعود إلى الوراء ويضربه مرة أخرى حين ينسى أن يحتمي . لم تكن لدى أورهان أية فكرة عمن سيفوز لو أن الرجلين خاضا قتالاً حقيقياً . ليس مسعود من فناني الضربة الواحدة القاضية ، ولكنه مثل لاعب البوكر ، يجبر خصومه الأقوى منه على توجيه ضربات لا يريدون توجيهها ثم يعاقبهم على كشف أوراقهم في وقت أبكر مما يجب .

«آه لا ! لقد تمكنت مني» بات يضحك في هذه اللحظة وهو يتراجع ويخسر المسافة باتجاه زاوية الحلبة لاحقه أورهان ، يضربه بيده اليسرى المرة تلو الأخرى ، ومسعود يحمي نفسه «لقد نلت مني ! إنني هالك لا محالة!» اصطدم ظهر مسعود بشدادات الحلبة المغطاة حين انحنى ليتجنب يسار أورهان وصعد بضربة خطافية من يسراه .

أدرك أورهان متأخراً أن يده اليمنى قد نزلت عن فكه وزعق

مسعود منتصراً عندما حط قفازه المبطن على ذقنه المكشوفة . أصبح أورهان هو المحصور في الزاوية بدون أن يدرك كيف وصل إلى هناك ، ومسعود يمطره بوابل لكمات يمينية ويسارية ، خفيضة إلى عالية وعالية إلى خفيضة ليجبره على حماية نفسه . في النهاية ، أشفق مسعود عليه وقفز إلى الوراء ليسمح له بالخروج من الزاوية

«آمل أنك لا تشعر بالتعب يا أورهان ، لأن هذا هو المكان الخطأ الذي يحل عليك التعب فيه» . بدأ مسعود يركض جانبياً بمحاذاة الحبال ، يرقص ويركض إلى الوراء مثل محمد علي نفض أورهان رأسه وتناول قارورة الماء من تحت الحبال . أمسكها بين قفازيه ورش محتوياتها داخل فمه وعلى وجهه ثم استدار نحو شريكه

«يبدو وكأنك حصلت على وقت مريح ليلة أمس ، صحيح؟» قال وهو يمسح جبينه «لقد توجهت أنا وبعض الشباب من مجموعة القصر إلى مطعم مصطفى الكثير من الطعام الشهي وأشياء أخرى طيبة آمل أن آيلا قد طبخت لك . أنت بحاجة إلى الاحتفاظ بقواك»

تمخط أورهان واتكأ على الحبال «بالنسبة لنهاية هذا الأسبوع؟»

«پففف . أنت تعرف ما أقصده . سنكون الرجال الأشد مللاً في تركيا مع نهاية هذا الأسبوع . لقد قلتها بنفسك . لا أوقات إجازة ، سنبقى محشورين في الفيللا وربما يتسنى لنا أن نذهب في جولة أو اثنتين بالسيارة . هذا إذا سحبنا قرعة مجموعة الحماية الخارجية الاحتمال الأكبر هو الإبقاء علينا نحن الاثنين لحماية المكان ، بينما كل شخص آخر ينصرف ليقوم بجولات سياحية»

«ما كان يجدر بك أن تتمادى مع المدير إلى تلك الدرجة»

كان رئيس وحدة الحماية قد خفض رتبهما عن الحلقة المباشرة

حول الرئيس إلى عمل الدوريات ، بعد أن صرح مسعود بأكثر من انتقاد على مدى سمع المسؤولين الكبار .

«أنا لم أتماد مع المدير كل ما فعلته هو الشكوى من الطعام ، أو عدم وجوده ، لكن الكلام وصل إليه» .

«طبعاً سيصل إليه» . تمطى أورهان ليلمس أصابع قدميه . تبدد كل التوتر الذي عانى منه في وقت مبكر . «لا يمكنك أن تقول أشياء مثل هذه عندما نكون في الميدان»

«لم نكن في الميدان يا أورهان . لقد كنا في فترة استراحتنا»

«ومع ذلك . سنكون موجودين في النقطة المهمة بعد بضعة أسابيع بكل الأحوال . هل يمكنك أن تبقي فمك مقفلاً حتى ذلك الحين؟»

توقف مسعود عن الجري وقال «يحتمل أن يدوم الأمر لبضعة أشهر . آسف»

تأوه أورهان «وسوف نبقى في المؤخرة طيلة نهاية هذا الأسبوع لطيف»

قال مسعود «سوف أعوضك عن ذلك . سأحضر لك هدية زفاف لن تنساها إلى الأبد . شيء لأورهان الصغير»

رفع أورهان قفازيه «ما رأيك في أن نعود إلى العمل؟ سوف أعوض عن خسارتي بتلك الطريقة» .

ابتسم مسعود «الأمر يلائمني . ولكنني سأتراخى معك . لا يصح أن أعيدك إلى تلك الجميلة رجلاً محطماً»

«تعال إلى هنا !» هجم أورهان وطوّح بقوة وطيش ، بينما مسعود يضحك وهو يقدم له وجهه ثم ينسحب إلى الوراء بخفة خارج المدى .

«لا تستطيع يداك أن تضربا ما لا تبصره عيناك !»

الفصل التاسع

«أنا بحاجة إلى المزيد»

نظرت الفتاة المولداڤية إلى ليڤانت ثم نهضت ووضعت يديها على شريطي بلوزتها ، تستعد لتنزع ثيابها

«ليس بهذه الطريقة ! عليك اللعنة !» سحب ليڤانت نفساً عميقاً «أقصد أريد المزيد عن كريم ونهاية هذا الأسبوع . ما الذي سيحدث؟»

عادت إلى الجلوس «لم يخبرني بشيء» .

«صحيح ، هذا ما قلته» . فكر ملياً . شقتها تدفع به إلى الجنون . مقدار الفوضى والقذارة القائمة فيها . «من هم الأشخاص الذين كان يقابلهم؟»

«لا أعرف»

«هل ذهب إلى مكان آخر غير النادي الليلي؟»

«كلا ، ولا أي مكان . لقد كان يبقى هنا ثم يذهب ليقابلهم . ثم هو . . . أنت تعرف»

هزَّ رأسه «نعم أعرف» . لم يكن يرغب في القيام بذلك ، لكنه سيضطر إلى الذهاب للنادي . لقد كان هذا الوضع يثقل عليه . حسب المعلومات المتوفرة لدى جماعة كريم ، فقد كان مقتله ما يزال نتيجة قيام كريم بالضغط على عم سليمان وابنة أخيه ورد سليمان بالانتقام منه لقد كان المخبر لصاً شهيراً في تلك المناطق لمدة طويلة ، ورغم أنه لم

يكن معروفاً عنه أنه مجرم عنيف بدرجة خاصة ، إلا أنه من الناحية الأخرى لم يكن مسالماً . تساءل ليڤانت عن ردود الفعل التي ستقع على عائلة سليمان بعد أن أصبح معروفاً أنه قد أقدم على قتل كريم ، لكن ذلك لم يكن أمراً يهمه أو يقع على عاتقه كان يفترض في سليمان أن يفكر بردود الفعل بنفسه قبل أن يتخذ القرار ويحل المسألة بيديه .

غادر ليڤانت شقة المومس وذهب إلى سيارته . تم تنظيف الشارع خارج الشقة من الدماء وأزيلت الإشارات التي وضعتها الشرطة بعد مقتل كريم . ذهب إلى سيارته وأخرج سترته . أخرج جراب مسدسه من حزام بنطاله الجينز ودس المسدس في جيبه ، مسقطاً الجراب الفارغ على الأرضية . تذكر ، أخرج مشطاً آخر من صندوقة القفاز ودسه في جيب السترة أيضاً . ثم مشى مسافة الدقيقتين إلى نادي تروپيكال الليلي . المحل مغلق لأن الوقت منتصف النهار ، لكنه وضع قبضته على الستارة الفولاذية وانتظر . همَّ بأن يرفع ذراعه مرة أخرى في اللحظة التي طقطقت فيها سماعة جهاز الاتصال الكائنة بجانب الباب ودبت فيها الحياة .

«ما الأمر؟» صوت رجالي . استحال تحديد اللهجة بسبب رداءة نوعية الصوت . دفع بالزر ليتكلم .

«لقد جئت للتكلم عن كريم» .

«لا أعرفه» . جاء الرد .

ضغط ليڤانت على الزر بإبهامه «بلى ، أنت تعرفه . والآن افتح الباب . أنت تعرف من أنا»

صدر صوت جرس ثم رنة معدنية للقفل ينفتح . دخل ليڤانت

وسمع قفل الباب يغلق خلفه . جاء الصوت أشبه بزنزانة في سجن . فاحت رائحة الكحول العفنة داخل النادي الخالي إضافة إلى المعقم الرخيص . كل سطح من الأسطح التي صبغ معظمها باللون الأسود مصحوب بالانبثاق الفج للصباغ بلون النيون . كل سطح بدا دبقاً ببقايا الشراب المسفوك ولزقاً ببقية مياه التنظيف التي لم تجفف .

ظهر رجل يرتدي الأسود الكامل ، بعضلات مطورة لذراعيه على جذع ضامر ، يعلو فمه شارب بعرض القلم وينزل حتى ذقنه ليبدو وكأنه قد جرى رسمه بمخطط عيون نسائي وقرط في أذنه اليسرى .

«من أنت؟»

قيّمه ليڤانت في لحظة واتخذ التصرف الملائم . ركض نصف ركضٍ ونصف مشي ليصل إلى الرجل ، دار حول المشرب الدائري ، سحب مسدسه ودسه بقوة تحت أنف الرجل .

حاول الرجل أن يتملص ويتراجع لكن ليڤانت أمسك بياقة قميصه وجذبها بقوة بقبضته ، حتى ملأ صوت تمزيقها فضاء النادي الفارغ

«أنت تعرف سبب وجودي هنا ! هذا آخر مكان تواجد فيه كريم . هل تظن أنني لا أعرف ما فعلته؟»

بان على الرجل الرعب «لا ، لا !»

«لا تتلاعب معي ! أتريدني أن أحرق هذا المكان وأنت موجود بداخله؟ سوف أحرص على أن تكون أول شيء تلامسه النيران ! من يوجد هنا غيرك؟»

«لا أحد !»

«من أنت؟»

«ألبير . أنا أعمل لدى يوري»

تلفت ليڤانت حواليه . المكان مليء بمساحات جلوس دائرية ، العديد من الطاولات المواجهة لاتجاهات مختلفة ، وكلها مرتبة حول حلبة الرقص المركزية . هناك غرفة صغيرة لمشغِّل الأسطوانات في أعلى نقطة بالقاعة ، أشبه بقفص مليء بالسماعات والأجهزة حتى سقفه . يمكن لسرية جنود أن تختبئ هنا ولن يعرف عنها شيئاً . أخذ يسحب سحلية الصالة إلى إحدى الطاولات ، وسحبه بقوة حينما حاول أن يركض وضربه بعقب مسدسه بين كتفيه بقوة . نبح الرجل مثل كلب . ألقى به داخل المجاز وصوَّب المسدس إلى رأسه

«تكلم . الآن»

رغم أنه استمر في المعاناة من ألم الضربة التي تلقاها في ظهره ، تمكن الرجل من السيطرة على أعصابه ، واتخذ موقفاً وقحاً

«ما الذي تريد أن تتكلم عنه يا حلو؟»

«كريم . أخبرني من الذي قابله في الليلة التي مات فيها وكل ما قاله»

«أنت أدرى بالطريقة التي تسير بها مثل هذه الأمور -» نظر ألپير إليه . فوجئ ليڤانت ليرى الذكاء خلف العينين السوداوين . رغم أن الشاب لم يكن قد تجاوز بداية عشرينات عمره ، إلا أنه قد بدأ يظهر تأثير الليالي المتأخرة في السهر ، وما يوازي كيس صيدلي من الكيماويات التي استعملها ليجعل حياته قابلة للاحتمال . لم يكن ضوء النهار صديقه ، تماماً مثل أحد عبيد دراكولا . قال ألپير «أنت لست أحد رجال كريم . بل أنت شرطي . ولذلك لن تطلق عليَّ النار» .

«ذلك هو ما تظنه» قال ليڤانت .

«مثلما قلت لك ، أنت تعرف كيف تسير هذه الأمور . ربما أتعرض للضرب لمجرد تواجدي معك في الغرفة نفسها ، ولذلك فربما يستحسن أن تعتقلني الآن»

«أنا لن آخذك إلى أي مكان . هل تعتقد أنني سأسمح لحقير مثلك أن يدخل سيارتي؟»

أصبح بوسع الرجل أن يرى بأن ليڤانت يقول الحقيقة . استند إلى ظهر كرسيه ، أفرد إحدى ذراعيه على ظهر الكرسي والأخرى ممددة على الطاولة «أطلق علي النار إذاً» .

امتص ليڤانت شفتيه إلى أسنانه . لقد أضاع الاستمرارية وقوة الدفع . مدَّ يده إلى جيبه الخلفي وأخرج طقم أصفاد يدوية «ارتد هذه» .

نفذ ألپير ما أمر به وجلس واضعاً يديه على الطاولة أمامه . وزع ليڤانت نظره على الأبواب ومخارج الحريق التي تملأ المكان حول المشرب وحلبة الرقص . ولم يجتذب صراخهما أي شخص خارجاً من المطبخ أو المخزن . مدَّ يده إلى مؤخرة حزامه وسحب قطعة معدن طويلة ثقيلة . اتسعت عينا ألپير حينما اعتقد أنها أنبوب كاتم لصوت المسدس .

«أنا آسف بشأن هذا» قال ليڤانت وهو يقترب «الفرصة الأخيرة . أخبرني بما تعرفه . من هم الناس الذين كان كريم معهم ليلة مقتله؟»

أفرد ألپير كفيه إلى الأعلى ، بدأت الأصفاد تطقطق . «أعطني فرصة . لقد سمعت أنه شخص من بلدة موطنه . لقد نشأ بينهما خلاف لفظي على سيارات الأجرة . ذلك هو كل ما سمعته» .

أصبح ليڤانت واقفاً فوق رأسه ، يوازن قطعة المعدن السوداء

الضاربة إلى الزرقة في يده . راقبها ألپير . «ليس هذا ما سألتك عنه»

«ألا تعرف أنت من الذي يريد موته؟»

«للمرة الأخيرة» . قال ليڤانت «من هو الذي تكلم معه كريم عندما كان هنا؟»

«لقد أخبرتك - أنا لا - »

فقد ليڤانت صبره . ضغط على زر في جانب الأنبوب المعدني فتطاول إلى ثلاثة أضعاف طوله الأصلي مع صوت تقليب . هذا عصا قابل للتطويل . أنزله بقوة على ركبة الپير «من - كراك» «كان - كراك» هو «كراك - بصحبته؟»

مدَّ الپير يديه ليحاول أن يدافع عن نفسه ويحمي ركبته لكن ليڤانت ضربه على قفا معصمه ، ما تسبب في زعقة ألم أخرى منه رفع العصا مرة أخرى وقد اتسع خيشوماه ، فانهار الپير «أرجوك ! - لقد قلت لك ! أنا لا أعرف»

أصبح ليڤانت على وشك أن يهوي بالعصا مرة أخرى حينما بدأ كل شيء يدور . استطاع للحظة أن يرى الأضواء على كرة الديسكو الكريستال قديمة الطراز المعلقة من السقف ، وبعدها وجد نفسه ملقى على الأرضية وتحول كل شيء إلى السواد .

انتفض وحاول أن ينهض لكن يداً على صدره دفعته إلى معاودة الرقاد .

«بوراك؟»

«ابق مضطجعاً حتى يصفى رأسك . لقد قالوا إنك تلقيت صدمة قوية»

عبس ووضع يده على مؤخرة رأسه فأحسَّ بالكتلة الدامية . وجد

نفسه في غرفة باردة وسط صفوف من صناديق المشروبات العادية ولوازم المشرب الأخرى المتنوعة تملأ الجدران البسيطة من قوالب الاسمنت . «هم قالوا؟»

تنحى بوراك جانباً ليكشف وجود الرجل ضخم الجثة واقفاً وراءه . كشفت اللحية الصغيرة عن شعره الأشقر المحلوق وطيات الشحم حول رقبته غير الموجودة ، والتي تؤدي إلى كتفين بحجم البرميل

أعاد ليڤانت رأسه على الأكياس التي كان راقداً فوقها وندم على الفور . قال بصوت محمل بالألم «مرحباً يا يوري»

***

«أنت غير مضطرة لأن تذهبي معي إلى المطار» قال أورهان وهما يغادران الشقة . «أقصد بعد كل الذي -»

«لا ، أريد أن أعود إلى هناك معك» ردت آيلا «هذا أفضل لأنني أحتاج إلى الذهاب الآن - عندما ستطير مغادراً . لن أؤجل المسألة بهذه الطريقة» . وقفت على أصابع قدميها ثم وضعت أصابعها على حاجبه «هل ما زال يؤلمك؟»

قال «لا» وهو يزم شفتيه

عاودت الهبوط على نعل حذائها «يتحتم عليّ أن أرى الشكل الذي يبدو عليه مسعود ، صح؟»

«صحيح ، لقد تلقى علقة حقيقية»

تمشيا في صمت باتجاه موقف السيارات وركبا السيارة ، أدار أورهان اتجاه السيارة إلى D100 بدون أن ينطق بأكثر من بضع كلمات عن العشاء المختصر الذي تشاركا فيه لتوهما . نظرت آيلا خارج شباك الراكب الجانبي إلى ألوان قوس القزح التابعة لمركز تسوق جاليريا

تومض في المدى ، ووعدت نفسها برحلة إلى هناك أثناء عطلة نهاية الأسبوع . وصلا إلى مركز التجارة العالمي وبعدها لاح المطار أمامهما بدت الأضواء على طول الطريق السريع وكأنها تزداد بريقاً وعدداً . بدأ قلبها يخفق بعنف .

لاحظ التغير في معدل تنفسها «هل أنت على مايرام؟»

«نعم» . مدت يدها إلى قاعدة شباك السيارة «أنا بخير . استمر في القيادة»

نظر إليها متفحصاً ثم إلى الطريق وعاود النظر إليها «حسناً . فقط أخبريني إذا أصبحت بحاجة إلى أن أتوقف . موافقة؟»

«سوف أخبرك» . تنفست من خلال أنفها «استمر في القيادة» .

أوصل أورهان السيارة إلى موقف الفترة القصيرة ، الأقرب بين ساحات الوقوف .

«هل أنت متأكدة من مسألة ركوب سيارة أجرة؟ أستطيع أن أوصلك إلى البيت ثم أعود في وقت كافٍ للحاق بطائرتي ، على ما أظن . سأكتفي بإبراز بطاقة هويتي لهم»

«كلا» فكت حزام الأمان وفتحت الباب . «أعتزم الدخول معك»

قاعة المغادرة ما زالت كما كانت بالضبط لحظة وصولها قبل ليلتين ، فيما عدا أنه يوجد حالياً حائط تقسيم كبير من رقائق الخشب يفصل المنطقة التي فتح فيها المهاجمون النار . ملأت الزهور والبطاقات والأشياء المتنوعة الأخرى المسافة من الباب حتى بوابات المغادرة الجديدة .

أشارت إلى العمود «هذا هو المكان الذي اختبأت فيه كانوا وراءنا هناك . يطلقون النار على كل الناس»

لم يكن أورهان بطبعه ميالاً إلى إظهار التعاطف العلني ، لكنه وضع ذراعه حول كتفيها ويده الأخرى فوق ذراعها كان هناك العديد من الناس الراكعين ، يقرأون الملاحظات المكتوبة على البطاقات المدبسة إلى باقات الزهور . القصارة الجديدة على ثقوب الرصاص ، لكنها لم تكن قد طليت بعد ، ما أعطى القاعة منظر موقع البناء الذي يكاد يكتمل . استوعبت عين أورهان المحترفة كل هذا . فقد كان لا يزال مغلقاً لدى وصوله بالأمس تلا صلاة شكر صامتة لكونها قد خرجت سالمة . لقد شاهد تمارين حريق حية لم تترك ذلك القدر من الدمار .

وصلا إلى أول نقطة تفتيش جوازات السفر لكونه قد أثبت حجزه بواسطة حاسوب آيلا المحمول ، وتوقفا عند رجال الأمن

قال لها «أنا أحبك»

«أنا أحبك أيضاً»

«هل تسمحين لي بمرافقتك في الخروج؟ لقد تمكنت من الوصول إلى هنا ، صح؟»

«لا . أريد - أعتقد أنني أريد أن أرى المشهد مرة أخرى - أنا وحدي . هل تفهم هذا؟»

قال «لا ، ولكن إذا كان ذلك سيساعد . . .» توقف عن الكلام ، غير قادر على إنهاء الأفكار أو العثور على المسار نحو إنهائها

«خابرني عندما تحط طائرتك ، وابعث لي برسائل نصية عندما تأخذ فترات استراحة . ابحث عن مكان رخيص يمكننا الإقامة فيه داخل مارمريس أنا لم أذهب إلى هناك من قبل»

ألقت بذراعيها حول عنقه ، أما هو ، فقد تردد بسبب خجله الشركسي قبل أن يبادلها العناق .

قال «سوف أراك قريباً»

عند وصول آيلا إلى الشقة بدأت على الفور بتحضير بعض الشاي وأخرجت هاتفها من حقيبة يدها . خابرت رقم ديميت ، وأسقطت كيس شاي في القدح والهاتف ملاصق لأذنها في المطبخ ثم تحايلت على وعاء السكر وفتحته

«هاي ! هل سمعت؟ ما الذي قالوه؟» تناولت ملعقة «وهل قالوا أن تحضري يوم الأربعاء؟ ممتاز ! أية ساعة؟» أصغت بتركيز «عظيم . عظيم . لا لا - الأفضل الدخول أولاً ، دائماً . اصنعي انطباعاً جيداً لديهم وبعدها سيعيدون استدعاءك لرؤيتك مرة أخرى . لتذكير أنفسهم . لا يتم التعاقد مع أي شخص من الجولة الأولى . نعم ، تعالي إلى هنا . سوف أتأخر في العمل لبقية الأسبوع ، ولكنني سأنهي مبكرة يوم الجمعة . أي ساعة؟ نعم ، سوف أطهو ! لا ، أنا بخير ، حقيقة . سيكون أورهان في عمله . طيلة نهاية الأسبوع . نعم ، سوف نتمكن من مراجعة كل شيء . رائع . سأراك وقتها»

ابتسمت وهي تضغط على الزر الأحمر لتنهي المكالمة ، دخلت غرفة الجلوس وفتحت التلفاز . اشتاقت إلى أورهان وهي تتكور على الأريكة ، ولكنها أحست بالأمان للمرة الأولى منذ أن خابرها بارس وطلب منها أن تذهب إلى المطار لتقابل المستر ستوريوهان .

الفصل العاشر

حدّق ليڤانت في الصفيحة المسطحة لملامح يوري السلاڤية واتخذ وضعية الجلوس . ظل بوراك واقفاً عند مؤخرة الغرفة عاقداً ذراعيه على صدره .

«أنا في غاية خيبة الأمل يا ليڤانت . لقد قمت بضرب فتاتي والآن تقدم على ضرب مدير مشربي؟» صوت يوري عندما يتكلم اللغة التركية يجيء بطيئاً ومتعمداً ، وهو فارق واضح عندما يستمع إليه وهو ينبح بالروسية على مساعديه ، والذين معظمهم أبناء إخوته وأبناء عمومته من أوديسا

«كان بوسعك أن تتصل بي على الهاتف- ألم يكن بوسعك أن تجيء لزيارتي هنا؟ نحن صديقان قديمان ، وإذا كنت تبحث عن شيء ما فأنت تعرف أنني كنت سأعطيك إياه ، على الأقل إذا كان ضمن قدراتي . أنت الآن رجل مهم . إن عملك يحمينا كلنا» .

خلق يوري انطباعاً مقنعاً عن كونه متألماً «لماذا هذا اللؤم؟»

تنحنح ليڤانت ورفع رأسه «إنها عملية لئيمة وقذرة فعلاً»

«أعرف ذلك» . قال يوري «لقد طعن كريم حتى الموت عندما كنت تمسك بمسدس مسلط عليه . ذلك أمر في منتهى اللؤم فعلاً» .

ارتفع كتفا الروسي الكثيفتان وتراجعا إلى الوراء وعادا إلى الارتخاء ، وتقوس حاجباه في براءة «أنا أعرف كل شيء»

«من الذين كان كريم يتحدث اليهم ليلة مقتله؟»

«لقد كان يتحدث إلى بعض من أبناء الجيش . إنهم يأتون إلى هنا كثيراً . إنهم يحبون البنات» . فتح يوري كفيه «إليك - هل كان ذلك على تلك الدرجة من الصعوبة؟ إنت تسأل . إنا أخبرك» .

«هل هم من الجيش؟»

«طيارون» . لفظ يوري الكلمة بإطالة الحروف الصوتية ، على الطريقة الروسية .

«هل تعرف أي شيء عنهم؟ عن وحدتهم؟ وعدد المرات التي يجيئون فيها إلى هنا؟»

تبادل يوري وبوراك النظرات بنوع من التفكه

قال بوراك «أنت محظوظ يا ليڤانت . لو أنك حاولت هذا الأمر في نادٍ ليلي آخر أو أي مكان آخر لرفعوا رجليك في الهواء واستدعوا صديقك ليأخذك إلى بيتك» .

علّق يوري بقوله «موحِل»

«أعرف» .

«إذاً لماذا انعدام الحذر؟ أولاً كريم والآن هذا؟» ابتعد بوراك عن الجدار ووقف منتصباً

فرك ليڤانت رأسه مرة أخرى «لا أعرف . هناك ابنة أخ سليمان . الفتاة المقيمة في الشقة» .

«أنت تعرف أن لدي بناتي -» تصالبت ملامح يوري «إذا كنت قد أتيت إلى هنا لكي تتدخل في عملي - »

لوّح ليڤانت بيده «كلا . ذلك لا يثير اهتمامي . هناك شيء ما حول كل هذه المسألة أجده غير صحيح . أنت تعرف - الرجال من

أمثال كريم يجري ضربهم طيلة الوقت . سواء كنت أنا موجوداً أم لا ، ليس هناك فرق - ولكن لماذا تواجد هنا؟ في هذا النادي ويسكن عند فتاتك يا يوري؟»

نفض يوري كتفيه «إنه يحضر إلى هنا منذ سنوات . بدون انتظام . أنا لا أعرفه بدرجة كافية ولا نتكلم كثيراً أبعد من المشروبات التي يشربها والبنات اللاتي يحبهن . بالنسبة لي . أنت تترك أمورك السياسية عند الباب»

«لقد كان الأمر أبسط مما يجب» تمتم ليڤانت «ذلك هو ما كان عليه»

شخر بوراك «هل تسمي ذلك بسيطاً؟ أنت لم تكن مضطراً إلى نقل صديقك سليمان بسيارتك إلى الريف مثل كلب . أو تقوم بعملية التنظيف هناك في الشارع»

«لقد كان مهملاً في حماية نفسه» أخذ ليڤانت يكلم نفسه «كريم - بوجود كل الناس الذين يبحثون عنه والجماعات التي قاتل معها في الجنوب . لماذا كان يسير - يسير ! عائداً إلى بيته في منتصف الليل؟»

«إنها مسافة قصيرة» قدم يوري التبرير

«ما كنت ستمشي في ذلك الشارع يا يوري ، وأنت لست مطلوباً كما كان كريم . لقد كانت المؤسسات الأمنية كافة في البلاد تبحث عنه ، وهو يقوم بالتمشي في الأنحاء؟»

أثير اهتمام بوراك عند هذه اللحظة «ما الذي تفكر فيه يا ليڤانت؟»

«يوري ، هل سمعت عن أي شيء سيحدث في نهاية هذا الأسبوع؟»

أدار الروسي رأسه

«إذاً سلمني هؤلاء الطيارين الذين كان كريم يشرب معهم . أريد أن أعرف كيف يحدث أن يتناول إرهابي الشراب مع رجال في الجيش داخل مكان عام» .

قال يوري «أنا لا أعرفهم . إنهم يحضرون . يستمتعون بوقتهم ثم يغادرون . أنا لا أسجل عناوينهم ولا آخذ أرقام هواتفهم»

نهض ليڤانت متأرجحاً على قدميه ثم أغمض عينيه عندما انطلق الألم عبر رقبته ورأسه . مدَّ بوراك يده ، قلقاً على صديقه ، لكن ليڤانت دفعه بعيداً عنه بلطف .

«أنا بخير» . رفع عينيه باتجاه يوري وهو يزمهما لشدة الألم «أنت تجبرهم على التوقيع عند دخولهم من الباب ، ألا تفعل؟ هذا ناد خاص . إنهم ملزمون بإبراز هوياتهم الشخصية»

تنحنح يوري «هذا صحيح» .

«وهكذا فأنت لديك عناوين وأرقام . دعني أرى سجلاتك»

بدت على يوري الحيرة والاضطراب عند هذه النقطة «هناك الكثير من الأسماء الكبيرة في تلك السجلات . أنا لست مرغماً على أن أطلعك عليها بدون أمر من المدعي العام ، صح؟»

«يوري –» قال بوراك .

«أنت غير مضطر ، ولكن الأفضل لمصلحتك هو أن تشير إلى الأسماء ، تسمح لي بقراءتها ، وبعدها لن نقول المزيد عما حدث هنا في هذا اليوم» قال ليڤانت .

تلك كانت كذبة . فهو ليس على وشك أن ينسى

فكر يوري للحظة ثم ظهر أنه يوافق «كما تقول . سيقوم الپير –

ذلك هو الشاب الذي كنت تضغط عليه - سوف يعرض عليك»

خرجوا من الغرفة ورأوا الپير جالساً على أحد الكراسي العالية القريبة من حلبة الرقص ، وإلى جانبه أحد رجال يوري ضخام الجثة تساءل ليڤانت عما إذا كان هذا هو الرجل الذي ضربه على مؤخرة رأسه . سخر الپير ضاحكاً من مرأى الدم المتخثر على قفا رقبة ليڤانت .

نبح فيه يوري «امسح تلك الابتسامة السخيفة عن وجهك وأحضر سجلات الاستقبال» . قفز الپير عند سماع صوت سيده «وأحضر بعض القهوة في طريقك»

ثم استدار نحو ليڤانت «أم تراك ترغب في شيء أقوى؟»

نفض ليڤانت رأسه رفضاً ، فشعر بألم مفاجئ ، وبعدها رفع يده بدلاً عن ذلك «لا»

قال يوري «همم . كما تشاء . أحضر قليلاً من الڤودكا لي ولأليكس أيضاً»

بعد خمس دقائق ، عاد ليڤانت وبوراك إلى الشارع ، ليڤانت يحمل اسماً وعنواناً شرعياً وما يقارب ملء فنجان من القهوة في معدته . وهي كمية تكاد تكفي لجعل الصداع يبدأ في الاختفاء .

بعد ذلك بثلاثين دقيقة ، وقف هو وبوراك أمام عمارة شقق سكنية في حي بيكوز . نظر بوراك عبر زجاج شباك السيارة إلى المساحات المزروعة بالعشب الأخضر والمعتنى بها أمام البناية ، وقد أظلت السيارة من الشمس شجرتا دلب ذات ساقين ضخمتين .

قال «هذا ليس سيئاً على الإطلاق . يتمتع هؤلاء الطيارون بحياة رغيدة» .

أطفال صغار يلهون على الدراجات ، بينما تسير أمهاتهم إلى

جانبهم ، وجلس كبار السن ومن يتولون رعايتهم على مقاعد خشبية . يراقبون . امتلأت السيارة بشذى الزهور الحمراء والصفراء التي تملأ حوض الزهور القريب ، ما أشعرهم بالعنصر الحقيقي لفصل الصيف .

استرخى الرجلان بعد ركوب السيارة الموتر ، وأخذا يقيمان الموقف .

سأل ليڤانت «هل أنت قادم معي؟»

«كلا ، لست قادماً» قال بوراك بصوت يحمل السخرية «أنا مازلت فوق مستوى رجل الدورية بدرجة واحدة ، هل تذكر؟»

«أنت تحري»

«ذلك صحيح . لكن معرفة أن الدق على أبواب الضباط العسكريين بدون سبب معقول هي فكرة سيئة ، لا تحتاج إلى الكثير من الاستقصاء . أنت تستطيع أن تنجو بجلدك من مثل هذه التصرفات بسبب معارفك وصلاتك ، لكنني سأقضي بقية السنة وأنا ألاحق أموات المشردين ، هذا إذا كنت محظوظاً»

جذب ليڤانت مقبض الباب . مدَّ بوراك يده عبر المقعد وأوقفه . «مارس الحذر ، وكن مؤدباً . وإذا لم تعد خلال عشرين دقيقة ، فأنا سأجيء باحثاً عنك» .

هزَّ ليڤانت رأسه وخرج من السيارة .

أبرز هويته للبواب في وسط الممر وسأل عن شقة الطيار توران . حدَّق الرجل في الكلمات الموجودة على المحفظة ثم أشار باتجاه المصعد «الرقم أربعة وثلاثون . اضغط على زر الطابق الثالث» .

وجد ليڤانت باب الشقة رقم أربعة وثلاثين مفتوحاً وشاغلها واقفاً ينتظره لحظة وصوله

«هل تتوقع شخصاً ما يا توران؟»

«لقد رن الهاتف قبل لحظة وقيل لي إن الشرطة صاعدة في طريقها إلى هنا» .

وقف ليڤانت أمامه «أنا لست من الشرطة» .

توران طويل القامة أطول من ليڤانت ، وأطرافه طويلة . قدَّر ليڤانت أنه لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره بكثير . تحمل ذقنه ما يمكن تسميته لحية ، لكنها في الحقيقة مجرد نمو شعر معالج بعناية من قبل الحلاق . فكَّر ليڤانت أن هذه من مزايا الطيارين . يرتدي بنطال جينز داكن وقميصاً أزرق فاتح اللون ، وقد طويت الأكمام لتكشف عن ذراعين غير مشعرين . اليدان والأصابع الطويلة عائدة لرجل معتاد على أداء بعض الأعمال بواسطتها ، ولكنه يفضل أن يترك حمل الأشياء الثقيلة للآخرين .

«هل ستسمح لي بالدخول؟»

«إذا لم تكن من الشرطة ، في هذه الحالة لا أعتقد أنه يفترض فيَّ إدخالك»

الشقة خلفه هي لشاب عازب بشكل نمطي . استطاع ليڤانت أن يرى غرفة جلوس منمقة ، كنبة حديثة من الجلد الأسود ، ولكن بدون أية زينات ، ولا صور على الجدران ، ما عدا ملصقات رخيصة يحتمل أنها كانت موجودة عندما سلمت المفاتيح لتوران .

«لقد تم التعرف عليك في ترددك على الملهى الليلي لرجل ذي جنسية أجنبية يدعى يوري سومولوف . هذا تاجر مخدرات معروف ويتوسط بإحضار النساء وقد اتهم بالإشراف على العديد من حوادث العنف» . أدخل ليڤانت يده في جيب بنطاله الجينز وأخرج هاتفاً .

«هل هذه دماء؟» سأل توران .

تجاهله ليڤانت «إذا أحببت فسوف أتصل بقاعدتك ، أحضر ضابطك القائد إلى الهاتف وأرتب لهذا البحث أن يتم في الموقع هناك . أو أنك تتكلم إليّ هنا . أيهما تريد؟»

أطلق توران انفجاراً طويلاً من الهواء من خياشيمه لمجرد إفهام ليڤانت كم هو منزعج ، ثم تنحى جانباً . خطا ليڤانت إلى الداخل ، عبر الصالة واتخذ مجلساً في الكنبة الواسعة على الطرف القصي من غرفة جلوس توران . جاء توران ووقف عند الباب ، يداه مدسوستان في الجيوب الخلفية لبنطاله الجينز

«ليس لدي وقت لأطيل الكلام» أفرد ليڤانت يديه على ذراعي المقعد . شعر أن بإمكانه الغطس إلى الوراء داخل الكنبة والخلود إلى النوم هناك . «أنا في جهاز الـMIT . في هذه اللحظة ، أنا أحقق في موت رجل كردي اسمه كريم . أنت تعرفه لأنه تمت مشاهدتك بصحبته مع بعض من أصدقائك في الليلة التي مات فيها»

وقف توران ساكناً مثل الصخر . ذهب الغضب المفتعل عنه ، ليحل الخوف محله

«أريد أن أعرف ما قاله وما الذي سيحدث في نهاية الأسبوع»

حدق فيه توران بدون أن يرمش .

«اسمع» تقدم ليڤانت في جلسته «ما قلته لتوي يكفي لأن ينهي مهنتك كطيار . ربما حتى يدخلك السجن . أنا لا أعرف ما الذي كنت تفكر فيه أنت والآخرون أو ما الذي كنتم تفعلونه ، ولكن إذا كان هناك أمر كبير سيحدث خلال نهاية هذا الأسبوع ، شيء مثل حادث المطار قبل أيام ، فأنت مجبر على أن تقوله الآن . إليّ . إذا لم تفعل» . رفع

يديه في الهواء وعاد إلى الارتكاء للخلف «فأنت لن ترى هذا المكان مرة أخرة . سوف يدفنونك» .

ازدرد توران ريقه . يعرف ليفانت الذعر حينما يراه ، حتى لو كان الطيار قد خضع لتدريب جيد . «أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه»

أطلق ليفانت ضحكة صغيرة . رفع ذراعه المضمخة بالدماء «لقد رأيت بنفسك ما عانيته حتى أصل إلى هذا الحد يا توران . لا تعتقد أن هذه هي نهاية المطاف . لديك يومان . حسناً ، يوم واحد في الحقيقة بعد ذلك يصبح الوقت متأخراً جداً بالنسبة لك» نهض واقفاً ووضع بطاقة على مسند الكنبة بمنتهى العناية . «ولكن تذكر» . قال وهو يستدير «ليس الوقت متأخراً حتى توضع الخطة موضع التنفيذ . حتى ذلك الوقت ، يظل بالإمكان فعل شيء ما . ذلك متاح دوماً . فكر في المسألة» .

ألقى على الطيار نظرة مطولة أثناء مروره . أشاح توران بنظره إلى الجدار العاري .

خرج ليفانت بدون مساعدة .

الفصل الحادي عشر

لم يكن ستيف قد زار كوباني قبل الحصار، رغم أنه واحد من أطول العملاء الذين خدموا في الشرق الأوسط داخل المنظمة. الحقيقة هي أنه لم يكن قد سمع بها حتى قبل ذلك. فالمدن والبلدات المألوفة لديه تبعد قرابة مئة ميل إلى الشرق، على الحدود العراقية - التركية ظل قبل العام ٢٠١١ مضطراً إلى البحث عن شريط الأرض في الناحية السورية - التركية داخل كتاب مراجع. أما الآن فهو بالطبع لديه خرائط مبنية داخل هاتفه الخلوي، بينما تقوم الأقمار الصناعية بإرسال المعلومات إليه ليس فقط عن مواقع البلدات، بل أيضاً عن تحركات الجنود في المنطقة، مناطق السيطرة، الوقت المقدر للإخلاء من موقعه الحالي. كل ذلك ضمن الوقت الحقيقي، العالم كله موجود أمامه على شاشة.

كان يجلس في ظلال ما بدا مثل بناية قطاع عام، وقد نسفت مقدمتها بالكامل لتكشف عن الغرف في الداخل. وضعت بضع طاولات في ذلك المكان، أشبه بمقهى مؤقت، حيث سخر ستيف ليرى أن الزهور الموجودة على الطاولة موضوعة بداخل غلاف قذيفة مدفع قديمة. تمتم لنفسه «بعد الظلام يأتي النور». وهو يتخذ جلسته في الكرسي

جلس لوحده، بحيث يحدق فيه أي شخص مار بالصدفة

مستغرباً ، وكلهم رجال ، ولكن لم يكلمه أحد أو ينظر إليه لمدة طويلة على الرغم من المحاولة الحصيفة ، أدرك ستيف أنه مراقب طيلة كل لحظة يبقى خلالها في المدينة ، أسكنه الشخص المتصل معه في الغرفة البسيطة داخل بيت آمن في الجوار ، لكنه أحسّ برهاب الأماكن المغلقة وأراد أن يتنفس في الهواء المفتوح . إذا كانوا يراقبون بيته ، فالأحرى بهم أن يراقبوه وهو جالس لا يفعل شيئاً استبدل الجدران الأربعة الأشبه بالزنزانة في الغرفة فوق بثلاثة جدران منسوفة للمقهى وجلس ، يتأمل منظر الدمار الشامل حوله . نسي بطريقة ما أن رائحة الموت تستغرق وقتاً طويلاً لتغادر مكاناً ما بعد المعركة ، حينما تكون الحصيلة التي يتم دفعها عالية جداً . الركام يملأ كل الشوارع بينما تملأ ثقوب الرصاص كافة الجدران . الأثاث واللوازم البيتية وألعاب الأطفال البارزة للعيان ، كلها متروكة مبعثرة في الأنحاء ، بقايا الهروب المشوب بالذعر ، وهو الخيار الوحيد المتبقي في وجه جدار من اللهيب .

عاد المستثمر الذي افتتح صالة شاي هناك تماماً في وسط ما كان قبل سنة ميدان معركة ، يحمل صينية ووضع كوباً أمامه

«شكراً»

قدَّم الرجل الذي تكهن ستيف أنه عربي في الثلاثين من عمره ، مع أنه يبدو أكبر سناً ، انحناءة بسيطة وانصرف مبتعداً . عاد ستيف إلى العبث بهاتفه . ذهب المستثمر للاهتمام بالسخان الذي جهز الشاي عليه ، حيث تومض جمرات الخشب في العتمة وسط الحطام المكوَّم ويتطاير الرماد الأبيض مع الريح . ما زالت الكهرباء مقطوعة في المدينة

«أنت على مسافة بعيدة عن مطارك»

رفع ستيف رأسه «وأنت على مسافة بعيدة عن الموصل»

جلس تيرزي إلى جانبه في الكرسي المعدني القابل للطي «لقد أخبرتك مرات عديدة، أنا لست من الموصل. لقد درست هناك فقط»

«لقد درست في نيويورك. ذلك هو ما أخبره للناس عندما يسألونني من أين أنا. للكلمة رنين ووقع أفضل من ميتشيغان»

اقتنع تيرزي بهذا الكلام، فاستند إلى الوراء وعقد ذراعيه وكأنه يحتضن نفسه

تماماً كما هو حال رجل الشاي، استطاع ستيف أن يرى الشيب المستمر في الانتشار يتخذ طريقه عبر لحيته وصدغيه

«كيف هو الوضع؟»

«يصبح مختلفاً قليلاً كل يوم». قال تيرزي

«لقد عرض عليٌ رجالك بعض الخرائط ثم خرائط أخرى. بعضها رقمي وبعضها الآخر قديم جداً. لم يتمكن أي منهم أن يتفق حول من يحتل ماذا»

«يصبح الأمر بسيطاً عندما تعرف ما الذي تبحث عنه». قال تيرزي. أشار بإبهامه من فوق كتفه باتجاه الشمال «الأتراك في تلك الناحية» أشار أمامه وقليلاً إلى يساره «تلك الجهة هي إيران» إلى يمينه «تلك الجهة هي داعش أو ما تسمونه أنتم دولة الإسلام للعراق وبلاد الشام، أو ما شئت». بدأ يلف إصبعه في دائرة. «وفي مكان ما خلفهم توجد سورية الأسد». عاود عقد ذراعيه، رافعاً عينيه باتجاه السماء «وفي الهواء فوقنا كل الآخرين والأجانب، على الجانبين الروس والأمريكان وحتى بعض الفرنسيين والبريطانيين. الأمر أشبه

بالأزمنة القديمة . آه ، وإخواننا في العراق . هناك» . لوح إلى يمينه بشكل عرضي

«يتحتم عليكم أن تبدأوا باحترام الحدود يا تيرزي»

نظر إليه تيرزي «لا أحد غيرنا يفعل ذلك . ولا حتى أنتم أيها اليانكي . إن طائراتكم تحلق فوق كامل المكان ، فوق كل دولة في الإقليم ولا أحد يقول أي شيء»

«الكثير من الناس يقولون أشياء عديدة . لقد سمعت عن عمليات الخطف والضرب التي تحدث عبر حدودنا وهنا . يجب أن تتوقف . لقد تسبب هذا بمقتل الناس»

«ليست لدينا سيطرة على ما يحدث هناك»

تذوق ستيف الشاي أمامه «لذيذ إذا كان - لنسمهم حلفاءك - مستمرين في اقتراف أعمال ارهابية داخل تركيا ، وأنا أتصرف بأدب حينما أصف الوضع بهذا الشكل ، فإن الأمر ينعكس علينا بشكل سيء . أنا موجود هنا لأزودك بما تحتاجه لتقاتل داعش ، ولكن إذا كان ذلك يخلق مشاكل لتركيا ، سنضطر إلى إعادة النظر»

«ألم تكن تركيا حليفتكم عندما دخلتم إلى العراق ، هل أنت تتكلم في السياسة أم التاريخ حالياً؟»

أجابه ستيف مع ابتسامة «إنهما وجهان للعملة نفسها يا صديقي»

«ليس حقيقة أريدك أن تعرف أنني أصبحت فيلسوفاً في أواخر عمري التاريخ هو الحقيقة وتأكيد تلك الحقيقة . السياسة هي مزيج من المصالح الخاصة التي تتغير باستمرار»

«أفهم وجهة نظرك : لقد أصبحت فيلسوفاً . لقد حدث الكثير

منذ ذلك الحين . إنني أتكلم عن هنا والآن يا تيرزي»

«وأنا أيضاً» صوت تيرزي لا يعلو ولا يخفت أبداً ، بل يستمر عند المستوى المعسول .

«أنا مسرور لأنك موجود هنا لتتأكد من أن جميع اللوازم تصل إلينا بدلاً من السماح بوقوع نصفها في أيدي أعدائنا يا ستيف . أنا أشكرك لأجل ذلك . ولكن ما الذي قلته بشأن هذه الحرب وكونها سهلة سابقاً؟ انها تصبح أكثر تعقيداً عندما تحاول أن تفهم من الذي يقاتل من وضد كل الآخرين . هل جلست في أي وقت لتحلل تلك الأحجية؟»

كان ستيف قد حاول لكن التفكير في المسألة سبب له الخدر ذهنياً وبدنياً على السواء .

«أريد لهذا الوضع أن يتوقف يا تيرزي»

«سأرى ما يمكنني أن أفعله ، لكنني أقول لك منذ الآن إنني لا أمتلك أية سلطة في هذه المسألة»

«أنت تقود فرقة بكاملها . وأنت تمتلك من النفوذ أكثر بكثير من مجرد عقيد يقود كتيبة . أنا أعرف ذلك»

«يقتضي تكوين جيش كامل وجود العديد من الكتائب . تلك هي مهمتي . وليست توبيخ الناس لأنهم تجاوزوا بعض الخطوط»

مال ستيف إلى الأمام ، وقد أسند مرفقيه إلى ركبتيه . لحيته ما زالت بحاجة إلى الوقت حتى تصل إلى ركبتيه «نحن نتكلم عن أكثر من تجاوز أي خط هنا يا تيرزي»

«آه !» اندفع تيرزي إلى الوراء «ولكن ذلك هو ما نتحدث عنه بالضبط ، أليس كذلك؟ لقد أصبحت الحدود حالياً مجرد خطوط ، ألم تصبح؟»

«أعرف مجموعة أخرى تقول الشيء نفسه بالضبط» .

اسودّت ملامح تيرزي «ولم تعد تلك المجموعة موجودة هنا . نحن نقوم بدفعها عائدة إلى المكان الذي جاءت منه . ليس لديهم مكان في هذه الأرض . هم مجرد مرتزقة ومتعصبون»

هزّ ستيف رأسه «هل يمكنك أن ترى لماذا أقول لك هذا الآن ، وما هي درجة أهميته؟»

انتظر تيرزي حتى وضع رجل الشاي كوباً إلى جانبه وتناول ملعقة . بدأ يحرك شايه بدوائر واسعة وبطء . «هذا هو الوضع الذي نحن فيه ، يا صديقي . كل شيء يدور ويتقلب ، يختلط ببعضه بعضاً» . أخرج الملعقة ورفعها أمامه «البعض منا ، مثلك ، سوف يخرج وسيكون كل شيء على مايرام» . أحنى رأسه باتجاه السائل المتباطئ في الفنجان «ولكن من يعرف أين سيهبط كل شيء آخر؟ لا أحد يعرف متى سيتوقف هذا الوضع ، وقلة قليلة من الناس هي التي ستتمكن من السيطرة عليه . أحياناً - بين الفينة والأخرى -» دفع بالملعقة إلى وسط الشاي فتوزع السائل حولها في دوائر صغيرة . «يصل عنصر جديد ، ويبدل كل شيء مساره مرة أخرى . المسار يتلوى وينحني . نحن ما زلنا بعيدين جداً عن نهايته ، ولم يكشف جميع مسافرينا عن أوراقهم»

«نحن لا نفتأ نسمع شائعات عن دولة كردية يجري التحضير لها يا تيرزي !»

«أنا أسمع الشائعات نفسها يا صديقي ، ولكن أنت وأنا نعرف أنها ستكون أمراً صعب التحقيق . لم يتوحد شعبنا حتى الآن وتركيا لن تسمح بقيامها»

اعتدل ستيف في جلسته ووضع ساقاً فوق الأخرى .

«لا أعتقد أن موقف حكومتي قد تغير بالنسبة لذلك الأمر ، على الأقل ليس بشكل مكشوف . ولكن يا تيرزي ، فقط أوقف ذلك العمل الخرائي عبر الحدود ، تمام؟»

الفصل الثاني عشر

سوق نيقوسيا المفتوح مدرج ضمن كتاب دليل الجنرال ڤوتيل على أساس مركز جذب سياحي محتمل ، لكن كلا من المشاهدين وموظفي الفندق أخبروه بأنه مركز تسوق للسكان المحليين أكثر منه موقعاً لمشاهدة الزوار . ثبت أن ذلك مثالي لاحتياجاته

بدلاً من السماح له بأن يلاحق خطته الأولى بالمشي إلى هناك ، رتب له موظفو فندق الهيلتون حضور سيارة أجرة لتقله من باب الفندق لرحلته . ظلوا محتارين من تصميمه الظاهر إلى أن أخبرهم أنه ينوي مقابلة صديق قديم يسكن في مكان قريب من هناك .

باتوا سعداء في إفهام السائق عوضاً عنه ، وبدأت الرحلة بالمرور عبر منتزه معتنى به وبعده إلى ما اعتقده الجنرال الشارع المدعو «شارع الرئيس جون كينيدي» . من هناك ، مشت السيارات عابرة شارع كاربينسيو قبل أن تتداخل مع حركة السير في شارع ماكاريوس الثالث

تساءل ڤوتيل في سره عما إذا كان ماكاريوس ملكاً أم قسيساً ذكرته بعض الأسماء اليونانية للشوارع المستمدة من كتب التاريخ في كلية ويست پوينت ، لكنه لم يستطع مهما حاول ، أن يتذكر ما فعله أي من البيزنطيين المعنيين تساءل مستغرباً وهو ينظر إلى الشوارع الضيقة المنزوية للمدينة القديمة ، ما إذا كان سيتسنى له الوقت فعلياً

للخروج ومشاهدة بعض المناظر والأجواء المتوفرة. لم يكن يفترض في هذا الاجتماع أن يستغرق وقتاً طويلاً، ولكنه تذكر أنه قد حجز لرحلة بالطائرة مغادراً الجزيرة بعد بضع ساعات. بغض النظر عما قاله ذلك الجاسوس، هناك عنصر خطأ فيما كان يفعله، حتى لو أنه يتفق مع أن الغاية تبرر الوسيلة من حيث المبدأ

ليس هناك جنرال معاصر يمكن أن يقترب من مجرد قول ذلك، حتى في أشهر حالات سكره أن يقترح بأن البلاد، أي أمريكا، ستكون بحالة أفضل بين أيدي العسكريين، لكن الحقيقة البسيطة هي أن هذه هي الحقيقة. حتى الجاسوس أدرك ذلك. لقد تم ضياع العراق بسبب المدنيين - إخفاق المدنيين في التخطيط المسبق، الإخفاق المدني في إعطاء العسكريين الأيدي الحرة المطلقة في التعامل مع العصيان.

لم يأمل ڤوتيل أبداً في أن يتمكن من الشرح بأن أي حل عسكري لا يعني بالضرورة تدمير مدن بكاملها لتصبح ذروراً، أو إحاطة بلاد بأكملها بسور إسمنتي مصبوب وأسلاك شائكة في حدة شفرات الحلاقة، لأولئك الناس غير المقاتلين المتمسكين بالحقوق كلا، لأن ذلك هو العبء الذي يضطر الجندي إلى حمله عندما تفشل المبادرات المدنية عندما تفشل خطط أبناء وبنات الكليات الجامعية الخيالية، المتأتية عن ملايين الكلمات من التقارير والمسوحات - حتى لا نذكر أموال دافعي الضرائب - عندما لا تفلح «التحليلات النموذجية»، و«الزخات الفكرية»، و«تفكير السماء الزرقاء» في العالم الحقيقي لشعب معادٍ لك، وقتها يضطر العسكريون إلى الاستيلاء على الأمور ووضع الموقف تحت السيطرة. ومثلما يستخدم رجال الإطفاء الخراطيم

لنقع كل شيء يقع تحت نظرهم لتجنب جحيم محترق ، هكذا لا يبقى لدى العسكريين أي خيار غير اتخاذ إجراءات متطرفة

ولكن لو أن هؤلاء الخريجين الصغار استمعوا في المقام الأول ، فكر ڤوتيل وهو يضغط على المسند بقبضته ، لما كان أي من تلك الاجراءات ضرورياً أولئك الذين يكرهون مظاهر القوة أكثر من غيرهم هم دائماً أول من يحتاج إلى تطبيقها الفعلي - تلك هي تجربته . في قلب كل ذلك ، كان ماكياڤيللي محقاً - الخوف هو جزء حيوي من الحكم .

تساءل ڤوتيل عن الجاسوس ستيف . قال إنه قد أمضى وقته بين الرتب ، ولكنه حالياً في جيب السناتور . مدني . إلى أي مدى هم راغبون في المضي بهذه الحيلة قبل أن يتوقفوا؟ ما هو مقدار الدعم المتوفر لديهم للشباب الذين يرسلونهم إلى الوغى؟ تماماً مثل الرجل الذي يتعامل معه حالياً ، تيرزي

هو يعرف تيرزي من المؤتمرات ، من بروكسل بشكل رئيس - قضايا الناتو . ربما تبادلا كلمة هلو مرة او اثنتين ، والآن ها هو ڤوتيل وقد أنيطت به مهمة مقابلة هذا الزميل الجنرال ، بأسلوب خفي - معطف على الظهر وخنجر في اليد . مع الأمل بأن لا تكون هناك حاجة إلى الخنجر . لم يكن ڤوتيل مسلحاً . فهو يرتدي قميصاً أزرق واسعاً ، بنطالاً خاكياً قصيراً ، صندلاً ونظارة شمسية كان قد فكر بالذهاب إلى الحلاق الموجود في الهيلتون صباح ذلك اليوم لحلاقة ذقنه وقص شعره ، لكنه غير رأيه . بدا له أن الأفضل هو الذهاب إلى هذه المهمة مع قليل من الظل على الوجه - ذلك هو ما يسمونها - أكثر ملاءمة

أطلق زفيراً حاداً وضرب على الشباك بقبضته . ما الذي يفعله هنا؟ التقت عيناه بعيني السائق خلال المرآة الأمامية . قال «آسف .

لقد نسيت مفاتيحي استمر الرجل ينظر إليه لثانية ثم أدار نظرته نحو الطريق . عندما حان وقت انعطافه نحو جامع البيرقدار ، أدار عجلة القيادة بشيء من التنصل الكسول ، وكأنه أراد أن يخرج هذا الرجل الغريب من كرسي سيارته الخلفي ، ولكنه لا يرغب في القيام بأي حركات فجائية أيضاً

سأله ڤوتيل «هل أنت رجل عسكري؟» عاد الرجل إلى النظر في المرآة ونفض رأسه

قال ڤوتيل «لديك أوصاف الجندي»

لا أوامر . ذلك هو الوضع الذي ينغص عليه . مجرد قول الجاسوس . رقم مكتوب على قطعة كرتون ثماني خانات ثلاثة وثلاثة واثنتان ، مفصولة عن بعضها بشخوط أفقية . هل هذه هي الطريقة التي تتقرر بها مصالح الأقطار؟

قال «السوق . هناك» . وهو يؤشر

أوقف السائق السيارة أمام بسطة ملأى بالخضار والفواكه كلها تشع بالألوان وذات مظهر صحي ، دس ڤوتيل يده في جيبه

«لا تدفع» رفع السائق يده رافضاً «الفندق»

«الفندق – صح» أخرج ڤوتيل ورقة نقدية من فئة الخمسة يورو «إليك – بقشيش»

لم يلتفت السائق ، بل اكتفى برفع ذراعه وأخذ النقود «أشكرك»

«نعم ، أشكرك» . فتح ڤوتيل الباب وخرج استدارت بضعة رؤوس لتنظر إليه بينما هو يتفهم المنظر . لم تكن لديه أدنى فكرة عن المكان الذي سيذهب إليه

انطلق باتجاه الجادة الأولى ، إذا كان بالإمكان تسميتها كذلك

شاهد المزيد من مناظر لحظة ترجله نفسها من سيارة الأجرة . الكثير من الفواكه والكثير من الخضار ثم بسطة مما ظهر وكأنه بذور ومكسرات ، سلال تتلوها سلال منها ، حبوب من نوع ما

تفحص أصحاب البسطات الآخرين وعندما لم يشاهد بينهم من يبدو في طبقة الضباط ، لوى رقبته ليحصل على رؤية أفضل . أشار الشاب الواقف خلف البسطة إلى الأعلى باتجاه حبال من حلويات صلبة بنية اللون معلقة من الأعمدة . أطلق ڤوتيل ابتسامة باهتة ونفض رأسه . بدأ يسترخي بعض الشيء

للمكان شكل وطقوس حملة بيع بالمزاد ، خلافاً للكثير من الأسواق التقليدية التي زارها في رحلات سابقة كان على الدوام يشعر أنه مضغوط ومجبر على الإسراع في تلك الأمكنة . أما هنا ، فقد سمح له أن يحدق ويتشرب المناظر المعروضة ، بدون ضغوطات البيع الإجباري . انتقل إلى بسطة أخرى من الفواكه وقرر أن يشتري بعض العنب .

حمل الكيس الورقي بيده وبلغ قسم الأفران بينما هو ينتقي حبات العنب الملأى بالعصير اللذيذ ، وبدأ هنا يهتم فعلاً بما يراه تمشى لبضع دقائق أخرى قبل أن يقف بجانبه رجل نحيل طويل القامة ، شعره بدأ يميل إلى اللون الرمادي مثله ، يرتدي قميصاً واسعاً مثله ، باستثناء ارتدائه بنطالاً طويلاً وحذاء معقولاً . جعل الرجل حضوره معروفاً عندما تنحنح . استمر ڤوتيل في مضغ حبة عنب وهو ممسك بحبة أخرى بيده ، ثم رفع رأسه .طأطأ الرجل الآخر

«لقد رأيتك من قبل»

«وأنا أيضاً رأيتك» . اللغة الإنجليزية سليمة برغم اللكنة . تناول

ڤوتيل حبة العنب . همس تيرزي في أذنه

«أرجوك أن لا تذكر اسمي بصوت عالٍ في هذا المكان»

نظر إليه ڤوتيل جانبياً من خلال نظارته الشمسية «يوجد الكثير من الجواسيس على هذا الجانب من الجدار ، أليس كذلك؟»

«الجواسيس في كل مكان» قال تيرزي

قال ڤوتيل «إنني أراقب الأخبار» . استطرد المشي والفرجة على البضائع ، بينما يتابعه تيرزي على مسافة خطوة منه «هل رأيت هذا العمل الشائن من بوتين؟»

«إنه جنون»

«أنا مضطر إلى القول ، قريباً لن يبقى لك أي أصدقاء . أي أصدقاء يستحقون الاحتفاظ بهم بكل الأحوال»

«نحن منتظرون إلى جانبكم»

«وهل وجودي هنا سوف يحرك الأمور؟» وصل ڤوتيل إلى طاولة ملأى بتماثيل خشبية ومنحوتات صغيرة ، ومال نحوها ليحصل على رؤية أفضل

«لقد أمرت بأن أخبرك أن كل شيء سيكون حيث يفترض فيه أن يوجد بحلول شهر حزيران . في وقت إجازات الصيف نفسه تماماً ولكن تذكر مع ذلك – هذا قرض . قرض كبير بمليار دولار . إنه قرض بين أصدقاء . وحلفاء»

«ذلك عنصر مطمئن»

نظر ڤوتيل من فوق نظارته الشمسية باتجاه تيرزي «إذا سألتني رأيي ، فأنتم أيها الفتية ستكونون بوضع أفضل لو قمتم بهذه الحيلة في فصل الشتاء . ليال طويلة يكون كل واحد فيها متلفعاً في فراشه . ليس

هناك من يريد أن يخرج إلى الشارع في ذلك الوقت . كل الانقلابات الناجحة تحدث في الشتاء والخريف . قلة منها تحدث في الربيع يساعدك المطر على الرؤية»

بان على تيرزي التوتر . «بعد فصل صيف آخر سنكون قد انتهينا هناك مخاطرة على الجانبين . لكن مقامرتك أنت هي بالمال . بينما نحن نقامر بالأرواح . وليس الطقس» . استدار لينصرف مبتعداً «سأبقى على اتصال»

أوقفه ڤوتيل «كلا لن تبقى . هذه آخر مرة تراني أو تسمع مني فيها . لقد وافقت على أن أتصرف كضامن لهذا الجزء من العملية ، ولكن انغماسي الفعلي ينتهي هنا . وكذلك بالنسبة للقانوني ، أنا لم أحضر إلى هنا مطلقاً في المقام الأول . ربما أراك في المؤتمر القادم ، أو يحتمل أن تكون رئيس جمهورية بحلول ذلك الوقت وترسل شخصاً آخر بدلاً منك . في كل الأحوال . احزم أمرك وتحرك . هذه الأمور لا تنتظم من تلقاء نفسها»

تردد تيرزي للحظة ثم مشى مبتعداً وسط الجماهير . راقبه ڤوتيل يذهب ، ألقى بحبة عنب أخرى في فمه ، ثم انصرف نحو البسطات . يحتمل أن يكون لديهم وشاح لزوجته

الفصل الثالث عشر

ركب أورهان ومسعود في المقعد الخلفي لسيارة المقدمة - تلك هي السيارة الموجودة أمام سيارة رئيس الجمهورية مباشرة، مع وجود صف كامل من عربات الشرطة المدرعة أمامهم وراكبو دراجات بخارية إلى جانبي كل سيارة بمفردها . كان كل من سيارات الجيب والصالون تتحرك بما يقارب سرعتها القصوى، على الرغم من وجودها في موقع قلب المدينة، بينما الصافرات تصدح بأعلى صوتها وشرطة المرور يوقفون حركة السير ويضمنون بقاء الطرقات فارغة لمرور الموكب . بالرغم من مظهر التوتر، فهذه هي الطريقة التي يتحرك بها الموكب . ليست هناك أي ميزة للحماية في البقاء ساكنة أو التحرك الهادئ، بحيث يتمكن الناس من رؤية الرجل الذي انتخبوه قائداً لهم . لا يمكن تأمين كل شباك في كل شارع، ويتذكر جميع أعضاء الحرس الرئاسي بشكل جيد دروس التاريخ عندما يتعلق الأمر بالموقف الضعيف لكل رئيس دولة أثناء السفر، حتى داخل مدنهم . سماء الأمسية فوق أنقره هي مزيج من الأصفر والأزرق الضارب إلى السواد والأحمر، والشمس توشك على الاختفاء خلف خط المدينة في الأفق، من فوق أكتافهم .

«إننا خارجون من المدينة !» دندن مسعود لنفسه «سوف نسترخي بعد الآن !»

رمقه أورهان بنظرة جانبية «يا له من صوت جميل» .

في الماضي ، كانت مسألة الوصول إلى مدينة ما بالطائرة ، والاجتماع مع فريقه لمدة ساعة ثم الطيران خارجاً بعد مجرد بضع ساعات ، مزعجة له ، لكن تلك هي الحياة . إن مهمته هي حيث يتواجد الرئيس . ما لم يكن الناس الذين يزيحون سياراتهم خارج المسار أو التمهل في خطواتهم على الرصيف للحصول على لمحة من الرئيس ، يعرفونه ، هو أن أردوغان لم يكن ضمن ذلك الموكب على الإطلاق . فهو يقضي إجازته منذ ثلاثة أيام مسبقة . يقوم فريق أورهان بالسفر جواً حتى يحل محل الفريق المناوب في الحراسة حالياً ، وكذلك لإحضار سيارة الرئيس الصالون لأنه يبدو وجود احتمال لقيام التزامات رسمية مع تحرك الأحداث بسرعة تكاد تكسر الرقاب على كل جبهة سياسية ، يستحيل اختصار أي من المظاهر لأن الأخطاء تجيء من الاختصارات - تلك هي العقيدة التي يحتفظون بها في كل الأوقات .

ابتسم السائق على دندنة مسعود المستمرة بينما كان إيردال ، الرجل الأكبر سناً في السيارة ، يهز رأسه . ظل أورهان مسحوراً على الدوام بقدرة مسعود على تحصيل التساهل عن سخافاته - القادة ، حتى الأعلى مرتبة مثل إيردال ، كانوا يكتفون بنفخ أوداجهم وكأنهم يقولون «حسناً ، هذا هو مسعود في نهاية المطاف» .

أدرك أورهان أنه ليس هناك أي شخص آخر ضمن الفريق يفضل أن يجده إلى جانبه غير مسعود ، لأنه يعتبره صديقاً إضافة إلى كونه زميلاً قادراً على التصرف بحزم عندما يحين الوقت ، بدون أي تردد . انفتل مسعود لينظر إلى المارة الذين توقفوا ليراقبوا الموكب يمر عنهم بسرعة الطيران ، وقد تدلى ذراعه برخاوة عن مقبض السقف . قال لأورهان بلهجة حزينة ساخرة «سوف أحن إلى المدينة . فبعد أن نفرغ

من قول كل شيء وفعله ، فإن هذه الشوارع تسكن في دمي ، وتظل رائحتها عابقة في خياشيمي .

«ليس ذلك كل ما أستطيع أن أشمه» قال إيردال بدون أن يتلفت وراءه .

انفجر أورهان والسائق في ضحكة صاخبة

«آه» عاد مسعود إلى النظر أمامه «أنت تسخر مني يا سيدي ، لكنك تعرف أن هذا صحيح»

«ما أعرف انه صحيح يا مسعود ، هو أن كل محطة وكل عميل هو في مقدار أهمية التالي ، ويعتمد الرجل الموجود في المقدمة على الرجل الموجود خلفه بقدر ما يعتمد الآخر عليه . هل تفهم ما أرمي إليه؟»

التفت أورهان إلى مسعود بهيئة متسائلة .

«أعرف ما تقصده يا سيدي» . استرخى مسعود في حالة عدم اهتمام مفتعلة «لست مضطراً لأن تحمل مخاوف من عدم إيماني بإمكانية الاعتماد على أي منكم . سوف يؤلمني أن أعرف أنكم فكرتم في مثل ذلك الإحتمال . نحن فريق في نهاية الأمر ، ومع أنني ربما أتواجد في المقدمة ، إلا أنني أعتبركم جميعاً مساوين لي بكل التفاصيل» . انفتح فم أورهان دهشة نتيجة وقاحة مسعود . استمر المهرج جالساً إلى الأمام واضعاً يده بخفة على كتف إيردال «أريدكم أن تعرفوا بأنه يمكنكم أن تعتمدوا عليَّ عندما تحتاجون إلى المساعدة»

سأل السائق «هل تريدني أن أتوقف وأعيده إلى الوراء؟»

«أنا أقترح بأن نكتفي بأن نستعمل أسلحتنا» . قال أورهان .

«كلا» قال إيردال «الأفضل أن نبقيه حيث يمكننا رؤيته لأنه لا يعلم إلا الله نوع المشكلة التي سيوقع نفسه فيها بغير ذلك»

نظر أورهان إلى مسعود غير مصدق . «ما الذي ستطلع علينا به بعد هذا؟»

«لا أعرف» أجابه مسعود «ولكنني أراهن على أنه سيكون مسلياً»

***

جرى تحميل سيارة الصالون الرئاسية والعربات المصفحة في طائرات النقل العسكرية في قاعدة التشيني التابعة لسلاح الجو تحت إشراف إيردال ، بينما ظل مسعود وأورهان واقفين خلفه مباشرة كانوا واقفين خارجاً عند وسط المدرج ، على مسافة حوالي كيلومتر من أقرب مبنى ، حيث امتدت أمامهم شرائط عريضة من الأشجار والعشب . غطت الأضواء الكشافة الموقع بلون إضاءة أخاذ . بان أفراد الطاقم الأرضي تحت الأنوار مثل اليرقات ببزاتهم الرمادية وسدادات آذانهم للحظات ، ثم عادوا إلى الاختفاء في العتمة . استدار أورهان ليرى مجموعة من ضباط سلاح الجو واقفين على مسافة قصيرة منهم ، في منتصف المسافة بين طائرات النقل والمبنى . بدوا مهتمين بمراقبة كل حركة يجريها طاقم الحراسة الرئاسية . التفت مسعود ولاحق نظراته متفحصاً المجموعة . مجموعهم ستة ضباط . كل واحد منهم يضع على عينيه نظارة شمسية برغم العتمة ، وكلهم يرتدون سترات جلدية متشابهة خاصة بسلاح الجو

«من هم هؤلاء الأشخاص؟»

«لا أدري» قال أورهان «هل يحتمل أنهم فكروا أن الرئيس موجود هنا؟»

«آه ، يمكن» شفط مسعود أنفه ، غير مكترث للحملقات الجامدة

من قبل العسكريين .

«ولكننا نعبر من هنا على الدوام» . انشغل أورهان بالتفكير «لماذا كل هذا الاهتمام هذه الليلة بالذات؟»

«هل الطائرة جديدة؟»

«ماذا؟»

أشار مسعود إلى طائرة النقل خلفهم . كان يجري تحميل آخر عربة جيب صعوداً في الممشى

«هل يمكن أن تكون طائرة جديدة ، أو مجرد أنه أعيد تجهيزها؟»

«وهل يحتمل أنهم يريدون منا أن نحصل على طائرتنا الخاصة بنا؟»

أطلق مسعود ابتسامة ملتوية على مجموعته «حسناً ، دعهم يقدموا طلباً إلى الرئيس . ودعونا نرى كيف تكون نتيجته بالنسبة إليهم» .

«حسناً» . قال إيردال لهم . «تلك كانت الخردوات . والآن ، هلموا بنا نحمّل أنفسنا» .

نظر أورهان من فوق كتفه أثناء سيرهم باتجاه الدرجات . بدا ضباط سلاح الجو وهم يتحدثون إلى بعضهم بقدر من التوتر ، إلى درجة قريبة من الجدل الحاد . انتهى أحدهم من توبيخ الرجل الأقرب إليه وأنهى كلامه معه ، ثم استدار لينظر إلى أورهان الذي كان يحدق فيه . لحظة ملامسة قدم أورهان الدرجة الأولى ، بوجود إيردال أمامه ومسعود خلفه ، رفع الضابط يده اليمنى ومد إصبعه مثل مسدس . نفض إبهامه ثلاث مرات ، رافعاً يده بعد كل مرة وكأنه يطلق النار . عبس أورهان ونظر حوله ليرى ما إذا كان أي شخص منتبهاً لما يجري ، لكن مسعود لم يعد ينتبه إلى المجموعة ولم يكن أي أحد آخر من فريق الحماية

حتى قد لاحظ الضباط . ظلت نظارة الضابط المعتمة مسلطة على أورهان كل المسافة صعوداً للدرجات حتى اللحظة الأخيرة . دخل أورهان باب الطائرة مع نظرة أخيرة ولم يعد أي من الضباط يستطيع أن يراه . بينما هو يتخذ مقعده ، رآهم مستمرين في الوقوف هناك وقد انتهى جدالهم . وقف الضابط الذي قلَّد إطلاق النار عليه ، عاقداً ذراعيه وينتظر إقلاع الطائرة ومغادرتها

***

نقر ليڤانت الباب بأدب وانتظر الأمر بالدخول

«تعال!»

لدى جهاز MIT ستة آلاف عميل ، والذي يعتبر ليڤانت واحداً منهم ، والرجل الذي يدخل إلى مكتبه هو الرقم واحد . شكل ليڤانت قناعة بأن هاكان فيدان كرجل يمكن اعتباره جاسوساً من المدرسة القديمة ، في المرة الأولى التي قابل فيها رئيس دائرة الاستخبارات التركية ، لأنه ظهر في عين الشرطي الصغير السن على أنه أنيق وراق بطريقة لم يكن ليڤانت يمثلها ولكنه يأمل منذ زمن طويل في بلوغها ، ولو حتى لنفسه بطريقة سرية كان قيام التحري ليڤانت ، كما كان في حينها ، بالكشف عن حلقة جاسوسية وإفشال هجوم إرهابي رئيس ، قد جذب الانتباه في الدوائر العليا من دائرة المخابرات وقد تمت دعوته إلى مقابلة . شعر بالذهول لدى جلوسه مقابل مدير الـMIT نفسه في ذلك الصباح الأول . حيَّاه في حينها المدير بحرارة باسمه وطلب منه الجلوس . سأله فيدان عما إذا كان قد اضطر إلى طلب إجازة لذلك الصباح لأجل المقابلة ، وتبادلا المجاملات حول طبيعة الساعات المطلوب من الشرطي أن يشتغل خلالها بينما حضرت السكرتيرة حاملة صينية

مترعة بالقهوة والمعجنات . لم يلمس أي من الرجلين المعجنات ولكن رشف كلاهما القهوة ، بينما روى ليڤانت مسار الأحداث التي قادته إلى العثور على سترة المفجر الانتحاري في الشقة التي كان قد هاجمها لتوه بحثاً عن المخدرات .

«كيف علمت بالذهاب إلى تلك الشقة؟» سأل فيدان «عن طريق الاستجواب؟ أم الاعتراف؟»

«الحلوى» أجاب ليڤانت

انعقد حاجبا فيدان على بعضهما «اسمح لي؟»

قال ليڤانت «عندما كنت صبياً كل ما كان يهمني هو لعب كرة القدم كنت ألعب في الخارج في المنتزه الواقع أمام بنايتنا مع كل الصبية الآخرين»

هزَّ فيدان رأسه بأدب ، آملا بكل وضوح أن هناك مغزى وراء الحكاية . أدرك ليڤانت أن المدير متلهف على النظر إلى ساعة يده .

«على أية حال ، تعود أحد أصدقائي أن يأتي ليلعب في الأمسيات ، فقط في الأمسيات ، لأنه يتجول من حي إلى آخر طيلة الصباح وما بعد الظهر ، فقد كان لديه أصدقاء في كل مكان ، وبدأ يطارد الفتيات قبل بقيتنا كان يعرف الجميع» تناول ليڤانت جرعة من القهوة .

«كنا نمر على جمهرة من الأولاد الآخرين على الجسر فلا يكتفي بمعرفة أسمائهم بل كم شقيق وشقيقة لدى كل منهم ، وما يفعله آباؤهم . وكان دوماً يمتلك معلومة غرائبية صغيرة مثل كيف كان والد أحد الصبية يدير نادياً لجمع الطوابع ، والآخر الذي يعطي دروساً في الكراتيه . أشياء مضحكة مثل تلك»

«وقررت أنت أن تأخذ صفحة من كتابه؟» سأل فيدان ، متأملاً

«كلا ، بل استمررت في لعب كرة القدم» . قال ليڤانت مع ابتسامة «ولكن عندما باشرت في العمل بالشوارع ، مرتدياً الزي الرسمي فور تخرجي من الكلية ، تذكرت ذلك الصبي - نوري ، ذلك كان اسمه - وعرفت أن لدى كل شارع وكل حي صبياً مثل ذلك . إنهم يعرفون كل ما يحدث . عندما اكتشفت مكان وقوف سيارة ذلك المشبوه والشقة التي دخلها السائق وبعد ذلك عثرنا على السترات ، حدث ذلك لأنني اعتدت على إعطاء الصبي الذي يسكن عند الزاوية الحلوى على مدى سنتين . في كل أسبوع ، كنت أعطيه وعشرين صبياً آخرين مثله شيئاً ما ، وفي ذلك اليوم ، آتت كل أصابع الحلوى تلك أكلها . قال لي خبراء القنابل إن تلك السترة تحتوي على ما يكفي من الديناميت والكرات المعدنية لتحطيم شاحنة»

«هذا صحيح ، كانت قادرة على تدمير العديد من الأرواح» . قال فيدان . وضع فنجانه على الطاولة «ذلك مثير للإعجاب . أنت مولود لأن تكون رجل مخابرات»

«كنت أعتقد أنني مجرد شرطي»

«كلا يا ابني . أنت بحاجة إلى أن تجيء لتعمل لدينا نحن قادرون على إعطائك دكان حلويات بكامله»

والآن يجلس ليڤانت أمام الرجل نفسه ويهيء نفسه لشرح السبب ، في لحظة من الطوارئ الوطنية القصوى ، أراد أن ينقل رقابة جهاز الأمن التابع للولاية من إحدى المجموعات ، مجموعات الإرهابيين ، التي قامت في الشهور الماضية بمهاجمة مواطني تلك الولاية وقتلهم بإطلاق النار والتفجيرات ، ونقلها إلى سيطرة عملائها

أنفسهم . لم يستطع طيار الهليوكبتر توران أن يخفي ذنبه - لأن ليڤانت يعرف الضمير الفاسد حينما يراه - وعرف ليڤانت أنه لم تعد لديهم سوى ساعات قليلة ليتصرفوا الآن .

نظر إليه هاكان فيدان بشيء من التعاطف .

«يفترض فيك أن تكون مجازاً يا ليڤانت»

«لقد أطلقت النيران على أكبر مطار في بلادنا قبل يومين من قبل القذارة ، أيها الرئيس . هناك أربعون قتيلاً . هناك قنابل تنفجر في الأسواق . الوضع في قمة التوتر

شكَّل فيدان حاجزاً بأصابعه فوق طاولة مكتبه ونوَّه إلى تقديره لتفاني ليڤانت في عمله . ثم سعل «ليست تلك منطقة صلاحياتك حالياً يا ليڤانت . لقد قمنا بتطويق المكان . هناك قوات خاصة وإمكانية استجابة مسلحة جاهزة للتحرك في كل زاوية . هناك رقابة على كل مبنى له صفة عامة» .

سحب ليڤانت نفساً عميقاً ونقر على ركبته بإصبعه . «أنا مجبر على أن أخبرك بهذا الأمر أيها الرئيس . أعتقد أنه ينبغي علينا أن نسحب بعض الرجال عن لائحة المراقبة ونبدأ في النظر إلى الجيش» .

قوَّس فيدان حاجبيه ودفع برأسه إلى الوراء ، محدقاً في ليڤانت من جانبي يديه

«الجيش؟ أنت الآن حقيقة خارج منطقة عملك . ما الذي سمعته؟»

أخبره ليڤانت بسرعة عن كل ما حدث له منذ مقتل كريم على يد سليمان في الشارع - الفتاة ، النادي الليلي ، يوري ، الطيار . أصغى فيدان بتركيز ، تناول قلماً عند إحدى النقاط وخربش ملاحظة ، ثم

ألقى بالقلم ولم يعد يكتب أي شيء . عندما أنهى ليڤانت كلامه ، نهض المدير العام وبدأ يتمشى خلف طاولة مكتبه جيئة وذهاباً

«وهكذا فكل ما لديك هو شهادة مومس مخدرة ، وأجنبي ، هو شاهد عيان و قواد - أجنبي آخر - وطيار لا يريد لضباطه الأعلى منه وقائده أن يعرفوا أنه كان يتردد على المشارب؟»

نظر ليڤانت إلى الصور المؤطرة لفيدان بصحبة رؤساء وزارات ورؤساء جمهورية أتراك المعلقة على الجدار خلف المكتب ، وصور أصغر له مع رؤساء دول ومدري مخابرات أجانب ، أمراء ، جنرالات وشيوخ - توقفت عيناه على الوجه المبتسم للرئيس جورج دبليو بوش ، وقد وضع فيدان يده فوق يد الرئيس الأمريكي بأدب ، بينما بقي التعبير على وجهه غير قابل للتفسير . أدرك أن ما يقوله مثير للسخرية . رأى فيدان مقدار حيرته واضطرابه فأنقذه .

«اسمع يا بني ، لقد فشلت مهمتك في الأسبوع الماضي بدرجة سيئة . يحصل هذا . لماذا لم تقم بأداء مهامك حسب ما تمليه الواجبات الرسمية؟ قدم تقريراً بما رأيته ، ثم اهجم مصحوباً بدعم مسلح؟»

تنهد ليڤانت «لقد كان الهدف . . . واسع الحيلة . إنها الصفة الوحيدة التي يسعني أن أستخدمها في وصفه . لقد ادعى أنه مقاتل في سبيل الحرية ، ولكن كل ادعاءاته تثبت أنه واجهة لعمل العصابات . عرفت حقيقته منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناي عليه ، لكنه كان يعرف كل الزوايا والمخارج أيها الرئيس . لو أنه لاحظ أي شيء - أي شيء على الإطلاق - خارج الإطار العادي في ذلك الشارع ، لكان قد غادر . لقد قرأت تقارير الشرطة في منطقته ، حتى تقارير الجيش .لم يذهب إلى أي مكان على الإطلاق بدون أن تكون

لديه دزينة من المخارج وطرق الهروب والأمكنة التي يمكنه الاختباء فيها» .

«لكن التقرير الذي قرأته قال إنه كان يعود ماشياً إلى شقته في ساعات الصباح الباكر ، منتشياً ، صح؟»

نفض ليڤانت رأسه «ذلك لا يهم . كان سيتمكن من شم رائحتنا في الهواء . مثل أي ثعلب»

عاد فيدان إلى الجلوس ، بخفة ، بدون أن يصدر أي صوت «سيخبرك العديد من الرؤوس بأنك تمنح طريدتك قدراً زائداً من التقدير لا يمكنك أن تمنح الرجل الذي تقاتله أكثر مما يجب من الاحترام»

«ولكن ذلك -»

«ذلك هو ما يبقيك حياً» . أنهى فيدان عنه . وضع مرفقيه على الغطاء الزجاجي اللماع فوق مكتبه «أنت حي وهو ليس كذلك يا ليڤانت . ذلك يعتبر نصراً لا تخطئ بهذا الشأن . أنا واثق من أن شخصاً ما قد أخبرك هذا سلفاً - ولذلك دعني أقوله مرة أخرى» . ركز ليڤانت عينيه على الأرضية «هل أبلغت ما لديك من معلومات إلى أي من شباب الحاسوب؟»

قال ليڤانت «أرمان وصدري . قالا إنهما مشغولان وإنهما سيحاولان أن يريا ما يجري»

مارس فيدان التأدب ليبدو متعاطفاً «ذلك هو ما سيقولانه لك ، ولكن إذا أتاهم عميل بمعلومة ما ، فهما سيتحققان منها» . اعتدل في جلسته «في الأثناء ، سأقولها مرة أخرى - ليس الجيش من ضمن اختصاصك . لا تذهب باحثاً عن أشياء ربما تنفجر في وجهك . سوف

أقابل رئيس هيئة الأركان العامة هذا اليوم . إذا كان هناك ما يجري ، فهو الرجل الذي سيعرف عنه . الآن ، إذا لم ترغب في أخذ إجازة ، فاذهب واجلس إلى مكتبك لا تخرج إلى المزيد من عمليات الاستجواب الميدانية . أنت لا تبدو بصحة جيدة . حتى إنك تبدو وكأنك تلقيت علقة»

وضع ليفانت إصبعه على الورم في مؤخرة رأسه بحذر . لم يكن قد ذكر للمدير العام أنه قد تم تغييبه عن الوعي بضربة خلفية «نعم سيدي الرئيس» نهض وهمَّ بالمغادرة ، على الأقل ، فقد توقفت نوبات الصداع بمساعدة قليل من مضادات الألم القوية

«تناول بعض القهوة وقم ببعض الأعمال الكتابية» نادى عليه فيدان وهو يهم بفتح باب المكتب .

«لقد اقتربت نهاية الأسبوع»

ألقى ليفانت إليه بتحية عسكرية وغادر . عاد فيدان إلى عمله عندما وصل ليفانت إلى مكتبه في الطابق الذي تحته ، نظر إلى فوضى الملفات والملاحظات المتكومة على مكتبه وجلس بقوة . لم يستطع أن يجبر عقله على قراءة أي شيء ، ولذلك اكتفى بالتحديق أمامه مباشرة ، عاقداً يديه خلف رأسه ، بينما تعبر فقاعات الأصوات الصادرة عن المكعبات القريبة في القاعة من أمامه مثل مجرى سيل فارغ

الفصل الرابع عشر

تناولت آيلا حقيبتها اليدوية ودست هاتفها الآيفون بغلافه الزهري في جيبها الداخلي . المكتب قد بدأ عملية إنهاء الدوام وهي سلمت آخر رسالة نصية لذلك النهار . لوَّحت بيدها مودعة لبعض زملائها الجالسين في الكنبات المشتركة ، كادت تبلغ الباب المقوَّس باتجاه المصعد حينما ظهر بارس إلى جانبها

«هل أنت مغادرة بهذه السرعة؟»

لم تتوقف حتى بلغت المصعد وضغطت على الزر «أهلاً بارس نعم ، لدي رفقة لهذه الليلة»

لم تستطع أن تتأكد ، لكنها ظلت تعتقد أنه يكبرها ببضع سنوات . ربما في منتصف ثلاثينات عمره ، غير متزوج بعد ، وما زال يمارس حياة رجل أصغر منه بعشر سنوات ، ولا يبدي أنه ميال إلى تغيير أساليبه الحياتية أو التصرف بعمره .

الموظفون الأصغر سناً ميالون إليه لأنه قادر على إضافة فواتير مشاربهم أو مطاعمهم إلى حساب نفقات الشركة ، ومع أنها كانت تجده متعباً ، إلا أنها تعرف أن صحبته ممتعة . فهو صاحب روح فكاهية ، متابع لما يجري - قادر على السخرية من أولئك المحيطين به بدون كثير إساءة ، بحيث لا يغضب أحد منه لفترة طويلة . يواظب

على تنظيم مسابقات ماراثونية وجري ممتعة لغايات خيرية مرة كل أسبوعين . كثير من الفتيات المتدربات ، المتخرجات من الجامعة حديثاً ، يلاحقنه مثل الجراء . مرَّ وقت كانت آيلا مستعدة لأن تحذو حذوهن ، لكنها تدرك الفارق بين رجل تستمتع برفقته والرجل الذي يصلح لأن تتزوجه .

أصبحت شهيتها للمرح واللهو تتراجع في هذه الأيام عما كانت عليه بحدة ، وأصبحت تجد الحياة مع أورهان أكثر إغراءً .

اتكأ بارس بكتفه إلى الجدار الفاصل بين بابي المصعدين . «أوه ، يا لها من خسارة . فهناك بعض منا -» وأشار برأسه إلى المجموعة الجالسة على الكنبات «البعض منا ذاهبون لتناول لقمة وبعد ذلك قد نذهب إلى مكان آخر . إذا كان أورهان غائباً ، فلماذا لا ترافقيننا؟ وتحضرين أصدقاءك؟» أضاف متأملاً

صححته آيلا «هي صديقة واحدة» . انفتح باب المصعد مع طنة دخلت إليه «يبدو الأمر ممتعاً ، ولكنني أحضرت الطعام وسوف يفسد إذا تناولت وجبتي في الخارج»

«أنت عندك ثلاجة ، صحيح؟» دفع بارس بوجهه بين دفتي الباب الموشكين على الإغلاق .

«هذا صحيح ، ولكنك لا تدفع لي ما يكفي لأخاطر بأن يفسد طعامي» .

ضحك بارس ، في الثانية التي لم يظهر فيها سوى عينيه وأنفه من الشق بين البابين . «كم مرة يا آيلا ، أنا لست -» وقف على رؤوس أصابع قدميه «المشرف عليك مباشرة» أنهى كلامه مع انغلاق البابين .

سحبت آيلا الانفراج نفسه مع بدء نزول المصعد واتكأت على

الجدار الخلفي ذي المرآة . فقد ظنت للحظة قصيرة أنه سيقفز إلى الداخل معها

***

«يا له من منظر رائع ا» قالها ستيف وهو يخطو عبر العشب المتطاول المحيط بالبيت المزوق المبني من الطوب الناري على التلة المنحدرة المشرفة على مياه بحر مرمرة الزرقاء بدت إستنبول على مرمى حجر ، أو هكذا خيل إليه ، والقرن الذهبي الضخم ، وكل الروائع القديمة لشاطئ المدينة الذي ظهر وكأنه ينهض قبالته ، منحت الأشجار الخضراء المتطاولة في متنزهات المدينة والأراضي المحيطة بالقصر منظراً يجعله يبدو مثل شيء من خارج الدنيا - مدينة لا يستطيع أن يستحضرها إلا أصحاب الأخيلة الأشد خصوبة - فهي خليط من الجنائن المعلقة ومدينة الله سبحانه وتعالى . انعكست أشعة شمس الظهيرة عند شبابيك السيارات المنطلقة على الشاطئ الآخر وجعلتها تلتمع مثل قطع الماس .

«انظر» قال ستيف وهو يشير «حتى زحمة السير تبدو جميلة من هنا»

نظر باركي حوله وفوقه ، ليستوعب المنظر بكامله ، هذا يوم صيفي خالٍ من الغيوم ، حتى التحديق الحارق قادر على أن يشعط الحيوية التي يولدها

وضع ستيف كلتا يديه على عينيه ، المغطاتين أصلاً بنظارة شمسية أنيقة ، ونظر إلى البيت قائلاً «هذا مفيد للروح ، لا عجب أن الإغريق اخترعوا الحضارة طالما كان هذا نوع المناظر التي وجدوها في كل زاوية» . استدار نحو الرجل الأشيب الذي مازال يعاني من الذهول

بنظارته الطبية وتعرقه تحت سترة بذلته وربطة عنقه «ألا تظن ذلك يا باركي؟»

نفض باركي رأسه «من أين أنت -؟»

أطلق ستيف ضحكة قصيرة «لقد جئت من جميع الأمكنة يا باركي، فلا تقلق لأنني لن أطيل المكوث». رفع رأسه باتجاه البيت وضحك متعجباً «لقد أقام ليون تروتسكي هنا! هل يمكنك أن تتخيل أمراً مثل هذا؟» قطع ست أو سبع خطوات باتجاه مقدمة البيت.

«لو كان هذا المكان في لندن، لكان المبنى كله مغموراً باللوحات الإعلانية الزرقاء، ولكن للأسف، للأتراك أساليبهم ولنا أساليبنا»

عثر باركي على صوته «ولكنك أمريكي»

تناول ستيف هاتفه في هذه اللحظة وبدأ يلتقط الصور قائلاً «الحقيقة هي أنني أمريكي». استدار ورفع الهاتف الكاميرا في وجه باركي وكأنه يهم بالتقاط صورته. رفع الأكاديمي يديه بسرعة أمام وجهه، أشبه بمصاص دماء تعرض للشمس. انفجر ستيف ضاحكاً وأنزل الهاتف «حافظ على هدوئك يا دكتور. ما كنت لأتسبب لك في أمور مقلقة أكثر من تلك التي تعاني منها أصلاً»

تمتم باركي غاضباً وابتعد بضع خطوات باتجاه منظر البحر.

قال ستيف «تروتسكي - تروتسكي. ليست معلوماتي التاريخية قريبة في اكتمالها من معلوماتك بأي مقدار، لكنني كنت دوماً أرى فيه شخصية مثيرة للاهتمام. أقصد أن معول تكسير الثلج يجتذب الانتباه - يا لها من طريقة للموت. وفي المكسيك من بين كل الأمكنة! من هو الذي يستخدم معول تكسير الثلج في المكسيك؟»

«ستالين» قال باركي بنبرة مستسلمة

«إذاً، هذا ما يدهشني!» ظهر الإعجاب في صوت ستيف «لقد كان ستالين حتماً يؤدي الأمور بطريقته الخاصة. يحتمل أن الرجل كان سيطلب خبزاً محمصاً على الطريقة الفرنسية في محل للبيتزا لمجرد أن يرى النظرة المرتسمة في وجوههم»

دوّر باركي عينيه بملل

«أوه» عقد ستيف ذراعيه «أنا في غاية الأسف يا بروفيسور. كما أسلفت فإن أفكاري حول التاريخ أقل ما يقال فيها هو أنها، كما يمكن أن تقول، جنينية، ولكن هل تعلم لماذا شجر الخلاف بين تروتسكي وستالين؟»

أجابه باركي «للسبب نفسه الذي يختلف فيه جميع الزعماء، السلطة»

«آه صحيح، طبعاً، ذلك سيكون ما يمكن تسميته السبب الواقعي، ولكن ما أبحث عنه هو السبب الشرعي، إذا شئت، ما يمكن أن يطلق عليه الشخص الذكي السبب الظاهر»

حدّق باركي في ستيف، وقد تلبسته الحيرة.

«السبب المعلن في قيام الخلاف بين هذين الحقيرين هو التزام تروتسكي بالثورة على مستوى العالم - الحرب الشاملة - الصراع الذي لا نهاية له حتى يصبح العالم كله شيوعياً، أو على الأقل اشتراكياً بشكل رسمي»

أصغى باركي باهتمام.

استطرد ستيف «ولكن ستالين - كان الرجل ذكياً. أكثر ذكاءً من ذلك الدعي تروتسكي، حتى لو كان بقية أفراد الحزب يعتقدون أنه ريفي جورجي أخرق. الحقيقة هي أن ستالين أدرك بأن الاتحاد

السوفييتي خارج لتوه ليس فقط من حرب أهلية كارثية والحرب العالمية الأولى قبلها - كان قد تجنب الهزيمة الكاسحة من قبل بولندا بأضيق السبل . هل يمكنك أن تتخيل؟ بولندا ! على أية حال ، طبق سياسة الاشتراكية في دولة واحدة - على أساس أن يثبتوا سلطتهم في روسيا وبعد ذلك يباشرون في التوسع . ومن هنا يجيء مبدأ برامج السنوات الخمس وما إلى ذلك . أنت تعرف هذا ، صح؟»

«أعرفه» قال باركي «ولكنني لا أعرف ما ترمي إليه من هذا الحديث»

اقترب ستيف خطوة إلى الأمام ، وقد غاب المرح عن صوته كلياً واكتسب وجهه برودة صفيحة من الجليد . «الغاية هي أنني ستالين ولست تروتسكي . لديك فرصة واحدة لتخوض غمار ثورة ما - في بلد واحد - وإذا لم تستطع أن تفعل ذلك ، فأنت لوحدك»

طرفش باركي بعينيه ، اقترب خطوة ثم أشار بإصبعه على شكل دائرة . «ما الذي تعرفه عن تاريخ جزر الأميرات ، عدا تاريخ تروتسكي؟»

«لقد كانت مكان منفى لأفراد العائلات المالكة البيزنطية وبعدها للعثمانيين . ومن هنا جاءت التسمية»

توقف إصبع باركي باتجاه جزيرة جميلة على مسافة قريبة ، بيوتها المطلية بالأبيض والمسقوفة بالقرميد الأحمر مشيدة على السفح الذي يرتفع صعوداً من شاطئ البحر ، تنتشر النقاط الجميلة على المنظر الطبيعي مثل زهور مزروعة بعناية مثالية «تلك هي كيناليادا - جزيرة الحنّاء . هل تعرف من كان رومانيس ديوجينيس الرابع؟»

تنهد ستيف ، لكن فضوله تصاعد «أفترض أنه كان إمبراطوراً»

«لقد كان إمبراطوراً في القرن الحادي عشر، عندما كان إمبراطور بيزنطة الرجل الأقوى في حوض البحر الأبيض المتوسط بكامله كانت سلالة المقدونيين قد حاربت وأعادت احتلال شبه جزيرة البلقان وكامل الأناضول حتى حدود القفقاس، وحتى جزء كبير من سورية».

رفع ستيف رأسه لينظر «وهل كان يعيش هناك؟ على جزيرة الحناء؟»

«لقد تم نفيه ليموت هناك بعد خسارته معركة مانزيكيرت أمام الأتراك. لقد دمر جنونه وسوء إيمانه العمل الصالح للقرن السابق»

عادت أسارير ستيف إلى الانفراج «يبدو هذا مثل سيرة رجل نعرفه، أليس كذلك؟»

«بعد أن تم خلعه عن العرش، أعميت عيناه، والتهبت جروحه ثم أصيبت بالعدوى أثناء وجوده في سجنه الفخم. دبت الفوضى والحرب الأهلية في أرجاء الإمبراطورية، فركب الأتراك بمنتهى الحرية عبر كل الأراضي التي ما زالت تابعة لهم حتى اليوم. في الأثناء، مات رومانيس هناك وهو يعاني ويتعذب»

«إذاً، ما هو الدرس؟»

«ما أقوله هو أن الرهانات ظلت عالية جداً على الدوام في هذا المكان، ولم تتغير قواعد اللعبة على مدى ألف سنة» اقترب باركي وحدق في عيني ستيف. «أنا لست بحاجة إليك حتى تخبرني أن هناك محاولة واحدة فقط متاحة لتغيير مصير تركيا. أنا أعرف ذلك مسبقاً».

فرك ستيف يديه باقتناع ورضى «اتفقنا إذاً. ستبقى هنا من أجل مؤتمرك ولا تغادر الجزيرة لأي سبب حتى يتم استدعاؤك بمقتضى

كلمة السر المتفق عليها المؤتمر هو غطاؤك - لا تضعفه بالاحتفاظ بمظاهر عالية . اجعل ظهورك كما يمكن أن تفعل في الأوقات العادية ، وتجنب مقابلة أي شخص يمكن التعرف عليه بسهولة في هذه المنطقة»

باشر ستيف ابتعاده ، صاعداً المنحدر المليء بالأعشاب الخضراء ناداه باركي من خلفه

«لقد قالوا لي إنك مهتم بشؤون هذا الجزء من العالم»

«أنا مهتم فعلاً» توقف ستيف «من الناحية الجغرافية السياسية ، هو أكثر أهمية مما كان عليه في أي وقت مضى . هناك سبب لوجوده في وسط الخريطة . هل قرأت ما كتبه الإغريق عن الغرب والشمال ثم مقارنته بالشرق؟ لا يمكن تصديقه كلا ، الأمر الوحيد ، هو أن بقية العالم لحق به قبل زمن طويل . أنا لا أعرف دقائق تفاصيل السلالات المختلفة في القرون الوسطى ، ولكنني أعرف أن . .»

«أننا سنفوز» قال باركي

«آمل ذلك» بات ستيف على وشك استئناف المغادرة «لأن هناك الكثير مما يتعلق بالفوز بالنسبة لك على الأقل .» توقف عند قمة التلة ومنح باركي تلويحة صغيرة قبل أن يختفي فوق الجهة الأخرى

وقف باركي وراقب ثم بدأ يمشي بعد أن خطرت له فكرة ما وصل إلى قمة التلة مهرولاً ونظر حواليه ، أثناء التقاط أنفاسه كان ستيف قد ابتعد لمسافة بضع مئات من الياردات أمامه ، وبلغ الأرض المستوية المحيطة ببيت تروتسكي نزل إلى الرصيف البحري وتسلق إلى مؤخرة قارب سريع ، حيث كان قائده قد دفع بالمحرك إلى الزئير بعد التمتمة التي كان يعمل عليها سابقاً . انطلق القارب وفي أثناء ذلك

التفت ستيف فرأى باركي لكنه لم يفعل شيئاً هذه المرة أكثر من النظر إلى الأكاديمي ، حيث ظهر تائهاً ومهجوراً على التلة

***

«سيكون هذا مناسباً لشهر العسل ، ألا تعتقد ذلك؟ سينال إعجاب آيلا العميق حتماً»

أدلى مسعود برأسه خارج شباك سيارة الدفع الرباعي وهو يتفحص منظر فندق اليازجي ماريس ومجمع توربان نادي اليازجي الكبير المجاور

«أستطيع أن أشم رائحة البحر - أستطيع أن أحسّ بوجود بركة سباحة» . سحب نفساً هائلاً عبر أنفه وأخرجه بتنهيدة راضية . «هل استطعت أن تشم ذلك؟ تلك هي رائحة الفخامة . ملاءات طازجة - أحواض استحمام عملاقة . ينبغي عليك أن تحاول حجز غرفة هنا أثناء فترة استراحتك»

حملق فيه أورهان غاضباً «هل تظن أنني سأقدر على دفع تكاليف البقاء في الفندق نفسه الذي يقيم فيه رئيس الجمهورية؟»

أدخل مسعود رأسه إلى السيارة «ربما تكتشف أنه منطقي جداً»

«رئيس الجمهورية ليس مقيماً في الفندق» . قال إيردال من المقعد الأمامي «إنه مقيم في ڤيلا خاصة مجاورة»

«أراهن أن ذلك فخم» . استمر مسعود في التحديق عبر الشباك . توقفت السيارات الضخمة وسيارات الأجرة أمام المداخل الأمامية الزجاجية ، وهرع البوابون وسائقو إيقاف السيارات ليفتحوا الأبواب ويحضروا الحقائب . توقف الكثير منهم ونظروا بينما مرت طواقم الحراسة الرئاسية من أمامهم ، فقد جذبت سيارة الليموزين الرئاسية

التي نقلوها جواً من أنقرة الكثير من الانتباه

قال إيردال «السبب هو الأمن يوجد جدار عالٍ في المقدمة والحديقة تستمر حتى حافة البحر لا يمكن لشيء أو أحد أن يدخل أو يخرج»

«ولا قاعة أمامية يتحتم علينا تأمينها في كل مرة نضطر فيها للخروج» هزَّ مسعود رأسه

«ماذا تعتقد يا أورهان؟ يحتمل أن لا تتمكن من استعارة الفيللا، ولكنني أظن أنه يجب عليك أن تتفحص هذا المكان لأجل الإقامة»

تجاهله أورهان ونظر إلى الخارج من جهته في السيارة. لم يكن هناك الكثير لرؤيته على ذلك الجانب سوى السير القادم، بطيء ومتقطع في هذا الوقت من النهار

بعد عشر دقائق كانوا يتمشون في الحديقة الخلفية المقرر أن تكون موقعهم وهم يتفحصون المناظر والمناطق المحيطة - البحر الأبيض المتوسط ممتد أمامهم، الجزر عبارة عن نقط رمادية في المدى، مقابل اللون الأخضر الغامق للبحر والسماء الزرقاء فوقهم

سأل مسعود «هل ذهبت إلى جزيرة السماء من قبل؟ إنها في مكان ما في ذلك الاتجاه -»

أشار بشكل عرضي «يوجد هناك كهف اعتاد الناس على استخدامه لتقديم العطايا إلى الآلهة على مدى مليون سنة أو ما يقاربها»

«وهل أنت تصدق ذلك الكلام؟»

«إن الناس كانوا يذهبون إلى هناك لمدة مليون سنة؟ ولم لا؟»

«أنا شخصياً لم أذهب إلى هناك. أنا لم أصل إلى هذا البعد

جنوباً حتى انضممت إلى الفريق»

ارتفع حاجبا مسعود «إذا أنت لم تسافر كثيراً ، صح؟»

«ليس كثيراً»

«حسناً ، أنا أريد أن أشاهد كهف السماء - يبدو مثل الأماكن التي أرغب فيها»

«لا أظن أنه سيطابق ما تفكر فيه» وضع أورهان يديه على جانبي حوضه وتلفت حواليه أراضي الفندق المجاور بائنة بوضوح من حيث وقف في وسط حديقة القيللا . هناك ممرات طويلة على ذلك الجانب تؤدي إلى جدار منخفض يستطيع الضيوف الاستمتاع بمنظر البحر من فوقه ، وطلب المشروبات لتحضر إلى الطاولات الخارجية الموزعة في أرجاء العشب المقصوص بدقة . وقعت عيناه على مجموعة من السياح يتجاهلون الأمواج وينظرون إلى داخل حدائق القيللا ، ومجموعات الرجال الذين يرتدون البذلات الداكنة والنظارات الشمسية ، ويتحركون باستمرار أمام أورهان ومسعود وخلفهما كان مدخل القيللا مرئياً أيضاً من زاويتهم ، ولاحظ أنهم يشيرون في كل مرة تدخل فيها أية سيارة ضخمة

استمر مسعود في النظر إلى البحر «هذا ليس سيئاً أبداً»

«لا ، ليس سيئاً» قال مسعود «ولكنني أتمنى لو كان هناك جدار أعلى بيننا وبين ذلك الفندق بكل الأحوال»

قال مسعود «ذلك هو الفندق المخصص للأجانب أخبرني أحد الصبية المداومين نهاراً أثناء دخولنا . اسمهم نادي توربان (العمامة) أظن أنه جذاب بالنسبة للسياح»

«هممم»

«لقد دققوا في جميع النزلاء يا أورهان . أنت تقلق أكثر مما ينبغي»

نظر أورهان إليه «وماذا عن طاقم الموظفين؟ رجال تسليم المواد؟ الانخفاض في عدد النزلاء؟ نحن في يوم الجمعة ومنتصف الموسم السياحي»

«ولدينا خمسون رجلاً يتجولون في الأنحاء - مع وجود الجيش في الخارج . والبحر وراء ظهورنا استرخ . أعرف أنك تفضل أن تتواجد في البيت ، لكن هذه مهمة عادية . ابقِ عينيك مفتوحتين ، ولكن لن يكون هنا شيء لمراقبته في الخارج سوى الأمواج» .

همَّ أورهان أن يجادل لكنه أوقف نفسه

«ماذا؟ هل سيقوم متسلقو جبال بريون بحريون بتسلق الصخرة؟» قال مسعود ضاحكاً . وأومأ برأسه باتجاه الذين ينظرون باتجاههما من الفندق .

«هل ستقوم بضعة من هاته العجائز بالقفز عن السور في منتصف الليل ، والتغلب علينا؟»

عض أورهان على شفته السفلى «ذلك الجدار لا يعجبني»

«ستتم مراقبته !» نفض مسعود رأسه «أنت تعكر مزاجي الصافي . أعرف أنك تفعل هذا لأنك تريد أن تتواجد في البيت»

رفع أورهان إصبعه محذراً «انتبه»

ضحك مسعود ساخراً وتلفت حوله . هناك رجل تبدو عليه مخايل الأكاديمي يرتدي نظارة سميكة ببرواز أسود يتجول في أنحاء سطيحة الطابق الثاني ويتكلم في هاتف محمول . على الرغم من جبهته العالية وشاربه المنمق ، فقد كان يعطي انطباعاً عن هيئة شبابية - أشبه

بأستاذ جامعي متأنق أكثر منه الرجل الذي يعرفون عنه كونه في أوائل اربعينات عمره ولديه نفوذ قوي .

قال مسعود «ذلك هو المستشار . السكرتير الصحفي كالين»

نظر أورهان إلى فوق ، لم يكن إبراهيم كالين يعيرهما أي اهتمام «يا لها من إجازة تلك التي يرافقك فيها مدير المدرسة»

«تلك هي الوظيفة» قال مسعود «تلك هي مهمته لا راحة حينما تكون المدير» .

دس أورهان يده في جيبه وأخرج علبة سجائر وولاعة فضية

«ألم تكن قد عزمت على تركها؟»

تعامل أورهان مع الغطاء البلاستيك للعلبة «لقد نويت»

«يجب أن تمنح نفسك كل فرصة ممكنة ، صح؟ من أجل أورهان الصغير؟ وإلا فماذا ستفعلان بالغرفة الإضافية؟»

سحق أورهان الغطاء الشفاف داخل قبضته «لقد قمت سلفاً بانتقاء سرير مهد»

طأطأ مسعود رأسه باتجاه السجائر في يد صديقه «وإذاً؟»

نظر أورهان إليه وتوقف ، ثم أعاد علبة السجائر والولاعة إلى داخل جيبه «ما كنت لأستمتع بها على أية حال»

«كلا ، لن تستمتع» وافقه مسعود «حتى أنا أعرف ذلك . هلم بنا ، دعنا نقوم بجولة أخرى ونقدم تقريرنا يمكنك أن تتحسس على الأشجار بحثاً عن أية أسلحة مخبأة»

الفصل الخامس عشر

المرآب الرئيس في قاعدة ديار بكر الجوية معتم فيما عدا أضوية النيون الخضراء التي تشع فوق مخارج الطوارئ . غلفت العتمة طائرات التدريب المحورية وطائرات الهيلوكبتر تحت وميض غرائبي ، جعلها تبدو مثل مخلوقات مغرقة في القدم استحضرت بالمخيلة وزرعت وسط ملعب مهجور مخصص للأطفال . انتظر فاتح شاهين مع اثنين من مساعديه تحت واحدة من طائرات البلاك هوك ، على مسافة بسيطة من المدخل الرئيس ، وقد مكنتهم ألبستهم العسكرية من الذوبان وسط الظلام ، بحيث لا يظهر سوى وجوههم . لم يتكلم أي منهم منذ وصولهم قبل عشر دقائق ، وهو الوقت ما بين منتصف الليل ونداء الإيقاظ الأول في الرابعة من صباح ذلك اليوم ، كانوا متوترين إلى درجة أن هرولة فأر أجفلتهم وأخذوا يتلفتون حولهم . صدر صوت من الجهة المقابلة للمرآب وانفتح باب جانبي ، دخل رجل يرتدي مثل ملابسهم وأقفله خلفه بكل هدوء وصمت ثم اتخذ طريقه نحوهم . سميح تيرزي . تصالب الرجال الثلاثة في وقفتهم وانتظروا وصول قائدهم إليهم .

«أشكركم على قدومكم» قال عندما وصل إليهم ، وكأنما هم يلتقون لحديث غير رسمي حول واحدة من هواياتهم أو اهتمامهم وهو رئيس النادي . ردَّ على تحياتهم الرسمية وتمتم كل رجل .

«سيدي الجنرال»

«هل تم إقرار كل شيء؟» سأل فاتح شاهين . هو أقصر قامة من تيرزي وأكثر بدانة ، فرفع عينيه نحو الجنرال بعينين تواقتين . لدى كلا الرجلين سجل خدمة طويلة في قيادة القوات الخاصة ويعرف أحدهما الآخر جيداً

«كل شيء في مكانه» قال تيرزي «أربع وعشرون ساعة وبعدها نتحرك . سيكون كل شيء هادئاً بقدر ما هو الآن»

هزَّ الرجال رؤوسهم لبعضهم بعضاً عند سماع هذا

ارتسمت ابتسامة قناعة على وجه شاهين «من أين سيحضر سوغميز اتيش الرجال لأجل فندق مارمريس؟»

«سيتم سحبهم من أولئك الذين يقضون إجازاتهم أو يشاركون في مساقات تدريب» بدا تيرزي واثقاً ، بدرجة متناقضة مع التركيبة الخفية لهذا الاجتماع . «مناطق مختلفة ووحدات مختلفة . لن يكون أي منهم قد عمل مع الآخر من قبل»

«ما الذي يعرفونه عن جهاز حماية الرئيس؟»

«إنه على الوضع الدائم نفسه يا فاتح . عندما يحين الوقت ، سيهبط الفريق ويشتبك إذا اضطر إلى ذلك . عنصر المفاجأة هو المفتاح دوماً . لن ينتقي سوغميز اتيش رجالاً يمكن رفضهم بسهولة»

«وكيف سنتمكن من الوصول إليهم؟»

ظهرت تجعيدة في وسط جبين تيرزي «متى؟ تقصد أثناء المهمة؟»

«إذا اضطررنا إلى ذلك»

«لن نضطر . سيرغمهم سوغميز اتيش على صمت أجهزة الاتصال منذ اللحظة التي ينسحب فيها . لن نسمع منهم أي شيء حتى لحظة اقترابهم من أنقره»

«مع الرئيس»

«نعم يا فاتح ، مع الرئيس كل شخص آخر –» رفع تيرزي هاتفاً محمولاً «سيكون مع مجموعات منذ البداية»

«ما الذي يحدث؟» سأل شاهين «أنا أشعر أنني عجوز عندما تصبح التقنية المدنية أفضل طريقة للتواصل»

«إنه الترميز» قال تيرزي «لم تستطع أي حكومة أن تفكك رموز هواتف الإرهابيين الذين يستولون عليها بدون إذن الصانع»

«بالطبع ، وإلا فكيف تعتقد أن أبناء الزنى يستمرون في الدخول ومهاجمتنا؟»

التفت شاهين إلى الرجلين الأصغر سناً «فقط تأكدا من أن زوجتيكما لا تكتشفان الوضع» .

«أو القائد» أضاف تيرزي «ليس بعد على الأقل»

«بأي من الطريقتين ، لن تكون حياتك تستحق أن تعاش» ضحك الرجال الأربعة بهدوء ، بحيث أبقوا الضجة منخفضة حتى رغم عدم وجود أي شخص على مدى مئة ياردة

«كيف تعتقد ستكون ردة فعله؟» سأل شاهين بعد لحظة

«تقصد الرئيس؟» فكر تيرزي للحظة «تقضي مهمتنا بأن لا نمنحه أي وقت ليقوم برد فعل يجب أن يكون كل شيء محكماً في الوقت الذي يستيقظ فيه وبقية البلاد صباح يوم السبت . سيكون ذلك يوماً جديداً»

«يوم جديد» ردد شاهين مثل الصدى «يعجبني ذلك»

***

الرائحة المنبعثة من سلة الأوراق المهملة باعثة على الاختناق . بذل ليڤانت أقصى جهده ليتجاهلها أثناء وقوفه مرتدياً قميصه ال تي شيرت العادي وبنطال الجينز ، يسترق النظر من فوق كتفي أرمان وصدري أثناء عملهما

«أنتما تعلمان أننا في عصر الجمعة والشيء الذي أبحث عنه يفترض فيه أن يحدث هذه الليلة ، هل أنا محق؟ لماذا تعرضان علي كل هذا الآن؟»

«أيها العميل ، نحن في هذا المكتب نخصص أوقاتنا بموجب نظام مدفوع بالأولويات ومنتهى الوضوح» . قال صدري وهو ينقر على فأرته انفجرت الشبابيك فوق كامل شاشة حاسوبه

صور مبتسمة لأناس مختلفين ، معظمهم نساء ، وكلهم يرتدون ملابس رسمية بصحبة الأصدقاء والعائلة ويبتسمون للكاميرا . هناك عدد من الأصغر سناً الذين يزمون وجوههم بلقطات السيلفي «يعطي التعيين والتحليل لأفضل المعلومات التي تؤدي إلى أفضل إمكانيات النجاح وطريقة اختيارنا شفافة لكلينا» . استطرد صدري «وهي الأكثر مساهمة في النجاح المطرد لمؤسسة الاستخبارات الوطنية»

«وأين يقع ترتيب أولوية تعييني؟»

«لقد تسنى لنا عشر دقائق بعد الغداء اليوم ، لذلك قررنا أن نستدعيك» قال أرمان وهو يمنع خروج زغطة

عبس ليڤانت وأدار رأسه بعيداً «هل ذلك هو مصدر الرائحة النابعة من سلة المهملات؟ هل أكلتما ذلك؟»

«هذا صحيح» . قال صدري . أنهى نقره على الفأرة «آه نعم ، ها نحن هنا ، الآن -» توقف عندما سمع صوت رنين قادم من جيب

ليڤانت «هل تنوي أن ترد على هذا؟» تبادل أرمان وصدري النظرات

«والآن اعذرني لمجرد دقيقة - !»

«آسف !» وصل ليڤانت خارج الباب «سوف أعود . نظفا سلة المهملات !»

لدى مشاهدته مجموعة صغيرة تنتظر أمام باب المصعد في نهاية القاعة ، استمر ليڤانت في الجري وفتح الباب المؤدي إلى الدرجات . نزل مسرعاً ولم يصادف أي أحد حتى بلغ الطابق الثاني .

عند باب غرفة الاستجواب ، رفع أوميت يده حينما رآه قادماً

«هل هو في الداخل؟» حاول ليڤانت أن يتجاوز أوميت عبر الباب ، لكن الرجل وقف في وجهه

زميل ليڤانت ضخم الجثة ، بدين بالمقارنة مع نحول ليڤانت ، وظل موضوع نجاح أوميت في فحص اللياقة البدنية السنوي يشكل معجزة لليڤانت . اليد التي استخدمها أوميت لمنع دخول ليڤانت أكبر حجماً من رأسه

«هو في الداخل . لقد سأل عنك فور وصوله ، لكن درويش معه حالياً ، يأخذ إفادته»

«ما الذي قاله؟»

شكل أوميت ملقطاً في فمه ثم نفض رأسه «لقد سمعت بعضاً منها في الداخل . ولن أقول شيئاً هنا في القاعة خارجاً»

توقف ليڤانت عن الصراع معه ووقف ساكناً «هذه الليلة؟»

هزَّ أوميت رأسه بالإيجاب «إنه يقول أشياء مجنونة أظن أنه يحتمل إصابته بلوثة دماغية . لقد طلب له درويش الطبيب»

«أريد أن أراه»

ربما لم يكن أوميت قادراً على إظهار التعاطف - لكنه وضع يده على كتف ليڤانت وتكلم بصوت بطيء «ليس قبل أن ينهي درويش أخذ إفادته لا أحد منا يرغب في عمل أي شيء خارج عن التعليمات مع هذا الرجل»

«ليس لدينا الوقت لذلك !» اتكأ ليڤانت على مقدمتي قدميه فتصالب وجه أوميت .

تراجع إلى الوراء عاقداً ذراعيه ، وقد غطت كتلته العريضة كامل مساحة الباب .

«كيف كانت النتيجة في المرة الأخيرة بالنسبة لك يا ليڤانت؟ في الواقع ، ألا يفترض فيك أن تكون مجازاً؟ في هذا الوقت بالذات؟»

لعلق ليڤانت شفتيه في إحباط واضح ورفع إصبعه «سوف أعود»

«ذلك ممتاز -» ارتفعت زاويتا فم أوميت في مشروع ابتسامة «سأكون موجوداً هنا»

استقل ليڤانت المصعد إلى الطابق العلوي واتجه فوراً إلى مكتب فيدان .

«هل هو في الداخل يا إيدا؟» سأل السكرتيرة عند الطاولة نصف الدائرية أمام باب مكتب فيدان . شعر إيدا البني يتحول من البني إلى الرمادي تدريجياً ، وهي من نوع النساء اللاتي يتمتعن بالثقة بالنفس ولا تجري أي محاولة لإخفاء عملية التقدم في السن بواسطة الصباغ أصرت على أن ترتدي كنزة صوفية خفيفة فوق قميصها حتى في هذا الوقت الذي يبلغ فيه الصيف قمته ، لأنه ، وحسب ما أخبرت ليڤانت حينما سألها عن الكنزة «جهاز تكييف الهواء يتسبب للناس بالحمى - الكل يعرف ذلك»

توقفت عن الطباعة لوجود ليڤانت المتوتر بشكل واضح واقفاً فوق رأسها ، وحدقت في دفتر المواعيد اليومية أمامها ، ممسكة بنظارتها الطبية بيدها في الأثناء .

استطاع ليڤانت أن يرى بأن مفكرة فيدان ممتلئة بالمواعيد والأسماء المشطوبة ، وهي مؤشر على مدى انشغال الجاسوس الأكبر حينما تواجه البلاد تهديدات متعددة على تشكيلة متعددة من الجبهات . ينتبه ليڤانت من وقت لآخر إلى تفرد وضعه - الشرطي السابق من الأجزاء الوسخة في المدينة الذي يحظى بمزية استماع رئيس جهاز الـMIT إلى ما لديه . تركت إيدا نظارتها تسقط على الخيط الذي تحتفظ به حول رقبتها «لديه ثماني دقائق ، وبعدها سيتلقى مكالمة من رئيس وزراء بلغاريا» .

قوّس ليڤانت حاجبه متسائلاً «وبعد ذلك؟»

«ليس لديك تصريح . ولكن لديك سبع دقائق ونصف الآن . هل تريدني أن أضغط الجرس وأدخلك ، أم أنك تفضل الوقوف في الخارج هنا وتراقبني بينما أطبع رسالة؟»

«أخبريه أنني هنا ، أرجوك يا إيدا» .

«خيار حكيم» ضغطت إيدا على الزر قديم الطراز وتكلمت في السماعة

«ليڤانت هنا ، حضرة الرئيس فيدان» .

جاء الصوت العائد إليها مكسراً «اسمحي له بالدخول» .

رفعت إيدا يدها باتجاه الباب «هيا ادخل . سبع دقائق»

منحها ليڤانت ابتسامة امتنان وكاد يهرول إلى داخل المكتب . وجد فيدان جالساً إلى مكتبه ، يراجع ملاحظات داخل حافظة جلدية ضخمة .

«يفترض فيك أن تكون في إجازة» قال فيدان بدون أن يرفع نظره «فهل ستضطرني فعلاً إلى إصدار أمري مهدداً إياك بالتوبيخ حتى تذهب؟»

«سوف أحصل على وظيفة منظف وأتسلل إليك بتلك الطريقة»

«أنا أصدقك فيما قلته» أغلق الحافظة بقوة «حسناً ، ما هو الأمر؟»

جلس ليڤانت على الكرسي المواجه للمدير العام مباشرة وسحب نفساً عميقاً وكأنه قد أكمل نصف ماراثون لتوه .

قال «آمل أن ذلك لم يكن مهماً»

قال فيدان «كل شيء في هذا المكتب مهم . أخبرتك إيدا أن لدي خمس دقائق ، صح؟»

«لقد قالت سبعاً»

«لقد تم إعلامك خطأ . بعد خمس دقائق سوف يتصل بي رئيس وزراء بلغاريا ليخبرني كيف أن بلاده ستسحب ورقة من كتاب المجريين وتبني جداراً على حدودها . بعدها سأعود إلى هذا التقرير الذي يخبرني أن أتراك الجبال الذين كنت تتعقبهم - أو على الأقل تتعقب أصدقاءهم - يديرون معسكرات في جبال الألب السويسرية . هل يمكنك تخيل الأمر؟»

نسي ليڤانت للحظة السبب الذي جاء به إلى مكتب فيدان «لقد كان كريم قد عاد من فرنسا لتوه . قال المخبر إنه كان موجوداً هناك لأجل مباراة كرة قدم ولكن -»

«ولكن هل هناك احتمال بأن هذه الرحلة كانت مرتبطة بما أقرأه عنه هنا؟» أنهى فيدان الكلام عنه . «نعم ، هناك كل احتمال . ولذلك أنا أريدك أن تكون مستريحاً وجاهزاً للذهاب مرة أخرى خلال بضعة

أيام . إيدا هناك تقوم بطباعة رسالة استفسار إلى القنصلية السويسرية بينما أنا أنتظر لكي أتحدث مع زميلي هناك حول هذه المعسكرات»

«هناك الكثير مما يجري» قال ليڤانت وعقله يعمل بأقصى قدرته

وافقه فيدان «الكثير جداً»

«ولكن ذلك يجب أن ينتظر» قال ليڤانت وهو يتقدم في جلسته «لدينا ضيف في الطابق السفلي» .

ضغط فيدان إصبعه أمام ذقنه في تشكيلة برج الكنيسة المعهودة عنه «ما نوع هذا الضيف؟»

«النوع الطيار - هليوكبترات في هذه الحالة . الشخص الذي كلمته هذا الأسبوع»

«وقد قال إن شيئاً ما سيحدث هذه الليلة ، أليس كذلك؟ وهل ما زال يقول ذلك ، أم أنه غير لحنه؟»

«لم أستطع أن أكتشف . يقوم أوميت ودرويش بالتحدث إليه حالياً - إنهما يحتفظان به في البراد بينما أوميت واقف بالباب»

استند فيدان إلى الوراء في كرسيه «فهمت» انتظر ليڤانت ليرى ما إذا كان سيضيف أي شيء إلى ما قاله . تخيل في ذهنه إيدا وهي تذكره «ثلاث دقائق ونصف ، أيها العميل ليڤانت» .

سأل فيدان «هل كان كلامه أكثر تهديداً؟»

«ليس في حدود ما أعلم . لا أعرف ما الذي يقوله لهما تحت هناك»

نظر فيدان باتجاه الشباك .

«هو ذلك النوع من الأمور التي كان الضباط يضغطون عليه ليشارك فيها» نهض ليڤانت .

رافقته عينا فيدان في نهوضه وقال «شيء ما هم بحاجة إلى طائرة هليوكبتر لتنفيذه . ماذا أيضاً؟»

«مما استطعت أن أجمعه –»

«من مجرمين معروفين –»

«نعم أيها الرئيس ، ولكن ليس لديهم سبب يدفعهم إلى الكذب حول هذه المسألة . مما جمعته ، فإن الجيش ، أو على الأقل قسم من الجيش ، يقوم بعمل ما هذه الليلة يحتمل – لا ، بل شيء ما ليس يمتلك السلطة للإقدام عليه حتماً»

«وهو عمل إجرامي ، ويحتمل أنه مرتبط بهذه القضية التي تعمل عليها والتقرير الموجود أمامي»

«أنا لا أعلم بعد عن أي من ذلك يا سيدي» . تجول ليڤانت للحظة . «ولكنني أعتقد أنه فوق الإجرامي ، أبعد من الإجرامي» .

«إنك تتكلم عن عمل تدميري سافر ، يتعلق بأعضاء من قوات الدولة يا ليڤانت . ينبغي أن يعالج هذا الأمر بالطريقة الصحيحة هنالك إجراء متبع لمثل هذا العمل»

«أنت تتكلم مثل أوميت»

«ذلك لأن أوميت على حق . هل هذا كل ما يعرفه طيارك؟ سيحدث شيء ما هذه الليلة ويحتاج قائده إلى هليوكبتر ، صح؟»

«لقد قال لي هذا القدر . ليس بتلك الكلمات بالضبط ، ولكن – أنت أدرى»

«نحن بحاجة إلى أكثر من هذا يا ليڤانت» .

«سيكون لدى درويش التقرير عما قريب . أليس هذا كافياً لتحريك الأمور؟ ربما حتى الاتصال مع الناس في المراكز الأعلى؟»

«إنني مندهش لأنك لا تعرف حتى الآن كيف تتم هذه الأمور يا ليڤانت . الناس الوحيدون الأعلى مني هما رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية . ولقد كانت لدينا قصص رعب سابقاً . الدولة مليئة بهذه القصص حالياً»

«هذا الرجل مجفل أيها الرئيس . قد لا تكون أسوأ مخابرة»

«الرئيس موجود خارج المدينة ، يقضي إجازة . هل كنت تراقب الأخبار؟ أنا لن أخابره بناء على إفادة طيار مضطرب عقلياً . أحضر لي الإفادة من درويش وبعدها ستدخل أنت إلى هناك وتحصل على إعادة لقصته ، تأكد من أنها مطابقة ، أنت تعرف ما ينبغي عمله هناك . احصل على شيء صلب . أسماء . لقد اقتربت نهاية الأسبوع لذلك حاول أن تحصل عليه قبل الساعة الخامسة ، بحيث يبقى احتمال بوجود شخص ما في عمله يمكننا أن ندقق الأمر معه قبل أن يتوقف الجميع عن العمل» .

طأطأ ليڤانت برأسه باحترام وفتح الباب . كانت إيدا واقفة عند الجانب الآخر ، وقد ارتسمت على وجهها نظرة عجولة . قالت من خلال الباب «مكالمتك»

«نعم يا إيدا» قال فيدان وتناول سماعة الهاتف .

«شكراً أيها الرئيس» قال ليڤانت وهو ينحني لإيدا أثناء مروره بها وركض نازلاً إلى المكتب .

الفصل السادس عشر

بعد أن أنهى التزاماته لفترة الغداء وبدأ النهار يتجه إلى العصر ، جلس سميح تيرزي إلى طاولة مكتبه وملأ صفحات بكلمات من قلمه المفضل ذي الحبر السائل . كتب بالأسلوب المفصل ، بدون أية أدوات إلكترونية على المكتب ، ولا المعدات المكتبية فوق الرأس أو إضاءة من مصابيح . ساعده في مهمته حقيقة أن مكتبه يواجه الناحية الجنوبية من ديار بكر ، يشرف على المدرج حيث تقلع طائراته وتهبط كل يوم ، ولا ينزعج من عويلها المدوي مطلقاً إلا إذا كان يرغب في التحرك والوقوف على الشباك ليراها تتحرك . مع بدء ميلان الشمس وتحول اللون المثالي في الغرفة إلى العنبري ، استمتع بالجو الطبيعي واسترخى في المهمة الصعبة التي تنتظره . كان قد أنهى كتابة ملاحظة لزوجته لتوه حينما بدأ هاتفه المحمول يرن . أدخل يده في درج مكتبه وسحبه . ظهر على الشاشة الوجه المدوَّر والأنف الضخم الأفطس لجورخان سونميز إيتش يهاتفه من قاعدة تشغيلي الجوية على ساحل إزمير

«لقد وصل الفريق الجديد إلى الفندق في مارمريس» قال تيرزي «هل هناك من جديد حول تحركات الرئيس؟»

«لا شيء» أجاب سونميز أتيش «يبقى البرنامج على حاله» .

«وهل جميعكم متخذون أمكنتكم؟»

«كل شيء على أهبة الاستعداد ولدينا كل ما نحتاجه . لقد

شرحت لهم بعض النقاط التفصيلية ، لكن التفاصيل النهائية سيتم التحفظ عليها حتى نصبح في الجو»

«كم عدد الذين يعرفون منهم؟»

«فقط أولئك الذين أعرف أن بإمكاني الوثوق بهم . الطيارون بدرجة خاصة لا يمكنهم التحليق بدون معلومات»

رفع سونميز أتيش الهاتف بحيث استطاع تيرزي أن يشاهد الساحة المهجورة التي يتكلم منها . هناك باب مزدوج يؤدي إلى بناية مربعة من الإسمنت المسلح خلفه

«لن يكون هناك أي شيء يلفت الانتباه إلينا لا أحد ينزل إلى هذا القطاع ، وكل رجل هنا إما أنه يفترض فيه أنه في إجازة أو يتلقى التدريب . سيكون الجميع تحت في الدور السفلي» .

«هل أجريت مسحاً بالنسبة للإشارات؟»

يقدم أورپين بذلك مسحاً كل ساعة . لقد صدرت إليهم أوامر بتسليم كل شيء يحملونه . سوف يلتقط أقل رجفة مثل مصباح يدوي إذا انطلقت أية اشارة»

«أو يحضر شخص ما»

نفض سونميز أتيش رأسه نفياً «غير محتمل .إنني متفاجئ لأنني تمكنت من الاتصال بك من هنا أصلاً» .

«ماذا إذا تم التقاط اتصالك من مبنى القيادة العامة هناك؟»

«إن رجالي موجودون هناك أيضاً كما قلت ، كل شيء مرتب . لن تقع أية أخطاء من جانبنا في العملية»

«تمام» . اطمأن تيرزي بعض الشيء «هل التأكيد الأخير في الوقت المحدد؟»

هزَّ سونميز أتيش رأسه موافقاً «سنراعي صمت أجهزة اتصال الراديو من هنا . سأكون موجوداً تحت الأرض . ستشاهد عودة ضوئي الأخضر عندما أقترب من أنقرة»

«حتى ذلك الوقت» قال تيرزي .

«حتى ذلك الوقت»

على مسافة خمسمئة ميل إلى الجنوب ، وفي النقطة التي تكاد تكون متوسطة بين موقع تيرزي في أقصى الشرق و سونميز أتيش في الغرب ، أسقط فني روسي في قاعدة مطار حميميم في اللاذقية بسورية ، قلمه ونزع السماعات عن رأسه نظر خلفه إلى حيث جلس المشرف عليه إلى مكتبه ، يدوِّن

قال له «لدي شيء ما»

***

رافقت آيلا اللحن الخارج من سماعة جهازها بالدندنة أثناء قيامها بفرم الثوم وتسخين الزيت والفلفل الحار فوق الغاز . نظرت إلى ساعة يدها - سوف ينضج لحم الدجاج على مهله في الوعاء بينما هي تأخذ الدوش وتهيئ نفسها - لن تصل ديميت قبل ساعتين على الأقل

رن الهاتف فتناولته عن السماعة وقالت بصوت عال «بارس . من غيره؟»

***

ضغط ليڤانت على الزر الثاني في المصعد ليأخذه نزولاً نحو غرفة الاستجواب ، ولكن خطرت له فكرة مفاجئة فضغط على زر الطابق الرابع نقر مرة واحدة على اب ارمان وصدري ودخل فوراً . الرجلان

جالسان كما هو حالهما دوماً ، عالقين على شاشتيهما ، ينقران المفاتيح ويديران الفأرتين .

سأل ليڤانت «ما الذي قلت إنه لديك من أجلي؟»

«آه . انظر» قال أرمان وعيناه مسلطتان على الجهاز «لقد تذكرنا» .

«أمر جيد أن نعرف بأننا لسنا منسيين في هذا المكان» وافقه صدري .

«لقد تم استدعائي - أنت تعرف كيف تجري الأمور»

«أخشى أننا لا نعرف أيها العميل . نحن لسنا سوى فنيين برتب متدنية»

قال أرمان «ولدينا سلة مهملات برائحة نتنة»

تنهد ليڤانت وتدلى كتفاه «أنا آسف لأنني سخرت من مكتبكما . فهل تلطفتما بعرض ما لديكما عليّ رجاءً؟»

نزع صدري يديه عن لوحة المفاتيح ودفع كرسيه بعيداً عن الطاولة

«يبدو هذا جيد بالنسبة لي يا أرمان ، فماذا عنك؟»

«أظن أنني قادر على تقبل ذلك» . تطاول أرمان تحت سطح الطاولة الملتصقة بالجدار أمامه ، والتي تمتد من الباب وحتى الجهة القصية من الغرفة وأخرج كومتين من الوثائق .

قال ليڤانت «ليس لدي الوقت لأقرأ كل ذلك»

«ولو فعلت لفقدت الرغبة والإرادة للاستمرار في العيش» . نهض صدري ومشى مقترباً من حيث وقف ليڤانت فوق رأس أرمان . «ولكنك اكتشفت شيئاً ما ، أيها العميل ليڤانت ، لذلك خذ وألقِ نظرة»

بعد ثلاث دقائق ، كان ليڤانت يسحب كلاً من مهووسي الحاسوب عبر طابق هاكان فيدان ليوصلهما أمام مكتب إيدا حيث أمرها بأن ينهي المدير مكالمته مع رئيس وزراء بلغاريا ؛ لأن لديه شيئاً أكثر أهمية بكثير ليبلغه إياه . رفضت إيدا واضطرت جماعة ليڤانت الصغيرة أن تنتظر حتى انطفأ الضوء على خط هاكان فيدان الخارجي ، وزمت سكرتيرته شفتيها وضغطت زر الاتصال الداخلي . ران صمت طويل بعد أن أخبرت المدير فيدان بأن ليڤانت قد رجع . وقف كل من أرمان وصدري غير منسجمين ، ينظران حولهما بانزعاج إلى العملاء ذوي المراتب العليا ، والذين تملأ مراكز عملهم مساحة المكتب خارج غرفة المدير العام . فكر ليڤانت أن الاثنين يشعران بتضاؤل قيمتهما لدى خروجهما من محيط عملهما . فرض القانون الطبيعي نفسه بدون الجدران الافتراضية والحواجز الرقمية التي يقيمانها حول شخصيهما

«أدخليهم» جاء صوت فيدان المكتوم بحالة قبول .

«هيا بنا» قال ليڤانت وسحب أرمان من ذراعه . ظهر الارتباك على وجهي المحللين اللذين لم يقتربا من مكتب المدير مطلقاً من قبل . انتظر ليڤانت حتى أحضر صدري الأوراق عبر الباب ثم أغلقه خلف ثلاثتهم .

استمر فيدان في الجلوس خلف طاولة مكتبه . أشار إلى الرجلين وإلى كومة المطبوعات وفتح ذراعيه «ما كل هذا؟ أين هو الطيار؟»

«يحتمل أنه يشرب القهوة ويمارس تفاهته تحت» . دخل ليڤانت إلى وسط الغرفة وتناول الصفحات من صدري . أفردها أمام فيدان . «لا يمكن أن يكون قد أعطى أوميت ودرويش أي جديد . فقط أن هناك شيئاً ما سيجري هذه الليلة ، أمره قائد وحدته أن يكون جاهزاً لأن يطير

ولكن بدون أن يسجل خطة طيران لدى جهاز رقابة الطيران . فلماذا يفعلون ذلك؟»

نهض فيدان واقفاً وهو ينظر إلى الصفحات تحته «وما كل هذا؟»

قلَّب ليڤانت أوراق الكومة السميكة ، فصلها وأفرد كومتين جديدتين ، احداهما أكبر من الأخرى بدرجة واضحة . ضغط بإصبعه على الأصغر إلى اليسار . «هذا؟ هذا دليل من طراز قديم» . أراح يده على الكومة الأكبر «أما هذا - فهذا ضجيج . نسائي ، ضجة أنا سعيد بالقول إن أرمان وصدري هنا اضطرا إلى قراءتها بدلاً مني»

انتظره فيدان حتى يفسر ، وقد ارتفع حاجباه .

«كما تعرف أيها الرئيس» التمعت عينا ليڤانت . «حتى الضجة لها فائدتها بين الأيدي المناسبة . هذه محادثات بين زوجات الرجال العاملين في القوات المسلحة على الحاسوب . معظمهم ينتمي إلى الجيش الثاني ، ولكن هناك قلة من الجيش الأول ، ورغم أننا لم يتسن لنا الوقت حتى الآن ، فنحن واثقون من وجود المزيد من الجيش الثالث . على القمة ، ستجد رجلين في سلاح الجو ، ولكن زوجتيهما أكثر حذراً من نساء الجيش»

«محادثات على الحاسوب؟ من أعطاك الإذن لتدخل على هذه الحسابات؟»

«الدخول يا رئيس؟ هذه كلها مكالمات من حسابات عمومية ، فيسبوك ، انستاغرام . ليس هناك واحد من ترتيبات الخصوصية قد تم تشغيله . إنها موجودة ليراها ويسمعها الجميع . إنهن لم يزعجن أنفسهن بإخفاء أي شيء !»

مال ليڤانت إلى الأمام وأشار إلى الصفحة التي يحملها فيدان

«مئات الزوجات ، الخطيبات ، والصديقات يتحدثن عن خططهن لنهاية الأسبوع مع صديقاتهن . واحزر ماذا؟ معظمهن يشتكين لأن رجالهن مضطرون للعمل طيلة نهاية الأسبوع . بشكل غير متوقع . لقد صدر الأمر بإبقاء الجميع في معسكراتهم . هل سمعت عن ذلك؟»

عبس فيدان . بدأ يقلب الصفحات بسرعة ، متفحصاً كل واحدة .

«لا لا شيء عن الاحتجاز في المعسكرات» بدأ يلاحظ النمط . «ماذا بحق -؟» رمى الصفحات «ما هو الموجود في هذه الكومة الأخرى؟»

«الآن» قال ليڤانت وهو يتناول الصفحة الأولى من الكومة الأقصر ، تلك التي وصفها بأنها دليل من موضة قديمة «ألقِ نظرة على هذا . أنت تعرف أن أي ضابط ، خاصة ضباط القوات الخاصة ، مجبر على ترك رقم اتصال وعنوان حتى يمكن الوصول إليه ، بالإضافة إلى رقم هاتفه المحمول المعتاد ، أليس كذلك؟»

«نعم»

وقف أرمان وصدري على مسافة وراء ليڤانت وقد تركاه ليقدم العرض ، متأملين أن لا يتم الانتباه إليهما

«حسناً ، انظر إلى هذا - المئات من الضباط - أعني المئات يا سيدي - لم يتركوا عناوين اتصال . ولا حتى عناوين وهواتف بيوتهم . وذلك يعني أنهم مضطرون للبقاء في معسكراتهم هذه الليلة . أيها الرئيس ، ليس هناك أمر مسجل على أنه سيحدث هذه الليلة ويتطلب وجود ذلك العدد من الضباط -» أشار إلى مسح الوسط الاجتماعي في يد فيدان . «وكل رجالهم؟ أردت أن أتأكد من دقة معلوماتي ، لذلك طلبت من أرمان قبل أن أجيء إلى هنا أن يسحب الملفات نفسها من الأسبوع الماضي والأسبوع الذي سبقه كان كل هؤلاء الضباط

ورجالهم قد انصرفوا . المعسكرات كانت تدار بأطقم هيكلية . انظر إلى هذا -» رفع صفحات من قاع ملف الدليل الدامغ «تذاكر طيران ملغاة تذاكر حفلات موسيقية ملغاة . عقداء وعملاء ! ما الذي يجري؟»

«حسناً» اقتنع فيدان «من غيركم أنتم الثلاثة يعرف عن هذا الأمر؟»

«أوميت ودرويش يتكلمان مع الطيار منذ لحظة وصوله . يحتمل حتى إنه لديهما فكرة أفضل عما يجري مما نعرفه نحن في هذه اللحظة . فيما عدا ذلك ، يحتمل أنه تكلم مع أي شخص موجود على المكتب - سوف أتحقق . لكن هذا أمر عميق أيها الرئيس . عميق إلى درجة أنني فكرت بأننا آخر من سمع عنه أي شيء»

«موافق» ألقى فيدان بالأوراق على الطاولة . «أحضر هذين الشخصين إلى هنا وأخبرهما لا يتكلم مع الطيار أي شخص آخر» سحب براجم قبضته فوق فمه وقد غرق في التفكير

«أريد فريقاً صغيراً في البداية . أنتما الاثنان -» أجبر إصبعه الموجه إلى أرمان وصدري على الانكماش . «أحضرا لي محللين آخرين وأفهماهما أنهما سيعملان على موضوع في أعلى المستويات . إذا خرجت كلمة مما نفعله من هذا الباب ، فهما لن يخرجا من الزنزانة حتى يكونا جاهزين لحفر قبريهما بنفسيهما . ذلك ينطبق عليكم . ليڤانت ، سيكون أوميت ودرويش تحت إمرتك بعد أن نستمع إلى ما لديهما ليقولاه . هذا كل شيء بالنسبة للآن - ولكن توقعوا أن يتغير كل شيء في أية لحظة . لديكم إمكانية الوصول لأي فريق إطفاء نيران تريدونه - إذا دعت الحاجة إليه - ولكن حالياً نحن نعمل على الهواتف ونرى إلى أي مدى يصل هذا الأمر» .

«حاضر أيها الرئيس» قال ليڤانت .

صفع فيـدان جبينه «لعنة الله على هذا ! أنا مضطر إلى الاتصال بخلوصي أكار»

نظر إلى أرمان وصدري «أخبراني أنه ترك تفاصيل الاتصال به»

الفصل السابع عشر

أزالت آيلا الغلاف عن الجبنة الطرية التي كانت تحتفظ بها في الثلاجة وفتحت مرطبان زيتون . وزعت المقبلات على صينية التقديم المقسمة ، كل في قسم ، فجاء مكان خبز السمسم والمقرمشات في المؤخرة . تطلعت بشوق إلى قالب الشوكولاته الكبير القابع على الرف العلوي وكيس التشيبس الحار فوق علبة الخبز

يمكنهما الانتظار إلى ما بعد

زجاجة النبيذ الأبيض قد جرى تبريدها في الدكان حينما اشترتها في طريق عودتها من العمل وخبأتها عن عيني حارس البناية في قعر حقيبتها . حتما ستنضم إليها ديميت في شرب كأس صغيرة بعد الانتهاء من تناول الطعام . هذه واحدة من الأشياء الصغيرة التي تخرج من حياتها بتمهل منذ أن انتقلت هي وأورهان للسكنى سوية - مع مباركة والديه المترددين .

كانت أمها قد اشترت لها طباخاً بطيئاً . ظهر وجه أورهان على شاشة هاتفها وكأنما استدعته من ذاكرتها ، وقاطعت الموسيقى رسالة نصية واردة .

سلام أيتها الجميلة

ضغطت على الهاتف لتجد صورة - حديقة جميلة ملأى بأشجار السرو الظليلة ومبنى جازيبو إلى ناحية اليمين . التمعت زرقة البحر

بلون الكوبالت ، تثير الأمواج الرغوة فوقها ، في مؤخر الصورة . لم تكن هناك كلمات مطبوعة تحت المنظر ، لكن ذلك بدا مناسباً لصورة الفردوس الصغيرة التي أرسلها إليها . فالكلمات لا تنصفها نقرت إجابتها

«يمكن أن تطرد على هذا العمل !»

بدأ القلم الصغير تحت رسالتها يتحرك جيئة وذهاباً ، فانتظرت حتى ينهي أورهان رده

أسوأ . جاء الرد - **بل يمكن حتى أن يلقى بي في السجن!**

ابتسمت ، فظهرت أسنانها البيضاء عند شفتها العليا . ربما كانت تمارس نفوذها الصغير على أورهان أيضاً . فالرجل الذي قابلته في موعد غير محدد ما كان ليرسل أي شيء من هذا القبيل - ناهيك عن التنكيت حول المسألة

أنا أحبك . أنهت الرسالة مع صورة قلب .

كتب رسالته التالية بعجالة . **يقول مسعود إنه ينبغي علينا القدوم إلى هنا في شهر عسلنا . أعتقد أن كلامه منطقي**

أعادت النظر إلى الصورة وحلمت قليلاً تصورتهما جالسين في تلك الحديقة في الأمسيات ويعثران في الصباح على ممرات صغيرة تؤدي نزولاً إلى البحر . سيعثران لنفسيهما على مكان هادئ بين سيقان القصب ولا يفكران بأي شيء على الإطلاق . سيكون ذلك رائعاً

طبعت بإبهاميها وقد أحست بدفعة من الشقاوة . **تلك هي المرة الأولى التي حدث فيها هذا ، صحيح ، أم أنك اصطحبت نساءً إلى هناك قبل هذه المرة؟**

آيلا ومسعود متشابهان في طرائف كثيرة ، فهما أقل جدية من أورهان ، رغم أنها كانت لديها تحفظات تجاه زميل صديقها المقرب الجديد عندما عرفهما ببعضهما . فقد بدا واثقاً من نفسه بما يزيد على الحد ، شديد الوقاحة . ولكنها اعتادت عليه قليلاً في كل مرة ، بطريقة انسجامه نفسها مع أورهان من قبل . كل افراد عائلة أورهان وأصدقائه مؤدبون تجاهها ، ولكن عندما كان مسعود ينظر في عينيها لحظة السلام عليها ، فقد كانت تشاهد الدفء هناك أيضاً . عندما خرج ثلاثتهم لتناول وجبة العشاء في المدينة في إحدى الأمسيات ، أدركت أنها تشعر بأن أورهان يشعر بالأمان لمعرفته أنه بصحبة مسعود ، وأن العكس أيضاً صحيح . وعندما طار الاثنان عائدين إلى أنقرة في الصباح التالي ، شعرت بالحزن لتراهما مغادرين ، بمن فيهما مسعود .

وصلتها رسالة أخرى فنظرت بتساؤل لترى ما إذا كانت ديميت ، لكنها كانت من بارس . . . مرة أخرى .

أحاول فقط أن أطمئن إلى وجود كل ما تحتاجين إليه لعطلة نهاية الأسبوع . قلقت قليلاً لأنك لم تردي على رسالتي الأخيرة . كلميني !

ضغطت بلسانها على قفا أسنانها وهسَّت

لدي صديقة قادمة لتبقى معي . كل شيء على ما يرام . أشكرك!

مؤدبة ولكن حازمة . ميزة بارس هي أنه المشرف عليها تقنياً ، وأنه يستشار بشأنها من قبل الشركاء في نهاية كل سنة لأجل التقييم . إذا خابر مرة أخرى ، فسوف تتجاهله حتى يذهب إلى مكان آخر ثم تذهب هي إلى النوم حينما يسألها يوم الاثنين .

أبقت الهاتف في يدها لدقيقة أخرى ، منتظرة ما إذا كان أورهان سيرد ، لكن لم يكن هناك شيء . أعادت الهاتف إلى خانة المتحدث فعادت الموسيقى لتصدح

***

سيارة ستيف المستأجرة على بعد خمس دقائق مشياً من موقف الحافلات في أقصى بقعة من مطار دالاس في واشنطن العاصمة كانت السناتور تحضر حفل جمع تبرعات للديمقراطيين الجنوبيين ، تبعث برسالتها الواسعة الانتشار بالتسامح تجاه الأجناس والديانات كافة ، المساواة بين الجنسين ، التجارة بلا حدود والتحرك الحر وإدامة الوجود الأمريكي كقوة داعمة للخير في كل العالم . سيكون هناك ذكر مختصر لبرنامج أوباما للرعاية الصحية ، لكن موقف السناتور الفعلي حول العناية الصحية الاجتماعية ظل صعباً على التحديد .

كان ستيف قد وقف في مؤخرة الغرفة قبل سنة ليحضر واحدة من حملاتها لجمع التبرعات قبل لقائهما الأول ، حين التفتت إليه امرأة مسنة مبتسمة والدمع يترقرق في عينيها «أليست فعلاً مذهلة؟» قالتها هامسة

«سطحية للغاية» . جاء جوابه المبتسم ، وطأطأت المرأة برأسها كأنها عرفت ما يعنيه بالضبط وربتت على ذراعه

تأكد هذه الليلة من أنه لن يجبر على حضور الخطبة أو عملية الاستقبال والتحية ، بل سيتخذ طريقه بدلاً من ذلك مباشرة إلى الفندق الذي سيمثل مقر قيادتهم لتلك الليلة والصباح ؛ لأن فارق الزمن بين تركيا وواشنطن يبلغ ثماني ساعات ، فسوف يصل الوقت منتصف الفترة الصباحية قبل أن تصل أوائل التقارير من إستنبول

وأنقره . تقضي خطته المباشرة أن يتناول وجبة عشائه في غرفته - شريحة فيليه مع البطاطا يبتلعها بمساعدة البيرة المستوردة - ثم يبلغ السناتور ومساعديها الأعلى رتبة لدى عودتها ثم اللجوء إلى بعض النوم الذي يحتاجه بشدة . أدرك من خبرته السابقة أنه بحلول عصر الغد سينهمك في نداءات الاستفسار وطلبات الإيضاح والمساعدة من تشكيلة واسعة من المناطق المختلفة ، البلدان ، واحتمال حتى بعض القارات ، وهو لا ينوي أن يقوم بكل ذلك بينما هو يعاني من اختلاف الوقت بسبب السفر

عثر على فتحة بطاقة التشغيل تحت راديو السيارة وضغط على الزر لتشغيل المحرك . سوف يستأجر سيارة غير البريوس في يوم ما ، لكن ذلك اليوم لن يأتي قبل مرور بعض الوقت ، بات ستيف واثقاً من ذلك . كان الاحتراس كلمته الرقابية - أن يجعل ملاحظته صعبة وتذكره مستحيلاً - المجهولية حسب الأسلوب القديم . كثافة السير قليلة

***

بدأت شمس الجمعة تغرب على المساء الصيفي الطويل في إستنبول . سطعت على المياه المتدفقة بين نصفي المدينة القديمة ومنحتها بريقاً من التوركواز نصف الشفاف .

اتخذت القوارب التي تمخر متمهلة إلى جانب الباحثين عن المتعة مظهراً محترماً غير مقيد بالزمن ، وكأنما قد مخرت هذه القوارب عباب المياه منذ بدء الزمن وسوف تستمر إلى الأبد .

توقف السواح لالتقاط صورهم عند المسلة في ميدان السلطان أحمد ، بينما تمشت العائلات على ضفاف النهر ، يعيدون الحديث عن

الأيام والأسابيع الماضية ويعطونها قيمة سردية ، ويجري تضخيمها أثناء روايتها بطريقة شبه دائمة ، تلك الأحداث التي طواها النسيان وستظل منسية .

المقاهي ممتلئة بالناس ، الطاولات المجاورة للشبابيك مزدحمة والرواد يتدفقون إلى الأرصفة خارجاً وعلى مسافات . تمتلئ صواني التقديم بتشكيلة من المشروبات التي تتجمع على الطاولات ، بمذاقات على درجة من حلاوة وتشعب الإشارات والأحاديث التي لا تهدأ تياراتها ولا تنتهي . في المقاهي المشرفة مثل الميكلا والقوج ، فإن التحديق فوق خط التقاء المدينة بالسماء ومياهها من بيشيكتاش والبيوغلو ، قصر توبكابي والآيا صوفيا والجامع الأزرق ، التي تعلو وتبدو كأنها تطفو مثل المصابيح الصينية ، كالذهب المصقول فوق الأشجار الرمادية الزرقاء المحيطة بالأبنية والمتنزهات .

افترش الناس كل الساحات وجوانب النوافير ، يتحدثون فيما بينهم ويراقبون المارة ، والجميع يصغي إلى موسيقى المدينة التي تتدفق في الهواء من عشرات الآلات الموسيقية المختلفة وسماعات الحوانيت ومحركات السيارات والشبابيك المشرعة

جلس الجنرال سميح تيرزي في مكتبه يعمل على إنهاء آخر خطاباته حينما جاءت نقرة على الباب . أدار رأسه «ادخل» . دخل مساعده من الباب . أمسك الضابط هاتفاً باتجاهه ليقرأ المكتوب عليه «لدينا مشكلة يا سيدي ، إنها صادرة عن الـMIT»

قرأ تيرزي ما هو مكتوب على الشاشة ونهض ، وقد نسي الخطابات . قال وهو يفتح الدرج الثاني في طاولة مكتبه «اجمع الطاقم» . سحب من الدرج مسدسه الرسمي ثم ذهب إلى شماعة

سترته وأنزل عنها صدرية الكيفلار «سنتحرك الآن . أصدر الأمر بتشغيل الهليوكبتر وابعث بالنفير العام . أريد الهليوكبتر على المدرج لحظة وصولي . سوف أضيف رمز البداية عندما تخابرني به»

بعد أقل من خمس دقائق ، كان تيرزي يخطو مسرعاً عبر المهبط الواقع خارج المبنى الرئيس لقاعدة ديار بكر الجوية بصحبة حاشية من قرابة خمسين رجلاً

فاتح شاهين يسير خلف الجنرال مباشرة ، وباستثناء مساعد تيرزي الذي استمر ممسكاً بالهاتف في يده للتحسب من أية تطورات ، كان الرجال الثلاثة الوحيدين الذين لا يحملون أسلحة رشاشة . مراوح طائرات الهليوكبتر تدور متكاسلة . جلس تيرزي في مؤخرة طائرة القيادة ، وضع السماعات على رأسه لأجل الاتصالات الداخلية وصاح على الطيار

«خذنا إلى مقر قيادة القوات الخاصة في جولباشي بأنقره»

أعطاه الطيار إشارة القبول برفع إبهامه وفتح المحرك ، زادت سرعة المراوح بينما اتخذ بقية أفراد الوحدة أماكنهم في الطائرات التي خلفها

جلس شاهين إلى جانب تيرزي «لقد خابرت التشيني لأخبره بأننا تحركنا في وقت أبكر . إنهم يقومون بإعلام بقية أعضاء المجلس ويتصرفون تبعاً لذلك»

طأطأ تيرزي . أقلعت السمتيات وأخذت تتحرك في تشكيل ثلاثي ، محلقة عالياً فوق مدينة سيلوبي وخارجة إلى الريف المعتم وراءها

قال بعد هنيهة «هي رحلة طيران تستغرق ثلاث ساعات» أصبح

وميض الأنوار البعيدة مرئياً على الأفق . «أبقهم على تواصل واشرح لهم باستخدام النظام المحمول على الطائرة وأجهزتك الخاصة . هل لديك إشارة؟»

«نعم أيها الرئيس . سيكون كل شيء جاهزاً»

عاود تيرزي النظر إلى الخارج ونفض رأسه قائلاً «الوقت مبكر جداً نحن نتحرك في وقت أبكر مما يستحسن ولكننا مضطرون» .

«كل ما نحتاج إليه هو الاستيلاء على مركز السيطرة يا سيدي» قال فاتح شاهين «بعد ذلك ، ستصبح أوامرنا هي الأوامر ولن يتمكن أحد من معارضتها»

***

فتحت آيلا الباب وفتحت ذراعيها زاعقة وهي تحتضن صديقتها بادلتها ديميت الاحتضان ثم ابتعدتا عن بعضهما لتتبادلا الإعجاب بما ترتديه كل منهما . في حالة ديميت فقد جاء التركيز على حذائها الذي كانت قد اشترته في اليوم السابق

أعلنت آيلا «لقد أحببته»

«لقد اشتراه لي آيدين - حسناً ، أعطاني بعض النقود قبل أن يغادر عائداً وطلب مني أن أشتري شيئاً لا أشتريه في العادة» . شرحت ديميت ، سعيدة بوضوح لأن آيلا قد أعطتها ردة الفعل التي كانت تأمل فيها

«يا لك من محظوظة !» ربتت على ذراعها «إنه حتى ليس عيد ميلادك !»

«أعرف» قالت ديميت مبتسمة

«ادخلي . ادخلي» قادت آيلا صديقتها ديميت عبر المدخل . لم

تكن ترتدي معطفاً لأن الليلة دافئة وأشارت الحرارة المنبعثة من المطبخ إلى أن الهواء داخل الشقة بدأ يقترب من المسدود . خففت آيلا قليلا من الضغط حينما فتحت بابي الشرفة الصغيرة خلفهما . في القاعة ، ظهر طول قامة آيلا الذي يزيد على ديميت بمقدار رأس كامل بشكل أوضح . نظرت إلى السمراء النحيلة بقليل من الحسد ، حين سمحت لها بالمرور أمامها قبل أن تجنح إلى الجهة الأخرى . مشت ديميت ونظرت خارجاً إلى جدار أبنية الشقق الذي يواجه الشرفة

قالت «الشقة أشبه ببيت دمية» . وهي توزع نظراتها على الشبابيك المفتوحة ، الملأى بمناظر أناس آخرين يتحركون في مطابخهم جيئة وذهاباً ، يجهزون وجبات عشائهم .

«تعجبني» قالت آيلا من قوس مطبخها «عندما تنطفئ جميع الأنوار أعرف وقتها أنه قد حان وقت النوم»

«الرائحة رائعة» . انسحبت ديميت ووقفت عند الأريكة

ظهر رأس آيلا عبر الباب «إنها مجرد طبق من الدجاج . لدي بعض المقبلات أيضاً . اجلسي ! أرجوك ، لا تنتظري الدعوة ؛ لأن الوضع قد يتطلب وقتاً طويلاً في هذا المكان»

«شكراً» قالت ديميت وهي تغوص بظهرها في الوسائد «لقد أرهقت من هذا الأسبوع الفائت»

«أراهن» دخلت آيلا حاملة إبريقاً مليئاً بالفواكه المقطعة وكأسين «خذي ، هذا سوف ينعشك» . صبت شراب البرتقال في كأس ديميت . «هذه وصفتي الخاصة ، مجرد عصير فواكه» . قالت مبتسمة . بادلتها ديميت الابتسامة وتناولت الكأس . «هل تطلب العثور على المكان وقتاً طويلاً منك؟»

«كلا ، إمم !» تناولت ديميت رشفة وهزت رأسها بالموافقة «هذا طيب جداً . لقد استقللت المترو كما قلت . أنا سعيدة لأنني فعلت فأنا أكثر من استخدام سيارات الأجرة بدرجة متعبة»

«آه ، لا تذكريني . لقد كنت أفعل الشيء نفسه . ولا أزال في بعض الأحيان» . ارتمت آيلا على الجانب الآخر من الأريكة «أتعود حيثما أكون بحاجة إلى الذهاب لمسافة قصيرة وأقول لنفسي (ما هو الضرر؟) وقبل أن أدرك أكون قد استعملت السيارات مثل دراجة هوائية ولا يبقى لدي أي نقود حتى نهاية الشهر»

ضحكت ديميت «الوضع نفسه هنا» تناولت رشفة أخرى «أوه الفراولة أحبها»

ابتسمت آيلا «لقد احتفظت بالقليل منها لأخلطها مع الشوكلاته»

قالت ديميت «سوف أضطر للذهاب إلى صالة الرياضة غداً لأحرق كل هذا عن جسمي»

«لا تكوني سخيفة . فقط احرصي على أن لا تستقلي سيارة أجرة»

ضحكت ديميت «أنت محقة ، ربما يجب علي أن أبدأ بالهرولة إلى كل مكان وبعدها استطيع أن آكل كل ما أريده»

«ولكن فكري في التعرق»

«آآخ ، نعم . دبق . خاصة في هذا الوقت من السنة أكاد أتمنى لو عاد الشتاء حتى أستطيع أن أشعر بالراحة»

«أو يمكنك أن تذهبي في إجازة»

ألقت ديميت برأسها على الوسائد خلفها «آه ، هل يمكنك أن

تتخيلي؟ ولكن آيدين ليست لديه أية إجازة حتى الخريف . ومع ذلك فهو يحب وجبة أمه الخروف الكينالي» انتفضت جالسة «آه على أية حال . هل سيغيب أورهان طيلة نهاية الأسبوع؟»

«بالطبع . الأمر يبدو وكأننا محظوظون لحصولنا على يومين متصلين سوية كل ثلاثة أشهر . الآن» . وضعت آيلا يدها على ذقنها مغتمة

«لقد كان الوضع كذلك بالنسبة لآيدين ، لكنه ليس على تلك الدرجة من السوء حالياً»

«ذلك جيد عندما تتزوجين ، يصبح الوضع أفضل . في العادة»
نفضت رأسها لتغير الموضوع وأطلقت نظرة تساؤلية باتجاه ديميت . «والآن بالنسبة للوظيفة . هل تعرفين من هو الذي سيجلس قبالتك أثناء المقابلة؟»

«كلا . لم أتحدث إلا مع سكرتيرة حتى الآن . جيزيم»

طأطأت آيلا برأسها ، زمت طرف فمها قليلاً «أعرفها . إنها على ما يرام في العادة ، ولكنني سمعت أنها قادرة على أن تكون قاسية تجاه البنات الأقل مرتبة منها»

«آه ، لقد بدت لا بأس بها على الهاتف . ربما كانت - جدية - قليلاً ، ربما؟»

«نعم - هكذا هي . أخبرتني إحدى السكرتيرات الأخريات أن ابنها قد خرج من كليته في السنة الماضية وهو لا يكاد يشتغل في المدينة ، ولا يختلف الوضع كثيراً مع زوجها»

رفعت رأسها عن يدها «ولكن ، لن تضطري إلى التعامل معها بعد هذه الخطوة بكل الأحوال ، هل هذا صحيح؟ حتى أفضل من ذلك -

ستكون لديك سكرتيرتك الخاصة بك !»

اكتسب وجه ديميت مسحة من القلق . «ولكن ماذا يحصل إذا تم تعيينها سكرتيرة لي؟ إنها تبدو أكبر مني بخمسين سنة»

«لن يحدث هذا . إنها موجودة في المكان نفسه منذ افتتاح المكتب»

«أنا لا أصدق الأمر حينما أفكر فيه - أقصد الوظيفة . أعرف أنه ما زال يتحتم علي أداء المقابلة وكل شيء»

«صدقيه . أعرف أنك عملت بجد على هذه الوظيفة . يقول بارس إن أفكارك هي التي أنجحت حملة الموسم الأخير . ستكون تلك إشارة كبيرة لصالحك»

«يعجبني بارس . إنه ودود على الدوام»

نظرت آيلا إلى كأسها «نعم ، أليس كذلك؟»

«وهل أنت مصممة على المغادرة حتماً؟»

«سوف أستمر في العمل لبضعة أشهر حتى أتأكد من أنني سأرزق بالطفل ، ولكن بعد ذلك - لا . سوف يتقدم أورهان بطلب للنقل هو الآخر . حتى لا يضطر إلى السفر» . حاولت آيلا أن تبدو واثقة مما تقوله لاحظت ديميت ذلك لكنها التزمت الصمت

اكتفت بالقول «سيكون ذلك تغييراً كبيراً بالنسبة لكما»

أنهت آيلا شرابها وتعمدت أن تبتسم بتكلف «حسناً ، لا شيء يحدث حتى الآن ، ولذلك أعتقد أننا عالقان حيث نحن في الوقت الحاضر» . همت بالنهوض «هل أنت جائعة؟»

***

رقد آيدين على ظهره في سريره العسكري في أعماق الساحة

المربعة المحاطة بالأبنية المعروفة بمعسكر السليمية ، وهو يحلم بما يمكن أن يفعله مع ديميت لو كان في البيت . أمسيات الجمعة هي المخصصة دائماً للذهاب إلى السينما - فهي مغرمة بالقصص الرومانسية ، بينما هو يحب الأفلام المثيرة وحكايات الخيال . كانا يتنازلان مرة كل ثلاثة أسابيع ليشاهدا فيلماً كوميدياً ، ويتناقشان في كل شيء حول ما إذا كانت الكوميديا الرومانسية هي كوميديا فعلاً ، كما تقول هي ، أم أنها مجرد حكاية رومانسية كما ظل يصر

«ليسا الشيء نفسه -» سيقول وهو يتنهد ، ويمد كيس الفشار نحوها لتأخذ قبضة ثم يسحبه في الثانية الأخيرة . فتلكمه على ذراعه بقبضتها الصغيرة

«إذا بدأ الفيلم بزوجين على وشك أن ينفصلا ، أو شخصين يكره أحدهما الآخر ولكنك تعرف أنهما سيعودان إلى بعضهما في النهاية - تلك رومانسية كوميدية »

«إذاً ، ما هي الأفلام الكوميدية البحتة في هذه الحالة؟» خطفت قبضة من الفشار ودفعتها إلى فمها وهي تبتسم .

«حسناً ، كما تعرفين» كان يدفع بنظارته إلى أعلى أنفه «أي شيء لا يتحدث عن شخصين إما يلتقيان سوية ، أو ينفصلان ثم يعودان إلى بعضهما ، أو يقوم أصدقاؤهما بترتيب التقائهما»

«يحدث ذلك في كل فيلم» تقول هي في العادة .

«حسناً ، هذا بالذات هو رومانسي كوميدي «يشير آيدين إلى ملصق فوق رأسيهما

«وهذا بالذات هو كوميديا»

لحظتها تهتاج ديميت «أوه ، يبدو هذا جيداً . هيا بنا نشاهده»

الفصل الثامن عشر

لم يكن آيدين يرتدي غير ال - تي شيرت والبنطال القصير حين استلقى برأسه على الوسادة في سريره العسكري وتأوه . فهو مستعد لأن يذهب إلى فيلم رومانسي كوميدي هذه الليلة بصحبة ديميت إذا كان ذلك يعني أن بوسعه أن يغادر المعسكر لبضع ساعات ، ولكن لم تكن هناك أي إمكانية لحدوث ذلك . لقد تحسن وضع غرفته خلال سنته الثانية في الخدمة العسكرية ، فهو يتشارك فيها حالياً مع ثلاثة جنود آخرين ، لكنها ظلت مزدحمة بدرجة رهيبة بالنسبة له ، وهو الذي توفرت له مساحته الخاصة أثناء طفولته وصباه ، والذي دفع عنه والده ليحصل على شقته الصغيرة الخاصة به في المدينة ، منذ الوقت الذي أصبح فيه جاهزاً للانتساب إلى الجامعة

دفعته الفكرة القائلة بأن ديميت لا تبعد عنه أكثر من ساعة وشكه الدائم في أن يتم التودد إليها من قبل رجل آخر إلى حافة الجنون . فاتحها مرة بهذه الأفكار ، لكنها طمأنته - وهي تحدق في عينيه بتعمق - بأنه ليس لديه ما يقلق بشأنه - لأنهما سيعيشان سوية بعد أن ينهي فترة خدمته ، وأن بإمكانه أن يستأنف دراسته ، ويتمكنا من الزواج ، وسيكون كل شيء كما ينبغي أن يكون . إلى أبد الآبدين .

«ما الذي تقرأه يا بروفيسور؟»

دخل إيلكر ، الخارج لتوه من الدوش ، عبر الباب المفتوح المفضي

إلى الممر الخارجي . وقف قريباً من حيث رقد آيدين على السرير العلوي وحدق كانت وحدتهم متمركزة على طول هذا الصف ، كل أربعة في غرفة كما هو وضع إقامة آيدين ، ثلاث غرف على كل جانب ، بحيث يصل المجموع إلى اربعة وعشرين رجلاً . يعني انتسابهم إلى الجيش الأول أنه يمكن اختيارهم للقيام بدوريات على الحدود مع اليونان أو بلغاريا ، بالإضافة إلى بعض واجبات الدوريات البحرية في المضائق ، ولكن وحدة آيدين لم تحظ بالكثير من تلك المهمات المثيرة خلال سنتهم الأولى ، في أغلب الأوقات . فقد كانت خدمتهم مقتصرة بشكل رئيس على التدريبات والمناورات في جبال تراقيا ، وبعد ذلك تدريبات الاستعراض والتمارين في القاعدة مسيرات بلا نهاية ، تكرار لا ينتهي . فرك آيدين عينيه ورفع الكتاب المصقول عن صدره «الاستثمار في العقارات كمفهوم وكمصدر للدخل»

نظر إيلكر إلى الغلاف ولم يزعج نفسه بمجرد قراءة العنوان لنفسه «لا أعرف لماذا سألت . فأنت غير عادي . أين هما الآخران؟»

«الغرفة المشتركة» تكلم آيدين بينما هو يبحث عن المكان الذي توقف فيه عن قراءة كتابه

«هناك مباريات بطولة في تنس الطاولة مع بعض الأشخاص من الفرقة المدرعة»

«تنس الطاولة والمكتبة . .» بدأ إيلكر يجفف ظهره بنشاط «وفوق ذلك قالوا لي إن الجيش سيكون مثيراً»

«هل هذا صحيح؟» لم يرفع آيدين عينيه عن كتابه «لقد قالوا لي إنه سيتسنى لي أن أصدر أوامري»

«يبدو أنهم خدعونا نحن الاثنين» . أخرج إيلكر بنطالاً رياضياً

وتي شيرت . «أظن أنني سأذهب إلى الغرفة المشتركة . هل أنت قادم؟»

«كلا» . تمطى آيدين وشبك قدماً فوق الأخرى «هذا مناسب»

ارتدى إيلكر حذاءً خفيفاً وذهب باتجاه الباب . توقف عنده واستدار «هل لديك أية أملاك أصلاً؟»

«أبداً»

«أنت عجيب»

بمجرد خروجه وهو يهز رأسه ، كاد إيلكر أن يسقط أرضاً بدفعة قوية من الأومباشي ياكين الذي عبر الرواق جرياً بأقصى سرعته

«لباس وعتاد كامل . سوف نتحرك خارجين . تحركوا !»

نهض آيدين جالساً والتفت إيلكر باتجاهه توقف الأومباشي ياكين ودس وجهه في وجه إيلكر مباشرة «هل سمعتني؟ معدات معركة ، الآن ! النقل خلال أربع دقائق»

قفز آيدين عن السرير وبدأ يسحب الأوفرهول من خزانته . انضم إليه إيلكر في الجهة المقابلة . أكمل الاومباشي ياكين تحركه ، يصرخ ويدق على الأبواب

قال إيلكر «أغلب الظن أنه سيكون لدينا ما نفعله لهذه الليلة»

وافقه آيدين «هكذا يبدو الوضع»

بعد خمس دقائق ، كان كلا الرجلين يركضان حاملين مسدسيهما ورشاشتيهما بيديهما للقفز إلى داخل ناقلات الجند والانضمام إلى سرايا الرجال الخارجين من كل باب في قاعات معسكر السليمية . وقفت الشاحنات أمام كامل طول البناية ، وامتدت أمام آيدين لدرجة أنه لم يعد يتمكن من تمييز ملامح الرجال الذين يتقافزون في الطرف الآخر

«الى أين نحن ذاهبون؟» سأله إيلكر وهما يتخذان مقعديهما على صف المقاعد في الطرف الداخلي .

«لا أعرف»

«هل تعتقد أنه حصل هجوم ما؟»

نظر آيدين إلى الوجوه المحيطة به فوجد أن الجميع ، بمن فيهم الضباط ، يقومون بحركات التوقيت العملياتي المزدوج . لم يستطع أن يستشعر بأي توتر حقيقي لدى أي منهم ، ولم يكن موجوداً في أي يوم آخر

«لقد أخذوا منا هواتفنا كان يجب أن نتأكد قبل أن نغادر الغرفة»

«فعلاً» اتكأ ايلكر برأسه فوق ماسورة رشاشته المقلوبة نوع هيكلر اند كوتش وأغمض عينيه . ألقى آيدين بنظرة أخرى على الرجال ، ولكنهم كانوا يحدقون في الأرضية أو ينظرون إلى المؤخرة حيث استمر الاندفاع خارج المعسكر . دسّ هاتفه الجوال وأخفاه في باطن كفه بعد أن أخرجه من جيب بنطاله وهو مستمر في التحديق أمامه وأوصله إلى تحت سترته المضادة للرصاص إلى جهة اليسار من صدره .

ثم شدد الرباط على خوذته وجلس ينتظر حتى تبدأ الشاحنة تحركها مع بقية الطابور

***

تناول الجنرال خلوصي أكار ، رئيس هيئة الأركان والقائد العام للقوات المسلحة في تركيا ، الهاتف من يد المقدم توركان ، ووقف كلاهما في هذه اللحظة وسط مكتب أكار في مبنى القيادة العامة للأركان في أنقره ، وبدأ أكار يصرخ بينما انهمك توركان في تدوين

الملاحظات بسرعة جنونية كان على الناحية الأخرى من الخط مدير الـMIT هاكان فيدان ، متصلاً من مكتبه

«لا يا هاكان !» صرخ الجنرال أكار بعنف وحدة «لم أعرف عن أي من هذا بالأمس . هل تعتقد أنني كنت سوف أسلم عليك أثناء احتفالية الخروج ، وأتناول وجبة ، ثم أسمح لشكوكي في قيام احتمال ثورة عامة في الأجواء بأن تتسرب من ذاكرتي؟ لا ! اعتقد البعض من أعضاء جهازي الوظيفي أن هناك ما يثير الريبة في وقت سابق . أنا أعمل على محاولة الاتصال بالناس طيلة النهار . لا أحد يتلقى مكالماتي»

قال فيدان «يا خلوصي» بينما هو يراقب ليڤانت وأرمان وصدري يعملون على حاسوب محمول . «نحن مضطرون إلى الاتصال بالرئيس ورئيس الوزراء . هذا التهديد حقيقي» .

«لقد أصدرت أمري بإبقاء جميع الطائرات العسكرية على الأرض . ويتحتم على جميع المركبات أن تبقى في قواعدها» . ألقى أكار بنظرة باتجاه شاشة التلفاز المثبتة وسط صفوف من أرفف الكتب على الجانب البعيد من غرفة مكتبه . أظهرت مسارب الطيران العسكري من بحر إيجه وحتى حدود تركيا الشرقية كانت جميع الطائرات التي تحلق على امتداد شبه جزيرة الأناضول في دوريات تمتد لأربع وعشرين ساعة ، حتى في الجنوب الشرقي ، تعود إلى قواعدها «إذا خرجوا ، سواء كان ذلك في البحر أو في الجو» قال أكار «فسوف نراهم» .

«سوف أجري اتصالاً بيلديريم . لأرى ما إذا كان رئيس وزرائنا يعرف ما يجري» . قال فيدان «خلوصي ، هل يمكنك –»

انفتح باب مكتب أكار ودخل منه محمد ديشلي ، وهو ضابط آخر برتبة لواء . بدا وجهه جدياً . وقف في حالة تهيؤ ، قدماه متسعتان على عرض كتفيه ، ويداه خلف ظهره . نظر أكار إلى جانبه . فرأى أن جراب مسدسه الشخصي مفتوح .

«هاكان» قال متكلماً في الهاتف «أنا مضطر لإعادة الاتصال بك» أعاد السماعة إلى مربضها ببطء .

حدق فيدان في عيني ليڤانت مباشرة من مكتبه وشدد قبضته على الهاتف . «خلوصي ، خلوصي؟»

سقطت يده إلى جانبه «لقد ذهب»

«يا محمد» قال خلوصي أكار «لقد تركت لك رسائل لدى مساعدك»

«يا قائدي» تكلم ديشلي بلهجة رسمية ، وكأنه يخاطب الجنرال أكار في ميدان الاستعراض . «لقد بدأت العملية . سيتم إلقاء القبض على أولئك الذين يقاومون ويتم احتجازهم . الوحدات قادمة في طريقها . نحن نطلب منك أن تترأس وتقودنا ، نحن رجالك ، في هذا المسعى»

سقط فك أكار ونظر إلى توركان بوجهه المتحجر ثم إلى وجه ديشلي .

«هل أنت مجنون؟ ما الذي تتكلم عنه بحق الجحيم؟»

«سيدي» لم يتأثر ديشلي بصدمة أكار «أرجوك أن تفعل هذا . لقد حان الوقت» .

«ما الذي تتحدث عنه؟» بدأ أكار يتحرك باتجاه ديشلي ، لكن اللواء استدار بحزم وعاد أدراجه باتجاه الباب المفتوح .

«ألقوا القبض على الجنرال» قال بصوت عالٍ . ظهر عدد من الرجال خلال الباب ، جميعهم مسلحون بأسلوب ديشلي نفسه . تعرف أكار على الوجوه لكن لم يتسنَّ له الوقت للنطق بالأسماء لأن الأذرع أطبقت عليه من خلفه

«ماذا بحق ال -؟ ابتعدوا عني ! هذا أمر !» أمسك الرجال بذراعيه بقوة وصمدوا بينما هو يقاوم .

«ضعوه في الكرسي» قال ديشلي

أجبروا أكار على الهرولة نحو كرسيه وأحضر أحد الرجال شريطاً لاصقاً . قاومهم أكار لفترة لكنه لم يعد يقوى على قول شيء بعد أن ألصقوا الشريط فوق فمه . حدَّق بديشلي بغضب بارد قاتل . استمر اللواء في استعلائه ، يراقب واضعاً يديه خلف ظهره بينما يتم لف الأشرطة حول معصمي أكار .

«أيها القائد ، سنقوم بنقلك إلى القاعدة الجوية في التشيني . إذا استمررت في المقاومة ، فسوف نتوصل إلى قناعة بأن أعضاء آخرين من جهازك الوظيفي سيقاومون بدورهم . من المحتمل أن يحدث نزيف للدماء . لو حدث هذا فستكون أنت مسؤولاً بالكامل نحن مصممون على ضمان أن لا يتعرض شخصك وسلامتك لأي ضرر بأي طريقة»

حاول أكار أن يرد لكنه أوقف نفسه عندما خطرت له فكرة أن تمتماته لن تؤدي سوى إلى تزويد آسريه بالتسلية والسخرية . أدار رقبته إلى الوراء ليتأكد من أن توركان يحدق في عينيه بينما هم يقتادونه إلى خارج الغرفة . وقف رجال الصاعقة مشهرين أسلحتهم في الخارج ، وقد غطوا وجوههم . نظر إلى وجوه الضباط التابعين له أثناء ذهابه كان بعضهم مذعوراً ، مصدومين لمرأى رئيس القوات المسلحة التركية - قوة

الناتو العسكرية الثانية في الحجم ، والتي لا تفوقها في الحجم إلا الولايات المتحدة - يتم اقتياده مثل أي إرهابي . لم يقدر أكار إلا أن يلاحظ النظرات الهادئة التي يحملها البعض ، والتي تكاد تبدي الانتصار بالطريقة نفسها التي ظهر فيها ديشلي قبل لحظة .

«يجب أن أعتذر عن هذه الضرورة السيئة الحظ ، أيها القائد» جاء صوت ديشلي من خلف أكار . «لابد وأنك تجد هذا الوضع مهيناً ، ولكن بكل الأحوال فقد فكرت أنه أفضل من الاضطرار إلى وضع غطاء فوقك . تأكد من أنه لن يراك أحد من الرتب المتدنية بمجرد وصولنا إلى التشيني» .

أبقى أكار عينيه أمامه مباشرة وذقنه مرفوعة ؛ لأن أي شيء أقل من هذا سيشكل إذلالاً حقيقياً

الفصل التاسع عشر

تم إجراء حجز نادي مودا البحري من قبل أكثر من سنة لاستضافة حفل زفاف تشيتشيك سانڤير إلى تويكين ناجيت تاستان ليوم الخامس عشر من تموز عام ٢٠١٦

والد العروس ومضيف الحفل هو اللواء محمد سانڤير، قائد وحدة اسكي شهير القتالية الجوية والدفاع الصاروخي . أما والد العريس فهو العميد طيار ليڤانت تاستان .

لهذا السبب، فقد تشكل حفل الاستقبال في القاعة الكبرى للنادي البحري من العديد من أرفع ضباط سلاح الجو التركي رتبة، بالإضافة إلى ضيوف من دوائر مختلفة من مشاهير الحياة العامة . في الواقع، فقد كانت مرتبة العائلتين اللتين تتصاهران رسمياً سامية، إلى درجة أن قائد سلاح الجو الجنرال عابدين أونال، وما لا يقل عن اثنين وعشرين جنرالاً ممن لا يزالون في الخدمة، تواجدوا في القاعة في الوقت نفسه .

بدأ الضيوف يتوافدون على القاعة حوالي الساعة السابعة، مع أن الحفلة نفسها لن تبدأ إلا بعد ساعات عديدة . انطلقت الأحاديث المرحة والمقبلات والكثير من التمشي بين القاعة الرئيسة إلى حوض القوارب في الخلف، للاستمتاع بمنظر المدينة أثناء غروب شمس المساء وراء مياه البحر في المقدمة .

وقف القائد أونال إلى جانب طاولته، يدردش مع اللوائين كاديوغلو

وكوكمان حين أحسَّ بهاتفه وقد بدأ يرن .

«اسمحا لي» قال ووضع كأسه على الطاولة . نظر إلى هوية المتصل ورأى أنها زوجته . لقد بقيت في أنقرة لأنها ما زالت تعاني من بقايا إصابة بالإنفلونزا ، فلم تتمكن من السفر إلى إستنبول لأجل الزفاف .

«هالو يا حبيبتي» قال وهو يرفع الهاتف نحو أذنه

«لقد تم اعتقال فكرت» قالت وقد قفزت عن الرد على تحيتها المعتادة . عبس . صوتها يعكس القلق ، لأنه متوتر

سأل «ماذا؟ هل تقصدين أنه انشغل بعمل ما؟»

ردت عليه «لا . لقد خابرتني زوجته . إنهم يحتجزونه في مبنى القيادة العامة . هل يمكنك أن تكتشف ما يجري وكيف هو وضعه؟ إنها تكادِ تجن من القلق» .

توقف اللواءان عن الكلام ونظرا إليه بينما تعمق اختلاف ملامحه . «نعم يا عزيزتي ، سأفعل» .

قال لها «أنا واثق من وقوع خطأ ما . سوف أتصل بجواد لأرى ما يحدث . اسمحي لي أن أغلق الخط الآن وسوف أتصل بك بعد بضع دقائق» .

«حسناً . أرجوك أن تستعجل يا عابدين . هذا الوضع لا يعجبني»

«لا ، بالطبع لا . سيكون مجرد سوء تفاهم . فلا تقلقي»

ضغط على الزر لإنهاء المكالمة ونظر إلى الآخرين .

«على ما يبدو ، فقد تم توقيف اربيلغين» .

«تقصد فكرت؟» سأله كاديوغلو «من هو الذي يستطيع أن يوقف لواء؟»

بالإضافة إلى كونه الضابط الأعلى رتبة في سلاح الجو ، فإن عابدين شركسي عنيد صعب المراس . ولن يقبل بأية ترهات .

«هذا ما سأكتشفه» عثر أونال على رقم القائم بأعمال القائد في أنقرة وضغط على زر الاتصال .

وضع الهاتف على أذنه وانتظر «جواد؟» قال بعد ثانية «لقد تلقيت لتوي مكالمة من زوجتي وهي تتكلم عن توقيف فكرت . ما هي الحكاية وراء كل هذا؟»

«سيدي ، هناك أمر يجري . أنا لست متأكداً –»

قرَّب أونال الجهاز إلى أذنه في اللحظة التي قوطعت فيها مكالمة جواد بصوت هدير عالي .

«ما هذا الصوت؟ هل هي طائرات نفاثة؟»

«نعم سيدي . هناك طائرات نفاثة مقاتلة تحلق فوق أنقرة . إنهم يحلقون على ارتفاعات خفيضة ويتسببون للجميع بالهلع» .

«يا جواد – ماذا عن فكرت؟ أين هو حالياً؟»

«لا أعرف يا سيدي . إنني في مكتبي حالياً ولست واثقاً من هو الذي يقف معنا هناك –»

«معنا؟»

اقترب رفيقا أونال الآن وأخذت نظراتهما المتوترة والقلقة تجتذب انتباه آخرين في حفل الزفاف أقرب إليهم لمعرفة الخطب .

عاد أونال إلى القول «جواد ، ما الذي تعنيه بقولك (معنا) ، ما الذي يجري؟»

قبل أن يتمكن الرجل من سماع الجواب ، امتلأت قاعة الزفاف بنبضات قوية منتظمة من إيقاع الدمدمة ، حيث كان أونال يقف في

الوسط ، وبدأت الكؤوس والأطباق تهتز وتطرطق بدأ الناس الذين لا يخدمون في سلاح الجو ينهضون ويصرخون ، معتقدين أن زلزالاً يقع لكن العسكريين رفعوا رؤوسهم ليصغوا وقد أدركوا بالسليقة أنها أصوات محركات هليوكبتر

كانوا قد هبطوا في حوض القوارب ، دخل رجال مسلحون ويرتدون ملابس التموية من القاعة الخارجية ، ووقفوا عند مدخل قاعة حفل استقبال الزفاف . وقف أونال وزميلاه في مواجهتهم لدى دخولهم ومشيهم باتجاهه . راقبوا بينما أخذ الكثير من الضيوف يصفقون لظهور المجموعة ، وكأنهم أمام نوع من حفلات التنكر أو التسلية

«هؤلاء أفراد حرسي الخاص» . قال أونال بدون أن يوجه كلامه لأي شخص تحديداً «لقد صدر الأمر لهم بالبقاء في أنقرة» . ألقى برأسه إلى الوراء «ما معنى هذا؟» قال مخاطباً الضابط القائد .

«سيدي ، لقد صدر الأمر إلينا بالعمل على حمايتك» . رأى أونال أن الرجل يحمل لفافات أسلاك تقييد بيضاء في يديه

«من الذي أمرك؟»

«لا أعرف يا سيدي . لقد أمرنا على الجهاز بالطيران إلى هذا الموقع وإحضارك إلى الحجز التحفظي . لقد أبقونا في حالة استنفار طيلة النهار»

«طيلة النهار؟ حسناً ، ليس من حاجة لوجودك هنا . غادر» التفت أونال إلى كاديوغلو وكوكمان «إنني آمركما كليكما بالعودة إلى اسكي شهير والتأكد بالضبط مما يجري هناك أبلغاني على الفور . لا تغادرا مع هذا الفصيل يجب عليكما اتخاذ طريقكما الخاص بكما»

«أمرك سيدي» قال كاديوغلو

اندفع محمد سانڤير، والد العروس الذي كان منشغلاً باستقبال الضيوف الذين استمروا في القدوم، واقترب ليدفع بوجهه أمام وجه الضابط القائد «ما الذي يجري هنا؟»

جاء صوت الضابط معتدلاً، صبوراً «سيدي، لقد صدر الأمر إلينا بأخذ القائد أونال وبقية الجنرالات الباقين في الخدمة إلى التوقيف من أجل سلامتهم»

«هل تقوم بإلقاء القبض على أناس في حفل زفاف ابنتي؟ أين هي زوجتي؟ هل كنت تضايقها؟»

حاول سانڤير أن يتجاوز الضابط، لكن الرجل وضع يده على صدر المضيف ودفعه إلى الوراء

«نحن بحاجة إلى إبقاء الجميع متواجدين في مساحة واحدة، يا سيدي. أرجوك أن تبقى في مكانك».

«أقول لك أن تبتعد عن طريقي!» رفع سانڤير يديه باتجاه وجه الضابط، لكنه انسحب إلى الوراء وقد غطى وجهه حينما رفع أحد الرجال خلفه بندقيته الهجومية وأطلق صلية باتجاه سقف القاعة الهائلة العالي «لينبطح الجميع على الأرض! الآن!» زعق الضيوف وأخذوا يهرعون باتجاه المخرج لكنهم دفعوا عائدين من قبل الجنود المرابطين على الباب. وقف أونال وأصدقاؤه مذهولين إلى حد ما

لوَّح الضابط لرجاله فبدأوا في تقييد الأيدي بأشرطة تربيط بلاستيكية

«لا تقيدوا القائد» رفع الضابط يده لإيقافهم عندما اقتربوا من أونال. خاطب الجنرال بقوله «أرجوك يا سيدي، هل تأتي معنا؟»

خطا عابدين أونال إلى الأمام بدون أن ينطق بكلمة واتخذ سبيله إلى مقدمة المبنى، مصحوباً بالضابط ورجاله المسلحين عن جانبيه بحلول هذا الوقت، كان قد تم تقييد العديد من الضباط والمسؤولين الآخرين ذوي الرتب الرفيعة وإجبارهم على الرقاد يواجهون الأرضية تم اقتياد أونال حولهم وخارجاً نحو الهليوكبتر المنتظرة، والتي أقلعت وسط النظرات المذهولة من الموظفين وضيوف حوض القوارب على حد سواء

فيما يقارب اللحظة نفسها، وعلى مسافة أربعمئة وخمسين كيلومتراً في أنقرة، انزلقت ثلاثية من سيارات الدفع الرباعي لتتوقف أمام مبنى رئاسة الأركان العامة وقفز زكي تشولاك، القائد العام لجميع القوات البرية، خارجاً من المركبة الوسطى. اتجه مباشرة نحو درجات المبنى وصعدها ركضاً، كل درجتين بخطوة، بينما ركض جهازه الوظيفي وحراسه الشخصيون في محاولة للحاق به. في اللحظة التي فتح فيها تشولاك الباب الخارجي، قدم إليه ضابط حاسر الرأس من الجانب.

«يجب أن أقابل القائد أكار» قال تشولاك وهو يتجاوز الضابط الذي أمسك الباب وأبقاه مفتوحاً ليمرره. ترك الضابط الباب ينغلق خلف تشولاك ثم وقف بينهما «أخشى أن القائد أكار قد تمت تنحيته يا سيدي»

استدار تشولاك على كعبيه ونظر إلى الرجل للمرة الأولى بادلته النظرة عينان باردتان.

«هل قلت تمت تنحيته؟ لقد أمرني بالتفتيش على قيادة الطيران البري والعودة إليه لأقدم تقريري مباشرة. من أنت؟»

لم يرد الرجل «لقد وضعنا هذه المنشأة تحت حمايتنا يا سيدي . فهلا تفضلت بالتوجه معي إلى هذه الناحية؟»

«هراء !» انفتل تشولاك ليتخذ طريقه في الممر كاد عندها أن يصطدم بثلاثة آخرين من منتسبي سلاح العمليات الخاصة ، وهؤلاء يرتدون ويحملون كامل لباس وعتاد المعركة ، بما فيها أقنعة التزلج على الجليد التي تغطي وجوههم . تراجع تشولاك خطوة إلى الوراء ورفعوا أسلحتهم باتجاهه

«سيدي ، لقد تم نقل القائد أكار إلى موقع آمن . وقد صدرت الأوامر لنا بنقلك إلى المكان نفسه»

التفت تشولاك من فوق كتف الرجل فرأى ثلة من المغاوير المجهزة بأسلوب هؤلاء المحيطين به نفسه تقوم بنزع أسلحة مرافقيه على الدرجات في الخارج . راقب بينما جرى تخليص حراسه الشخصيين من أسلحتهم الشخصية ، ولحظتها انفتح باب سائق سيارته الجيب فجأة . قفز مرافقه الشخصي من المقعد ، مشهراً سلاحه الآلي

صاح به تشولاك من خلال النافذة «لا يا بولينت !» لم يتسن لبولينت الوقت إلا ليصرخ بعبارة غير مفهومة قبل أن يشاهده رجال القوات الخاصة ، فيرفعوا بنادقهم ويطلقوا عليه النار بشكل جماعي

صاح بهم «يا أبناء الزنى ! ما الذي فعلتموه؟»

أمسك المغاوير الثلاثة الواقفون خلفه في الردهة بذراعيه وأخذوا يسوقونه باتجاه المؤخرة ، بينما تشولاك مستمر في الصراخ طيلة الطريق . في الأثناء ، قاد الأعضاء الآخرون من فرقة الاختطاف كل المتواجدين على درجات مبنى هيئة قيادة الأركان العامة ، جميع مرافقي تشولاك إلى سياراتهم وانطلقوا مغادرين . ترك بولينت المتوفى راقداً حيث

سقط . بعد وهلة ، تسلل بعض من أفراد الجهاز الوظيفي الذين كانوا مختبئين في المكاتب الفارغة على الطابق الأرضي ، إلى الخارج وعثروا على ما ستروا به الجثة . نظروا إلى أعلى أثناء عملهم هذا ليروا الطائرات النفاثة المقاتلة التي أخذت تزعق وهي تطير عبر السماء فوق أنقرة والضواحي البعيدة- جعلتهم أضواء التمييز التي تومض تبدو مثل عربة فضائية غريبة من فيلم سينمائي قديم .

سأل أحدهم الآخر «ما الذي يجري؟» فجاء الجواب «لا أدري . ولكن البلاد تتمزق»

أقلعت طائرة هليوكبتر عن سطح البناية بعد بضع ثوان ، جلس فيها تشولاك وآسروه ينظرون إلى الشوارع تحتهم ، وقد خلت الآن من كل شيء ما عدا طوابير الجنود الذين أخذوا ينتشرون في الأمكنة المحيطة بالأبنية العامة ، بحيث ظهرت أزياؤهم الخضراء أشبه بالدم الجاف تحت اللون البرتقالي لأضواء الشوارع .

***

بدت ساحة الفندق خالية من الناس لدى خروج زيكاي أكساكاللي ، قائد القوات التركية الخاصة ، المعروف به Okk ، عبر المدخل الأمامي مصحوباً بزوجته . يدرشان لوهلة حول الأمسية ، والتي ضمت زفافاً مثل ذلك الذي كان يحضره عابدين أونال في نادي مودا البحري في إستنبول ، وبعدها قال أكساكاللي إن لديه بعض المكالمات التي ينبغي عليه إجراؤها لدى وصولهما إلى البيت .

سألته «هل حدث شيء خطير؟»

«كلا» ربت على اليد الملتفة فوق ذراعه . «لقد كان هناك خبر ما حول قيام بعض الضباط بتجاوز ومخالفة الأوامر والتعليمات المعمول

بها . يحلقون بطائرات هليوكبتر بينما لا يحق لهم ذلك - أشياء من هذا القبيل» . استندت إليه مطمئنة وأراحت رأسها إلى كتفه

استمرا في الابتسام نتيجة الاسترخاء في الأمسية التي أمضياها يدردشان مع الأصدقاء والزوجين الشابين اللذين زفا إلى بعضهما لتوهما ، أكملا الدرجات القليلة خارج مدخل الفندق واتجها إلى سيارتهما . موقف سيارات الفندق مصمم على الأسلوب القديم ، بحيث اصطفت السيارات في صفوف منتظمة عند مقدمته ، بدلاً من مستودع تحت الأرض أو مبنى متعدد الطبقات . سيارة أكساكاللي قد تم جلبها إلى مكان قريب ، وقف سائقه على مسافة قريبة ، متكئاً على الباب الأقرب أثناء انتظاره . اتخذ أكساكاللي خطوة واحدة بعد مدخل الفندق وتوقف على الفور ، بينما بدأت أشكال تخرج من بين الأشجار وجوانب الأبنية القريبة . أزياء سوداء ومعدات قتالية كاملة ، تعرف عليهم على الفور بأنهم من رجاله

انسحبت زوجته لتقف خلفه ، وقد شددت قبضتها على ذراعه

«ما هذا؟» نادى أكساكاللي عليهم «لماذا أنتم مسلحون أيها الرجال؟»

كان حمل المسدس إجراء عادياً لدى جميع منتسبي الـ OKK ، ولكن أكساكاللي يشير إلى البنادق الهجومية في أيدي الرجال . فهذا يتطلب الإذن من ضابط عالي الرتبة ، وتتم مراجعة هذا الإجراء من قبل أمين الإمدادات قبل أن يمكن إخراج الأسلحة من المستودع المخصص لها ، وسيكون هناك تفقد مماثل إما في منطقة الإنزال أو البوابة قبل أن يسمح لها بمغادرة القاعدة . يعرف أكساكاللي أن مثل هذا الأمر لم يتم إصداره قبل أن يغادر لحضور حفل الزفاف في ذلك المساء . إن

الـOKK هي وحدة نخبوية ، ومع أنه تمت توسعتها عبر السنين من مستوى اللواء إلى الفرقة ثم إلى مستوى جيش ، فإن قائدها الأعلى مازال ملماً بما يجري في كل منطقة تتموضع فيها قواته الخاصة

قال المغوار القائد «نحن مضطرون إلى أخذك نحو منطقة آمنة»

«من الذي أصدر الأمر بهذا الإجراء؟»

رأى أكساكاللي من الطريقة التي بقيت الطريق نحو سيارته مفتوحة ، وأن فريق المغاوير يطبق عليه في نصف دائرة بدلاً من اعتراض طريقه ، فأمسك بزوجته من فستانها المسائي وبدأ يمشي باتجاهها

«سيدي ، توقف أرجوك ،» قال قائد الفريق .

«لن أتوقف . لماذا هذه المنطقة غير آمنة؟ من الذي أمركم بالقدوم إلى هنا؟»

«إنه القائد تيرزي يا سيدي» بات الفريق يتابع أكساكاللي في هذه اللحظات ، لا يركضون ولكن يبقون قريبين

«وهل أنت مدرك أنني أنا الذي يصدر الأوامر إلى القائد تيرزي ، أيها العسكري؟»

بعد وصوله إلى السيارة ، فتح أكساكاللي باب الراكب وساعد زوجته على الدخول

أبقى الباب مفتوحاً وجعله بينه وبين الجنود المقتربين «أدخل السيارة» . قال للسائق . فعل الرجل ما أمر به . وصل المغاوير إلى مسافة بضع أقدام وتوقفوا

«إن تيرزي برتبة عميد وعندما يصدر إليك أوامر بأخذي بدون إذني فقد أقدم على كسر تراتبية الأوامر . قل لي الآن - ما الذي

يجري؟ ستسوء الأمور بالنسبة إليك ما لم تنفذ ما أقوله لك الآن»

استمر المغوار على موقفه ، وبقي وجهه مقنعاً بالسواد ، مثل باقي أفراد فريقه

«تقضي أوامري باصطحابك إلى مقر القيادة في جولباشي يا سيدي»

ميَّل أكساكاللي رأسه إلى ناحية «وهل تيرزي موجود هناك الآن؟»

«ليست لدي هذه المعلومات يا سيدي ، أنا -»

ضرب أكساكاللي بيده على زجاج نافذة السائق فأدار هذا محركها

«أنا أعرفك» قال للمغوار القائد «أنت ياريمباش ، ألست هو؟ ذلك صحيح . أنا أعرفك»

تقدم ياريمباش الذي انكشفت شخصيته وحاول أن يقبض على أكساكاللي ، لكن القائد كان قد توقع الحركة فلوَّح بيده التي كان يضعها على شباك السيارة وضرب بحدها المهاجم في وسط حلقه سقط ياريمباش إلى الوراء ، واضعاً يديه على حلقه وهو يحس بالاختناق وضيق التنفس . تجاوزه أفراد الفريق في محاولة للقبض على أكساكاللي قبل دخوله السيارة ، لكنه كان قد دخلها

صرخ بالسائق «انطلق !»

أسرعت السيارة مبتعدة وبقي فريق المغاوير واقفاً في مكانه

انطلق السائق بالسيارة بأقصى سرعتها في ممر الفندق الطويل والذي يكاد يبلغ الميل ، ثم استدار إلى اليسار بحدة عند البوابة ليوصلها إلى الطريق الدائري في الخارج

اختار العروسان المكان لهدوئه وأجوائه الريفية ، خارج المدينة

وامتدادها كعاصمة ، لذلك كان الطريق لا يكاد يتسع للمرسيدس العريضة حتى تبتعد عن الحفر بسرعتها الهائلة

«من كان أولئك؟» فتحت زوجة أكساكاللي عينيها على اتساعهما وتلاحقت انفاسها

«ما الذي يحدث؟»

«أعرف من هم هؤلاء» . قال أكساكاللي . لف ذراعه حول كتفيها ليوقف ارتعاشها . «هذا مجرد سوء فهم . سوف أعمل على تصحيح كل شيء واتخاذ الإجراءات اللازمة»

اتكأت عليه «أنا خائفة»

«لا تخافي . ليس هناك ما تخافين منه»

أثناء كلام أكساكاللي ، لفت انتباهه الانعكاس القوي لأنوار أمامية في المرآة الوسطى أمامه . تنامى البريق وأصبح أقرب . أطلق شتيمة عبر أسنانه ومال إلى الأمام . انكمشت زوجته مبتعدة عنه - فهي غير معتادة على رؤية زوجها في حالة نفسية قتالية

قال للسائق «أعطني سلاحك . مد الرجل يده إلى داخل سترته وسحب مسدس هيكلر آند كوتش ذا ماسورة طويلة ، مبقياً عينه على المرآة الجانبية في الوقت نفسه . مرره إلى أكساكاللي خلفه فقام الجنرال بتفقد المشط .

سأله «هل هذه طلقات برابيللو؟»

«بل ٠,٣٥٧»

ابتسم أكساكاللي «فتى حاذق» .

اقترب الجيب المطارد إلى درجة أنه أصبح بامكان أكساكاللي أن يرى الشبك الأمامي من خلال شباك سيارته الخلفي والمصابيح المشعة

بحيث تنير داخل سيارته . أحسّ بارتجاج العجلات عندما اصطدم الجيب بالصدام الخلفي - ليس على شكل دفع ، بل مجرد رسالة لهم للتوقف .

«أسرع» قال أكساكاللي .

ضغط السائق بقدمه على دواسة المسارع ، فاندفعت السيارة في الدرب ذات المسرب الواحد . لو أن سيارة قادمة اجتازت زاوية في الدرب ، لما كانت هناك إمكانية للتوقف أو تجنب اصطدام هائل . قرأ عداد السرعة ما يزيد على مئة وعشرين كيلومتراً في الساعة

أطلق المطاردون عياراً نارياً لما أحسوا بمقاومتهم . استمرت السيارة في الإسراع .

«ماذا كان ذلك؟» نظرت زوجة أكساكاللي وراءها

جاءت بعدها صلية قصيرة من ثلاث طلقات لتغطي على زئير أصوات المحركين والإطارات المتمسكة بالطريق . أحدثت ثقباً منمقاً في زاوية الشباك الخلفي مع صراخ زوجة أكساكاللي وهي تشد على ذراعها

اتسعت حدقتاه وأطلق سيلاً من السباب . استدار إلى الوراء في مقعده ، أنزل زجاج النافذة على جهته ودفع بالمسدس إلى الخارج سدد بالسليقة أكثر منها الرؤية وأطلق رصاصة واحدة باتجاه الناحية السفلية اليسرى من مقدمة الجيب . خرج صوت انفجار مباشر مع خروج الطلقة وراقب أكساكاللي برضى بينما أخذ سائق سيارة المطاردة يعاني في محاولة للسيطرة على المركبة بوجود إحدى العجلات تسير على حافتها المعدنية . أطلق عيارين أخرين على زجاج السيارة الأمامي لمجرد تسديد الدين الذي بذمته ، ثم استدار ليعتني بزوجته . بدأت

المسافة بين السيارة والجيب تتسع بينما أخذت المركبة الثانية تتأرجح بعنف متزايد ، حتى إنه عندما ألقى أكساكاللي بنظرة خارج الشباك الخلفي ، فرأى الجيب ينزلق ليتوقف بشكل جانبي ، بحيث أغلق العرض الكامل للدرب ذي المسرب الواحد . بقيت هناك حتى اختفت عن الأنظار حينما دار السائق حول منعطف ، أنزل المسدس بين ساقه ونافذة السيارة ، مشيراً بفوهته إلى الأسفل ، ثم نزع المنديل بمنتهى اللطف عن رقبة زوجته . قال لها «إنه مجرد خدش» وهو يلف المنديل حول الجزء العلوي من ذراعها «حتى إن الرصاصة لم تدخل» كانت تنتحب فسحبها إلى صدره بقوة مع رسوخ الصدمة . قال للسائق «استمر في السير حتى تصل إلى كيرازليدره . وبعد ذلك سوف نتجه مباشرة إلى قيادة الـOKK . لا تتوقف» .

الفصل العشرون

لم تستطع ديميت أن تتوقف عن الضحك «آه يا الهي !» قالت من خلال قهقهاتها «لا أستطيع أن أصدق بأن تلك كانت هي ! لقد سمعنا كلنا بالقصة في الطابق الأسفل ، ولكن لم يعرف أحد الأسماء . وماذا قالت له عندما شاهدا بعضهما في اليوم التالي في مكاتب العمل؟»

تناولت آيلا رشفة أخرى من كأسها «لقد اكتفيا بالمرور عن بعضهما وقالا هالو»

دفنت ديميت وجهها وسط يديها لشدة الإحراج «أظن أنني أفضل الاستقالة ، أو ربما الرحيل إلى بلاد أخرى» قالت .

أطلق هاتف موضوع على الطاولة زموراً . نظرت ديميت من خلال أصابعها بينما مدت آيلا يدها باتجاهه «صديقتي تقول إنها تحاول أن تعبر عن الجسر لكنه مغلق»

اعتدلت ديميت في جلستها ، ورتبت وضع الوسادة في حجرها «تقصدين الجسر الأول؟»

هزت آيلا رأسها بالموافقة «تقول إن السير يتحرك إلى خارج المدينة ، ولكن لا شيء يدخل . إن رجال الجيش في كل مكان» .

«هل هو حادث مثل المطار قبل بضعة أيام؟»

نظرت آيلا إلى الأمام ، وتزايدت دقات قلبها

أدركت ديميت غلطتها «آسفة»

«لا ، لا تقلقي» نفضت آيلا رأسها «يا إلهي . آمل أنه ليس كذلك . إليك»

تناولت جهاز التحكم عن بعد «دعينا نرى إن كان هناك أي شيء على التلفاز» .

فتحت على قناة TRT ، المحطة الحكومية الرئيسة ولكنها لم تظهر أي إشارة بث . وجدت الأمر باعثاً على القلق .

انفتحت القناة الثانية التي حولت إليها لتظهر جسر البوسفور ، على مسافة أقل من عشر دقائق مشياً من حيث تجلسان ، وكان يقف عليه صف من الجنود يسدون السير القادم من الجانب الأناضولي للمدينة كما ظهر أن حركة السير المتدفقة من الاتجاه المقابل غير مقيدة . اصطفت خلف الجنود شاحنتان بصندوق مسطح ، واقفتان مقابل بعضهما ، تسدان المسارب الأربعة لجانب من شريان المدينة الرئيس .

«هل تظنين بوجود مسلحين منفلتين هناك؟ وربما هم يحاولون أن يقطعوا عليهم سبيل الهروب؟» مالت ديميت إلى الأمام وحاولت أن تتعرف على ملامح وجوه الجنود ، باحثة عن وجه مألوف ، باحثة عن آيدين

كانت آيلا قد فتحت هاتفها على محرك البحث عن الأخبار بحثت وقلّبت عبر المعلومات ثم ذهبت إلى موقع تويتر الإخباري على جهازها ، حيث كانت قد انتقت بعناية الصحفيين الذين تتابعهم بشأن قصص الأنباء الأكثر حداثة ودقة

«يقول أحدهم إنه لم تكن هناك أية حادثة» قالت وهي تقرأ «لقد انتشر الجيش على الشوارع وأغلق مساحات مختلفة من المدينة

وكذلك في أنقرة» .

«ولكن لماذا؟» سألت ديبيت .

«لا أعرف» قالت آيلا ، بدون أن تفصح عن الفكرة التي تقول بأن ما يحدث أمامها هو أمر في منتهى الخطأ . «يقول إن شخصاً ما شاهد رجال الجيش يصادرون أسلحة الشرطة» .

«آه يا ربي» قالت ديبيت وهي تنكمش في مؤخرة الكنبة . أحسَّت آيلا أنها عادت إلى المطار مرة أخرى ، فيما عدا أن أورهان بدوره معرض للخطر هذه المرة .

***

مركز قيادة جولباشي للقوات الخاصة عبارة عن بناية بيضاء خفيضة مربعة ، غارقة في النور البرتقالي في الليل ، وتتربع على أرض واسعة محجوزة للدولة عند مشارف مدينة أنقرة . رغم أن التسلل داخل الساحة التي تقف عليها البناية قريب من المستحيل بسبب مستوى التشديد الأمني في المنطقة ، لأنه يمكن التسامح مع أي زائر في المقترب الأول ، لأنه قد يعتقد أنه صادف مدرسة بدلاً من منشأة حربية مشيدة على أحدث الفنون . المؤشر الوحيد الذي يعكس واجهتها غير الدالة هو كثرة الهوائيات وأطباق الأقمار الصناعية اللاقطة التي تزنر السطح بكامله ، والتي تتراوح أحجامها مما يصل إلى الركبة وحتى ارتفاع عشرين قدماً . تم التقاط طائرة النقل التابعة للـ CASA على أنظمة المركز في قرابة اللحظة التي غادرت فيها ديار بكر ، لأن جولباشي تتابع جميع الطائرات في مجال تركيا الجوي ، بالإضافة إلى إقليم واسع أبعد منها .

كما أن جولباشي قادرة على متابعة السفن العاملة في البحر الأسود إلى الشمال ، وقوافل المركبات على الطرقات في القفقاس

وكـذلك حـركـة الجنود إلى الجنوب من الحـدود في كل من سـورية والعـراق . هناك جهـاز وظيفي كـامل مخصص أيضاً لحركات الطيران الغربية ، في المجال الجوي اليوناني وما وراءه ، ناهيك عن أية سفينة أو طائرة قادمة إلى الشمال من اتجاه قناة السويس .

يحـتم دور الـ OKK أن تكون جاهزة للعـمل في أي مـيـدان ، أي منطقة طبـيـعـيـة ، ضد أي عـدو ، سواء كان ذلك يعني الاشـتـبـاك مع الإرهابيين في المدن الذين يتـحـولون إلى التـواجـد بكثـرة سنة بعـد الأخرى ، والذين اقترفوا جريمة قتل دموي في الأسبوع الماضي وحده داخل مطار البلاد الرئيس ، والذي سـمي فوق كل ذلك باسم مؤسس الدولة ، أو الخـوض في جـبـال مليـئـة بالأحـراش ، يتـعـقـبـون رجـال العصابات المعتدين . كانت وظيفة الـOKK في التعرف لحظة قيام أي طائرة باختراق منطقة يمنع فيها التحليق ، بموجب أمر من القائد الأعلى خلوصي أكـار ، في أي مكان من الدولة ، ثم إبلاغ تلك المعلومـة إلى العملاء المختصين بحيث يمكن التعامل مع الحالة .

الأمر الذي أزعج الموظفين في جولباشي هو أن طائرة CASA قد هبطت في مقر قيادة لواء القوات الخاصة الجوية في ايثيسمجوت ، وبعد ذلك بادرت ثلاث طائرات بلاك هوك رحلة الطيران القصيرة من ذلك المطار إلى جولباشي . وهم بذلك قدموا حالة اضطراب لمشغلي أجهزة الاتصال الذين تواصلوا معهم ، لأن الطيارين ظلوا يصرون على أنهم يحـملون الجنرال سـمـيح تيـرزي ، الرجل الثـاني في OKK بعد زيكاي باشا نفسه . فإذا كان هناك أمر منع طيران ساري ، فلماذا يغادر الجنرال تيرزي موقعه في الإقليم الجنوبي؟

بسبب عدم وجود إمكانيـة اتصال أخرى مع كبار الضباط في

القاعدة ، والذين غادروا جميعهم في المساء ولم يعد الاتصال بهم ممكناً ، فقد قرر هؤلاء الضباط الخافرون أن الجنرال تيرزي سيقدر على تسلم زمام الأمور وتنظيم الرد على الصور والتقارير عن الجنود الذين ينزلون إلى شوارع كل من أنقره وإستنبول ، بالإضافة إلى أمكنة أخرى في زوايا متفرقة من البلاد .

بينما كان أفراد الجهاز الوظيفي يتراكضون في القاعات من مكتب إلى آخر ، استمرت الحادثة وامتلأت غرف الرادار بالأزمة المستمرة ، بدأ هاتف أرضي في قاعة الاستقبال الرئيسة التابعة لمركز القيادة ، يرن أجاب رقيب الحماية مقبول أولاغ

«جولباشي . النضد الأمامي . هذا خط سري»

ردد الصوت على الجهة الأخرى من الهاتف قائمة من الأحرف والأرقام ، وهي التي تشكل رمز التصريح بالتحدث على خطوط محجوزة للاستعمال العسكري ، ثم قال «إلى من أتكلم؟» لاحظ أولاغ أن الرجل بدا هادئاً ، ولكن بات من الواضح أن الرجل يبذل جهداً لإبعاد الانفعال من الظهور بحدة في كلامه . قدم أولاغ اسمه ورتبته وسأل الرجل إذا كان بوسعه أن يساعده بأي شكل

«من هو الرقيب المناوب في القيادة هذه الليلة؟»

«سيدي» قال أولاغ «لا أستطيع أن أقدم لك أي معلومة إضافية قبل أن أتعرف على شخصك بالاسم»

«هذا أكساكاللي . أريد أن أعرف من هو الذي يأمر بالخفارة»

«إنه الرقيب خالص ديمير يا باشا» . أجاب أولاغ ، وقد نهض عن كرسيه بدون تفكير

«هل هو عمر خالص ديمير؟»

«ذلك صحيح يا سيدي»
«أحضره إلى الهاتف» قال أكساكاللي
«حاضر سيدي»
«واسمع يا رقيب؟» كاد أولاغ أن يضع السماعة على النضد عندما سمع صوت القائد يناديه . أعاد رفعه نحو أذنه
«نعم سيدي؟»
«لا تخبر أحداً آخر عن تفاصيل هذه المخابرة . هل هذا واضح؟»
«واضح يا باشا» . هزَّ أولاغ رأسه «لحظة واحدة رجاءً»
ركض أولاغ من خلف الحاجز وأسرع على طول الممر نحو مكتب المحطة . وجد هناك عمر خالص ديمير ينظر إلى سجل الأداء الليلي ، بينما امتلأت الجدران ذات الأرفف حوله حتى آخرها بسجلات تعود إلى ما يقارب ثلاثة عقود ماضية
رفع خالص ديمير رأسه عندما طرقت رجلا أولاغ لتتوقف عند الباب المفتوح
«عمر ، يجب أن تحضر حالاً ! الباش –» قاطع نفسه قبل أن يخالف أمر الجنرال على مسمع أي شخص يحتمل أنه يمر من هناك مال إلى الأمام وخفض صوته «هناك مخابرة . يجب أن تأتي الآن»
نهض خالص ديمير ، الذي كان قد عمل راعي غنم مثل أجداده من قبل أثناء ارتياده المدرسة ، وتبع أولاغ المهتاج عبر القاعة إلى حيث يوجد الهاتف تناول السماعة من يد أولاغ الممدودة وشدها نحو وجهه
قال «ألو؟»
«هل هذا الرقيب عمر خالص ديمير؟» استطاع عمر أن يتعرف على

الصوت ولكنه لم يعرف صاحبه في تلك اللحظة

قال «نعم ، من هو المتحدث؟»

«نفس عمر خالص ديمير الذي خدم في تونجيلي وبينغول؟»

نظر خالص ديمير إلى أولاغ متسائلاً «زيكاي باشا؟»

«نعم يا ابني . هذا أنا كم من الوقت استمررت في حراستي؟»

«ثلاث سنوات يا سيدي»

«ذلك صحيح» قال أكساكاللي وقد تذكر «وقت كافٍ للتوصل إلى معرفة رجلٍ ما»

«ما الذي يحدث يا سيدي؟ إننا نسمع إشاعات كثيرة حول إرهابيين يهاجموننا»

«الإرهابيون الوحيدون هم أولئك الموجودون بيننا يا ولدي»

تجمد خالص ديمير «سيدي الباشا؟»

«إن رجالنا يقومون بالاستيلاء على الحكومة . لقد حاولوا أن يقتلوني مع زوجتي قبل أقل من ساعة»

«يا إلهي يا سيدي !» ذهبت يد خالص ديمير اليمنى إلى مقبض جراب مسدسه . انسحب أولاغ إلى الوراء «ما الذي يجب عمله؟»

«هناك رجال قادمون إلى جولباشي يحتمل أنهم وصلوا إلى هناك . هل وصلت مجموعات من قطاعات أخرى هذا المساء؟»

وضع خالص يده على سجل الحركة الموجود على نضد الاستقبال «هناك مجموعة تقترب الآن يا سيدي . لقد سمعت أنها تضم الجنرال تيرزي . لا يوجد أي شخص هنا بصلاحية قيادة لإدارة الموقف إلا هو»

انخفض صوت أكساكاللي «أريدك أن تصغي إليَّ بمنتهى العناية يا

ابني . يجب أن لا يسمح لتيرزي بدخول المركز ، هل تفهم؟ هو وأي آخرين معه يجب إيقافهم»

«سوف أقوم بإنذار العقيد وتفعيل طواقم الدفاع يا سيدي» . هزَّ خالص ديمير رأسه باتجاه خزانة تضم أسلحة آلية خلف اولاغ . نظر رقيب النضد حوله في حيرة .

سحب أكساكاللي نفساً عميقاً «يا عمر . هؤلاء من رجالنا - الرجال الذين يحاولون أن يستولوا على الحكومة - لقد قام بعض من رجالي بفتح النار على سيارتي ، بوجودي وزوجتي وسائقي بداخلها . برصاصات حية يا عمر . لقد قالوا إنهم يتصرفون بموجب أوامر صادرة عن تيرزي . أنا لا أستطيع أن أثق بالعقيد ، ولا بطواقم الدفاع» .

«سيدي . . .» تخافت صوت خالص ديمير تدريجياً

«هل تفهم يا ابني؟ إنهم موجودون في كل مكان ويحتمل أنهم يراقبونك في هذه اللحظة لا أستطيع أن أثق إلا بك لتجعل هؤلاء الناس غير مؤذين . إنهم بيننا - إخوتنا يسعون إلى الإيذاء بنا . ولكن يجب أن تمنع حدوث هذا الأمر . هل تفهم؟»

انتصب خالص ديمير في وقفته «أفهم هذا يا سيدي . سيتم تنفيذه» .

أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها وبسط كفيه على النضد نصف الدائري .

سأله أولاغ «ما الذي يحدث يا عمر؟»

تكلم خالص ديمير بدون أن يرفع رأسه وقال «سوف أخرج لأستقبل مجموعة الجنرال . ابق في انتظارنا عند الباب الأمامي . إذا حدث أي شيء . أطلق الإنذار وأغلق المداخل»

«حسناً يا عمر» فتح أولاغ فمه وقد ملأته الحيرة ، حاول أن يقول شيئاً لكنه لم يقدر على تشكيل أية كلمات .

استدار خالص ديمير وبدأ يسير باتجاه الباب . توقف ليعطي أولاغ الوقت ليضغط على زر فتح قفل الأمان ثم مشى خارجاً إلى هواء الأمسية الصيفية النقي

اهتزت الأشجار من الأنسام الخفيفة وجاء الهواء مشبعاً بعطر سيقان ولحاء الأشجار وأزهارها . نزل خالص ديمير عن الدرجات الكائنة أمام مركز القيادة واتجه نحو أيكة صغيرة من الأشجار إلى يسار المبنى ، حيث وقف في الظلال ، محدقاً

انفتح باب جولباشي بعد دقيقة وظهر منه اولاغ ، توقف على رأس الدرجات وهو يتلفت حوله . عندما لم يعثر على أثر لصديقه ، عاد إلى الدخول . راقبه عمر أثناء انصرافه

ساد الصمت لفترة ، وبعدها سمع عمر صوت طائرات الهليوكبتر بدأت رؤوس الأشجار تتمايل نتيجة الهبات التي أثارتها الطائرات . راقبها تحط على مسافة في منطقة الهبوط بعد الساحات الأمامية خلف الأشجار ثم انتظر . لم يتأخر صوت الأقدام في الحلول محل صوت المراوح . حاول أن يتحزر العدد قبل أن تصل جماعة تيرزي إلى مجال نظره ، لكنه أدرك أنهم كثيرون .

رآهم عند الزاوية ، تعرف على تيرزي في مقدمتهم . فاتح شاهين خلفه . لدى اقترابهم من المبنى الرئيس ، بدأ حراس تيرزي ينتشرون في تشكيل نصف دائري ثم قرفصوا ، مشهرين أسلحتهم . راقبهم يمرون أمامه ، لم يقترب منه أحد منهم ولا حتى نظر باتجاهه . بدوا واثقين ، يعرفون وجهتهم والغاية من وجودهم هناك . تحركوا بسرعة . بعد أن

قطعوا عشر أقدام عن مكان وقوفه ، واستطاع عمر أن يرى وجود المزيد من القادمين من منطقة الهبوط ، خرج إلى العراء ومشى وراءهم بسرعتهم نفسها . فتح زر الأمان على جراب مسدسه الآلي . خفض رأسه واتخذ طريقه بين حوالي خمسة عشر رجلاً خلف تيرزي ، وقد ركز عينيه على قفا رقبة تيرزي . أصبحوا الآن على مسافة عشرين قدماً من باب جولباشي . تمكن عمر من رؤية أولاغ أمامه ، ينتظر على رأس الدرجات . أسرع بخطواته

«سيدي» نادى أولاغ «هناك مشكلة - أنا -»

«هناك مشكلة فعلاً» رد عليه تيرزي «البلاد كلها في حالة فوضى»

«سيدي» ظهر صوت أولاغ بما يشبه الاعتذار «إذا أمكنك أن تنتظر-»

«سوف أنتظر في الداخل أيها العسكري» نادى تيرزي . لم يبطئ في سرعته كان خالص ديمير خلفه مباشرة الآن ، في وسط المجموعة

«سيدي ، أرجوك . لقد تم الطلب مني -»

«سوف أتولى قيادة هذه المنشأة . هنالك أزمة تتفاعل» . قاطع تيرزي كلام أولاغ مرة أخرى ، ملوحاً بيده وكأنه يطرد ناموسة . قال «سيكون الجنرال أكساكاللي هنا قريباً»

وصل إلى الدرجات . أبقى عمر رأسه خفيضاً ، ابتلع ريقه ، شدَّد عزيمته بدعاء صامت ثم رفع رأسه . سحب مسدسه في حركة سلسة من غمده ، وصل إلى حيث يقف تيرزي وأطلق النار على مؤخرة رأس القائد . استطاع أن يطلق رصاصتين أخريين قبل أن يسقط تيرزي إلى الأرض وقد تراخى جسمه . هرب مبتعداً على الفور ، إلى ناحية

اليمين من المبنى المركزي ، عائداً نحو الأشجار . فتح أعضاء من حراس تيرزي النار بعد إصابتهم بصدمة استمرت جزءاً من الثانية ، بأسلحتهم الآلية بعد أن أصبح على بعد حوالي عشرين ياردة . أصابت صليات النار خالص ديمير فسقط على جانبه بطريقة عشوائية . انفجرت الفوضى ، وارتمى فاتح شاهين فوراً على ركبتيه إلى جانب القائد المتهاوي ، وركض أعضاء آخرون من طاقم الحماية إلى الأمام في محاولة للاستيلاء على الأبواب . واحتمى آخرون من الطلقات المستمرة . خرجت مجموعة فوضوية من الأصوات ، معظمها موجه إلى أولاغ ، الذي كان قد ركض عائداً إلى داخل مركز القيادة وأقفل الأبواب . انطلقت صافرات الإنذار لتغطي على صرخات أعتى المغاوير

أطلق أحدهم صلية على الباب الزجاجي في نوبة نفاد صبر ، فارتدت الطلقات إلى الوراء مما سبب للرجل لكمة قوية إلى صدغه من قبل قائده .

صاح شاهين «نحن بحاجة إلى إخلاء طبي!» وهو يحتضن رأس تيرزي . افترق بعض أفراد المجموعة وأخذوا يركضون عائدين إلى الطائرات العمودية بحثاً عن نقالة بينما استمر آخرون في محاولة العثور على وسيلة لدخول المبنى

«أطلب الدعم !» صاح أحد الحراس مخاطباً شاهين .

«من أين أطلب الدعم أيها الأحمق؟» رد عليه «لقد كان الجنرال يحمل جميع الرموز ، والأنظمة موجودة داخل تلك البناية !»

أجفل شاهين لدى سماعه صوت طلقتي مسدس كان هناك ضابطان راكعين على ركبتيهما تحت ظلال أشجار جولباشي ،

يتفحصان عمر خالص ديمير ، بينما وقف آخر فوق الثلاثة يحمل في يده مسدساً يخرج منه الدخان . كان قد أفرغ رصاصتين في صدر خالص ديمير

«لماذا فعلت ذلك؟» سأله أحدهما رافعاً رأسه «كنا استطعنا أن نجبره على التكلم»

أعاد الضابط مسدسه إلى جرابه بصمت تام ومشى عائداً إلى تيرزي

الفصل الحادي والعشرون

كانت الطريق خارج السور العالي لمبنى المديرية العامة للشرطة في وسط البلد بأنقرة مهجورة لحظة ظهور الظلال عند إحدى الزوايا ومباشرتها التحرك على شكل طابور باتجاه الزاوية البعيدة من المجمع تحركوا وقد أحنوا ظهورهم بمشية ثابتة ، فأصبح تمييزهم من قبل شاشات كاميرات الحماية في المديرية شبه مستحيل . رغم أن موظفي الدرجات العليا من الجهاز المسؤول عن مراقبة الساحات استمر في طلب تقليم الأشجار الكائنة في الزاوية الغربية للمديرية طيلة الصيف ، من أجل توفير رؤية كافية لذلك القسم من السور والشارع ، إلا أنه لم يتم عمل شيء ، فاتجه المغاوير إلى هذه البقعة المخفية ، بدون أدنى توقف لدى وصولهم إلى المنطقة المستهدفة وإلقاء خطاف تعليق فوق السلك الشائك .

في غرفة المراقبة ، كان الجو العام هادئاً بالمقارنة مع بقية أنحاء المخفر ، لأن معظم الأفراد في الخارج قد تزايد توترهم وتصاعد بسبب الظهور غير المفسر لأعداد متزايدة من العسكريين في شوارع كل من العاصمة والمدينة الأكبر في البلاد .

عند زاوية الشارع ، تسلق المغوار القائد السور ، محتجباً عن صف الشاشات ومصباح الشارع بالأشجار ، وألقى بطانية من الشادر فوق السلك الشائك . بعد أن هبط بدون أي صوت فوق الحشائش في

الداخل ، بدأ بقية أفراد الفريق في اللحاق به

على بعد حوالي ميل ، وفي مكتب رئيس الوزراء بن علي يلدريم الخاص داخل مجلس النواب ، رفع جمال هاشمي سماعة هاتف باتجاه رئيس الحكومة

قال له «دولة رئيس الوزراء ، إنه المدير فيدان»

تناول يلدريم السماعة «هاكان؟»

جاء صوت هاكان فيدان مفعماً بالسلطة من الناحية الأخرى «أنا هنا يا سيدي»

قال يلدريم «لا أستطيع أن أتصل بخلوصي أكار . من هم هؤلاء؟ من هو الذي يصدر الأوامر؟»

«أعتقد أن القائد أكار قد تم تعطيله يا دولة رئيس الوزراء»

كشف يلدريم عن أسنانه ونظر إلى جمال «هل هو معهم؟»

«لا أعتقد ذلك يا سيدي» قال فيدان «لكنني من الناحية الأخرى لا أعتقد أن الجنرال في مركز يقدر فيه على مقاومة المتآمرين أيضاً»

أطلق يلدريم زفرة «آه يا الهي . إنه سجين لديهم» كوَّر قبضته «الى أي مدى يصل هذا الأمر يا هاكان؟ تشولاك؟ أكساكاللي؟ أين هو أونال؟ إن المبنى هنا يتعرض لأزيز الطائرات المقاتلة النفاثة طيلة المساء الأمر أشبه بحالة حرب»

«آخر مرة شوهد فيها القائد أونال وهو يغادر حفل زفاف بطائرة عمودية يا سيدي . أعتقد أنه قد تم الاستيلاء على قيادة سلاح الجو لم أتمكن من الاتصال حتى بالقائد أوزتورك . أظن أنه ينبغي عليك أن تغادر مكتب رئيس الوزراء على الفور»

قفز حاجبا يلدريم الأشيبان إلى أعلى «ماذا؟»

«على أساس تدبير مؤقت» . حاول فيدان أن يجعل صوته باعثاً على التطمين .

«أنا مصمم على إذاعة بيان» ألح يلدريم «يجب أن يعرف الشعب أن هؤلاء الأنذال ليس لديهم أي سلطة لا سلطة على الإطلاق»

«كلا يا سيدي أنت حتماً يجب أن تقول شيئاً ما بالطبع . ولكن أرجوك -» بدت الكلمة غريبة لصدورها عن هاكان فيدان . «اطلب من موظفيك أن ينقلوك من الطوابق العليا إلى موقع يمكن الدفاع عنه»

«موافق يا هاكان ، أستطيع أن أغادر خلال -»

«كلا يا سيدي» قاطعه فيدان «إن مبنى البرلمان آمن في اللحظة الحالية . أظن . . .»

«أنت تظن؟»

«هنالك غرفة محصنة في الطوابق السفلى ، حضرة رئيس الوزراء . لا يمكنك أن تخاطر بالخروج إلى الشوارع أو ركوب طائرة عمودية . لديَّ تقارير عن حوادث إطلاق نار»

«غرفة محصنة؟» علق صوت يلدريم بالكلمة

«في الطوابق السفلية من المبنى يا سيدي . أرجوك أن تأمر حراسك باصطحابك إلى هناك»

«أنا لن أختبئ يا هاكان ، ولا رئيس الجمهورية سيختبئ نحن ننوي أن نقاوم هذا الأمر»

«نعم يا سيدي . نحن سنقوم بذلك»

***

نشطت أجهزة استشعار الحركة في قيادة الشرطة عندما انطلق فريق المغاوير خارجاً من بين الأشجار وانتشر أفراده على المرج في مقدمة البناية . قفز جميع حراس الأمن الموجودين في غرفة السيطرة إلى الأمام سوية عندما لمحوا الأشكال السوداء تتراكض فوق العشب ، واحتشدت خطوط الراديو على الفور بنداءات إلى طواقم الاستجابة المسلحة . قفز الخبير الفني الرئيس من مقعده وركض على طول الردهة ليستدعي العقيد الذي يتولى القيادة . تم إطلاق الإنذار العام ، وهو إجراء صدرت تعليمات لجميع الضباط في المديرية لاتباعه ولكن أحداً منهم لم يسمعه مطلقاً . لم تكن هناك تدريبات حول ما يوشك على الحدوث ، لا أدوار موزعة ، لا تعليمات حول طريقة الاشتباك مع عدو مكون من الرجال أنفسهم الذين كانوا يشكلون جزءاً من قوات أمنهم قبل مجرد ساعة

ركض أفراد طواقم الاستجابة الطارئة ، رجال بملابس مدنية وضباط عاديون بملابس رسمية على طول القاعات ، يتخذون مواقعهم مع ظهور أول المغاوير خارج الأبواب الزجاجية المقفلة . حمل المدافعون تشكيلة من الأسلحة تتماشى مع أزيائهم المتنافرة – ارتدى أفراد الطواقم المتخصصة صداري مضادة للرصاص ، ولم يلبس أولئك الذين كانوا جالسين إلى مكاتبهم أياً منها . حملوا في أيديهم مسدسات آلية ، بنادق خرطوش ، وعدداً لا بأس به من الرشاشات ذات العيار الصغير – غير كافية للشرطة حتى يقتنعوا بها ، ولكنها كافية لتجعل أي عدو يفكر مرتين فيما إذا كان ينوي أن يشتبك معهم .

لقد حضر هذا العدو مستعداً ويحمل كبشاً حديدياً لدك الأبواب ، ومما ساعدهم ليس فقط حقيقة امتلاكهم رسومات تفصيلية للطابق

الأرضي لمديرية الشرطة وأنظمة الأمن ، ولكن معظم الرجال الذين يحاولون الآن الاستيلاء على المبنى يعرفون تفاصيل المبنى ؛ لأنهم سبق وأن زاروه أو حتى عملوا في مكاتبه في الماضي .

كان المغاوير قد قرروا شن هجوم جبهوي أمامي ، وبينما هم يركضون ليتخذوا مواقعهم ، حاول الشرطة في الداخل والممر أن يحصنوا الباب بمقاعد ثقيلة سحبوها من أمكنة الانتظار المختلفة القريبة . بدت جهودهم وكأنها تستحق المخاطرة عندما ظهر المغاوير في الخارج يحملون أكباش الدك وبدأوا يضربون الزجاج المسلح

اضطر رجال الشرطة إلى الجلوس والمراقبة بينما يقوم الجنود بعملهم - لأن رصاصاتهم لن تخترق الفاصل ، والاحتمال أكبر أن يصاب بعضهم بعد أن يرتد الرصاص عن الزجاج بدلاً من إصابة العدو

صاح أحدهم «من هم هؤلاء الأشخاص؟»

«يقول الراديو إنهم من جهاز FETO» أجاب شرطي آخر ، والعرق يتنزل على وجهه

استمر الدق بالكبش وأخذ زجاج الباب يبدو مثل الجليد المحطم وهو يتداعى . غطى المغواران الموجودان عند الباب نفسيهما بدرع أسود مقوى يخفي كل شيء ، ما عدا منظر المطرقة الحديدية التي استمرت في التأرجح إلى الأمام والخلف

«حسناً ، لماذا يقوم الـFETO بمهاجمتنا؟»

«لا يهم -» انحنى الشرطي الثاني فوق نقاط التصويب في بندقيته «فهم لن يحرزوا أي تقدم»

في تلك اللحظة بالذات ، انهار زجاج الباب وانفتحت فيه فجوة

قطرها حوالي ست بوصات عند المنتصف .

«استعدوا لإطلاق النار !»

تصالب رجال الشرطة . جاءت يد من خلف الدرع تحمل قطعة معدنية أسطوانية . ألقت الاسطوانة عبر الزجاج ، وألحقتها سريعاً بأسطوانة أخرى . قنابل صوتية !

«الى الأرض . الجميع ألقوا بأنفسكم إلى الأرض !»

انفجرت القنبلتان الصوتيتان وملأتا الفسحة الكاملة بضياء خارق يعمي الأبصار ، وهدير ساقط ضرب طبلات آذان جميع الحاضرين أشبه بضربة مطرقة خشبية على طبل

منح الشلل الذي سببته المتفجرتان فرق المغاوير الفسحة الأمنية التي يحتاجون إليها لاقتحام الباب ، توسيع الثقب الذي أحدثوه مسبقاً ، وإيجاد فتحة في الباب الرئيس لمديرية الشرطة تتسع لمرور رجل من خلالها تمكنوا من الدخول ، واستطاع الأوائل منهم أن يعثروا على ما يحميهم ويفتحوا النار على الشرطة الذين مازالوا في حالة ذهول .

«أطلقوا ! ردوا على النيران ، عليكم اللعنة !» رفع الشرطة أنفسهم بمنتهى الصعوبة وبدأوا يطلقون النار في الاتجاه العام للبوابة ، بطريقة غريزية أكثر منها تصويب محدد ، فأخذت الطلقات تجيء على شكل تيار ثابت ، تؤكد على لحنها كل ثلاث أو أربع نغمات ، طلقة من بندقية الخرطوش . سقط المغوار التالي الذي عبر الباب إلى الخلف ورقد بلا حراك ، قام رفاقه باستخدام الدرع الأسود كغطاء لهم وسحبوه من ذراعيه ، واحتل رجل آخر مكانه . أصبح المهاجمون الآن في الردهة بأعداد أدت إلى نشوب معركة نيران حامية الوطيس - ترتد الرصاصات عن كل سطح متاح ، والرجال يتساقطون من الجانبين . لم

يكن أي منهما يريد أن يتراجع حتى يرتفع معدل الإبادة ليصبح عالياً إلى درجة تمكن أحد الجانبين من إخضاع الخط الآخر، وهكذا استمر القتال .

***

كانت هاندة فيرات تحضر نفسها لإنهاء برنامجها على قناة CNN التركية في ليلة الجمعة والمخصص للبحث النقاشي حينما أتاها صوت المنتج من خلال سماعة أذنها

«لا تؤدي المقطع الأخير ! أنهي هذه العبارة وبعدها اذهبي إلى فسحة إعلانية !»

لأنها غير قادرة على إظهار اضطرابها في الوقت الذي استمرت فيه بهز رأسها موافقة على نقاط ضيوفها، والبرنامج ما يزال يبث حياً على الهواء، أصبح الدليل الوحيد على وجود أي مشكلة بالنسبة للكاميرا، هو نظرتها الجانبية إلى غرفة الرقابة، الأمر الذي جعلها تبدو وكأنها تنظر إلى المشاهد مباشرة لنصف ثانية، بعد ثلاثين ثانية حصلت على فسحتها والتفتت إلى الكاميرا رقم واحد . «وحتى نأخذ استراحة من وقتنا المبرمج، سوف يتم استئناف بحثنا بعد هذه الوقفة الإعلانية» . حصل توقف مربك بينما أطلق المخرج الإعلانات، ولكن مديرة الأستديو أعلنت أنهم لم يعودوا على الهواء، وتلفتت حولها «ما الذي يجري؟»

ركض روشتو، منتجها إلى داخل الاستديو متجهاً نحو طاولتها مباشرة، وقد حمل هاتفه عالياً .

«هناك أمر يحدث ! إن الجيش منتشر . إنهم في كل مكان !»

«أين؟» تناولت هاتفها الآيفون على الفور .

«هنا، في إستنبول. وعلى ما يبدو في كل البلاد. هناك قتال في مبنى البرلمان»

«ولكن ذلك على بعد دقيقتين من هنا!» أخذت بقية الطاقم تتوتر لدى رؤيتهم هاندة والمنتج مذعورين إلى تلك الدرجة

«لقد تم قصف مبنى الـMIT» كان روشتو ينظر إلى هاتفه

«هل تم القصف بشاحنة؟ أم هو مفجر انتحاري؟»

اتخذ وجهه صبغة جادة حزينة «بل هو من الجو»

«ماذا؟» عندما لاقت فيرات صعوبة في جعل أصابعها تفعل ما تريده، ضغطت على رقم والصقت الهاتف بأذنها

سألها روشتو «من هو الذي تتصلين به؟»

قالت «نوح يلماز. هو رجل الصحافة لدى MIT. سوف يعرف ما يجري»

رن الهاتف لفترة طويلة. عندما ذهب إلى البريد الصوتي، عاودت فيرات الاتصال وانتظرت. قالت لروشتو «أبقِ الدعايات حتى أتمكن من إجراء الاتصال. وبعد ذلك حاول أن تحمّل شيئاً لأقوله في التلبرنتر. تعليقات ردود فعل. ذلك هو ما نحتاجه، ماذا قال الرئيس؟»

«لا شيء» قال روشتو «لم يسمع منه أحد أي شيء وقد بدأ الناس يطرحون أسئلة»

«أي نوع من الأسئلة؟»

لم يتسن لروشتو أن يقدم لها أي جواب؛ لأن نوح يلماز أجاب على هاتفه في تلك اللحظة بالذات. رفعت هاندة يدها لتسكت روشتو «نوح؟ ما الذي يحدث؟»

جاء صوت السكرتير الصحفي هادئاً، لكن القلق تسرب من

خلال تقديمه الهادئ الواثق في العادة «لا أعرف يا هاندة» .

«ماذا؟ ما الذي يفعله هاكان فيدان؟»

«إنه يعمل من داخل مكتبه . هنا مقر معركة . مهما كان الذي يحدث فهو هائل»

«هائل ، كيف؟»

«لا أستطيع أن أصرح قبل أن يطلق رئيس الوزراء تصريحه . لقد كلمه هاكان قبل فترة قصيرة . يجب أن تحاولي إيصال شخص ما إلى هناك إذا لم تكوني قد فعلت حتى الآن»

«ولكن يفترض أن هناك قتالاً ناشباً» قالت هاندة وهي تنظر إلى روشتو «نوح ، ما هذا الذي يقال عن مهاجمة البرلمان والـ MIT؟ قنابل؟ من الطائرات؟»

«لا أستطيع أن أقول المزيد يا هاندة» كان نوح يقف في الممر خارج مكتب هاكان فيدان ، وأصبح بوسعه أن يرى المدير يشير له بالدخول . كان هناك حشد من منتسبي الأمن والعسكريين في الداخل . وقفت إيدا ، سكرتيرة فيدان تلوح له وكأنه واقف يحجب عنها رؤية برنامجها التلفازي المفضل . قال «أنا مضطر للذهاب . سوف أعاود الاتصال بك» .

«اعمل على معاودة الاتصال يا نوح» قالت هاندة «الناس بحاجة إلى معرفة ما يحدث» ، أنزلت الهاتف وانطلق روشتو راكضاً إلى غرفة المراقبة

صاحت وراءه «أبقه عاملاً ، لن نتوقف حتى ينتهي الوضع !»

سطعت أنوار كشافات المروحيات على بناية TRT المهيبة ذات الطوابق الأربعة عشر في شارع توران جونيش ، فهذا مركز البث الوطني التلفازي والراديوي منذ العام ١٩٦٤ ، حيث أخذت شاحنات وجيبات

الجيش الخضراء تتوقف فجأة مع أصوات مكابح قوية ، وبدأت طوابير الجنود تنزل وتنتشر داخل البناية وحولها . جرى إبعاد البواب بعنف بعيداً عن طريقهم ، واندفع الجنود في البهو وهم يصيحون أن على جميع الموجودين أن ينبطحوا على الأرضية ويضعوا أيديهم على قفا رؤوسهم . تحرك الأنفار المرتدون الخوذ لتأمين المصاعد والدرجات . عندما رفعت موظفة الاستقبال سماعة أحد الهواتف ، اتجه إليها أحدهم ، أخذها من يدها وأعادها إلى طاولتها بكل لطف . صعدوا إلى جميع الطوابق الواحد تلو الآخر وفتشوا كل غرفة ليخرجوا كل شخص مازال متواجداً في البناية في تلك الساعة المتأخرة ، ويدفعوه نازلاً الدرجات أي شخص حاول أن يتكلم أو يتفاهم معهم تم دفعه بخشونة وسحبه حتى ينضم إلى الآخرين

اندفع الجنود إلى الطابق الثاني قبل الأخير حيث يوجد الاستديو ، وهناك حشروا المعتقلين في قاعة الاجتماعات . كانت القناة تبث فاصلاً إعلانياً عندما وصلوا إلى الاستديو نفسه ، كانت مذيعة الأخبار تيجين كاراس تقلب أوراق الملاحظات على طاولتها ومدير الساحة يتفحص لائحة ملاحظاته . راقب هو والمصور الحائر بينما دخلت ما بدت مثل كتيبة كاملة إلى ساحة عملياتهم وبدأت تنبح بالأوامر ، الجميع يتحدث مقاطعاً الآخر ولا شيء واضحاً سوى فوضى الأصوات . عندما اقترب الجنود ، أزال المصورون أيديهم عن الآلات وتراجعوا ، بينما دفع مدير الساحة سماعاته وأنزلها إلى رقبته ورفع يديه

صاح بهم «ما هذا بحق الجحيم؟»

زعق أحد الجنود في وسط وجهه «انزل على الأرض وانبطح !»

فارتمى الرجل على بطنه وكأنه أصيب بطلقة . تبعه كل شخص في الاستوديو ، بمن فيهم تيجين كاراس .

***

كان شريط كتم الصوت قد أزيل عن فم خلوصي أكار ، في غرفة الاستجواب العارية من الأثاث داخل قاعدة سلاح الجو في التشيني ، وكذلك ربطة عنقه ورباطات حذائه وسترته . وقف بقميصه واضعاً يديه على الطاولة المعدنية المخدشة في وسط الغرفة وأدار رأسه من ناحية إلى الأخرى .

قال من خلال أسنانه المطبقة بحدة «لن أوقع على أي شيء . وأنا أطالبكم بإطلاق سراحي»

وقف محمد ديشلي إلى جانب أكار ، ويده تدفع صفحة الورق باتجاه القائد . وقف ثلاثة ضباط ضخام خافرين في نصف دائرة خلف أكار ، قريبين إلى درجة أنه كان بوسعه أن يشعر بوجودهم رغم أنه يدير ظهره لهم

«سوف توقع على هذه الورقة ، أيها القائد» قال ديشلي

«وأنا أقول لك إنني لن أوقع . فهذا عصيان» ارتفع صوت أكار غاضباً

«كلا» نفض ديشلي رأسه «هذا تقصير في الوظيفة حضرة الجنرال . يقوم الجيش بتأدية دوره التاريخي في الحفاظ على الدولة لقد تأسست تركيا على أساس جمهورية وسوف تبقى جمهورية . إن جنودنا الشجعان يخاطرون بأرواحهم في هذه اللحظة . ألا تقف معهم؟»

«ذلك هراء» قال أكار «الجمهورية؟ أنا أعرف أنكم جميعاً من ال

FETO ، لذلك لا تكوم الأكاذيب فوق الخداع» أمسك أحد الرجال بياقة أكار وعصرها ، لكنه حرر نفسه

رفع ديشلي يده وأوقف الرجل «هؤلاء الرجال تحت قيادتي ،» استطرد أكار وهو يستعيد السيطرة على أعصابه «وأنا لم أصدر مثل هذا الأمر حتى يقوم الجيش بتأدية دوره أو مهما كان الأمر الذي تتخيل نفسك تقوم به . لن أوقع على أي شيء ، وأقولها مرة أخرى - هذا عصيان»

اتخذ ديشلي خطوة إلى الوراء «هل ستتخلى عن رجالك وتتركهم بلا قيادة ، في الوقت الذي يتم فيه تهديد الدولة من قبل قوى ترغب في تدمير الأسس التي تأسست عليها؟»

تناول حزام أكار عن الطاولة ولفه حول أصابعه مثل وصلة مفصلية نظر أكار إلى الحزام ثم رفع عينيه نحو ديشلي ، الذي كان في هذه اللحظة يبتسم . «وهل تتخلى عن منصبك في وسط المعركة ، أيها القائد؟»

***

جلست تيجين كاراس خلف طاولتها مرتدية سترة زرقاء تحتها كنزة سوداء ، تحدق أمامها مباشرة ، ترمش عيناها كل لحظة . فضحت عيناها خوفها وصار كل كيانها يرتجف .

رغم ذلك ، وبرغم كونها رقدت على الأرضية حينما اندفعت الوحدات المسلحة إلى الغرفة ، واقتيادها إلى غرفة جانبية حيث تم احتجاز بقية الطاقم ، ثم أجبرت على العودة إلى غرفة الأخبار ، وبرغم الحضور المستمر للجنود المدججين بالأسلحة أمام طاولتها مباشرة ، بين الكاميرات ، بقي شعرها الأشقر ومكياجها مثاليين . مدت يدها خلف

طاولتها ، تناولت قارورة ماء وأخذت منها رشفة . هدأ الماء من روعها وعندما سأل مدير الساحة بصمت ما إذا كانت على ما يرام ، رفعت له ابهامها

«سنكون على الهواء في عشرة» مال نحوها من تحت عدسة الكاميرا الأولى «هل أنت على ما يرام يا تيجين؟»

أعادت قارورة الماء ، جلست منتصبة الظهر ومنحته إيماءة قصيرة . انتصب واقفاً ورفع يده «عشرة ، تسعة ، ثمانية . . .» ألقى نظرة باتجاه الجندي ذي الوجه النحيل الواقف إلى جانبه ثم تحول عنه «سبعة ، ستة ، خمسة . . .» سحبت تيجين نفساً طويلاً من خلال أنفها وأخرجته عبر فمها بمنتهى البطء «أربعة ، ثلاثة . . .» أحصى مدير الساحة الثانيتين الأخيرتين بصمت ، يشكل الكلمات بفمه ويشير بأصابعه . انطلقت دفعة موسيقى قصيرة ثم ساد الصمت بينما تحدق تيجين في الكاميرا . ارتعشت شفتها السفلى قليلاً ، لم تكن الملاحظات التي تقرأها قد جرى تحميلها في الحاسوب الملقن المرئي إلا بصعوبة ؛ لأن الجنود أحضروا نسختهم الوحيدة من الإعلان عبر الهاتف ، لأنها أقصر من أن يمكن قراءتها على الهواء . ارتعدت هي والآخرون بينما استمر الجنود يزعقون ويصرون على أن مادتهم كافية في نهاية الأمر ، تمكن أحد الفنيين من معالجة المشكلة يدوياً وها هي الآن ، على وشك أن تقرأ البيان الذي لم تسمعه من قبل أبداً ، في موقف لم تفهم منه شيئاً . الساعة قبل منتصف الليل بعشر دقائق . بدأت الكلمات تخرج ، بصعوبة لكن بتصميم دقيق .

قرأت «إنها رغبة وأمر القوات التركية المسلحة أن يذاع هذا التصريح على جميع قنوات الجمهورية التركية . . .»

مدت ذراعا خلوصي على أقصى طولهما إلى جانبيه في غرفة الاستجواب بقاعدة التشيني ، وجرى الإمساك بهما بقوة بينما التف حزامه حول رقبته واشتد ، بحيث كاد يخنقه . جحظت عيناه مع انقطاع الأوكسجين عن دماغه ببطء ، فيعمد معذبوه إلى إرخاء الأنشوطة ، ليسمحوا له بسحب نفس ثم يبدأوا العملية مرة أخرى .

«لقد تم إخضاع مواطني الجمهورية التركية الأكارم بشكل نمطي إلى تجاوزات دستورية وقانونية تهدد المقومات الأساسية والمؤسسات الحيوية للدولة» . استمرت تيجين تقرأ «بينما خضعت جميع مؤسسات الدولة ، بما فيها القوات التركية المسلحة ، إلى محاولات لإعادة تشكيلها على دوافع عقائدية ، بحيث تجعلها غير ملائمة لغايات . .»

في مبنى القيادة العامة للشرطة ، كان وجه تيجين ينظر من فوق إلى معركة دائرة بالبنادق في الردهة من تلفاز معلق ، نجا بأعجوبة من رصاصات التوجيه وألسنة اللهب المتطايرة والمتصاعدة في كل نقطة حول المدافعين المبتلين .

في ساحة التقسيم بإستنبول ، راقبها الناس في بث حي ومباشر على هواتفهم ، وهم يرفعون رؤوسهم كل فترة لينظروا إلى صف الجنود الذين تجمعوا عند أسفل نصب الجمهورية . في كل مرة اقترب فيها أحد المراقبين الأكثر فضولاً ، أكثر مما يستحب أو طرح سؤالاً ، كان يتم دفعه إلى الوراء بخشونة

«لقد تم إلغاء الحقوق الأساسية والحريات ، بالإضافة إلى البناء الديمقراطي المدني المؤسس على فصل السلطات من قبل الرئيس المضلل الأرعن وحتى المخادع ومسؤولي الحكومة . لقد فقدت دولتنا سمعتها الدولية المستحقة وتحولت إلى دولة تحكمها دكتاتورية مبنية

على الخوف حيث يتم فيها تجاهل حقوق الإنسان . . .»

رفع أحد الجنود في ساحة التقسيم بندقيته بدون إنذار ، وأطلق النار ، بحيث بعثر جميع المتفرجين وحتى أجبر رجال الشرطة القريبين على الاختباء لحماية أنفسهم . بقي وجه تيجين كاراس ينظر إلى فوق من الهاتف الذي سقط على الرصيف .

«لقد أدت القرارات الخاطئة التي اتخذتها النخب السياسية إلى الفشل في محاربة الإرهاب المتنامي ، الذي حصد أرواح العديد من المواطنين الأبرياء وأفراد قوات الأمن الذين كانوا يقاتلون ضد الإرهاب» استمرت في القراءة ، ليجيء صوتها رناناً لخروجه من مذياع الهاتف المغرق في الصغر

أدت الأسطر الأخيرة في صمت ، لأن أي صوت يستطيع التلفاز أن يخرجه قد جرى إغراقه بضجيج الرصاص والقنابل اليدوية على أجهزة المرقاب .

توقف جميع المدافعين المنبطحين على الأرضية في مديرية الشرطة ، ورفعوا رؤوسهم متسائلين عن الصوت الجديد . همسة أنين منخفضة ، ثم طنين أشبه بصافرة كلب ، تتنامى في الحجم واللحن حتى تحولت إلى نحيب يزأر - أخذ المهاجمون يتراجعون ، لكن الممرات الواقعة خلف رجال الشرطة كانت قد اشتعلت ، فلم يعد لديهم مكان يذهبون إليه . ضربت القذيفة الصاروخية المدخل الأمامي لمديرية الشرطة موجهة إصابة مباشرة - قذفت المدافعين إلى الوراء ودمرت كل ما بقي من تحصيناتهم المفتعلة

عاود المغاوير الهجوم مع صرخات خشنة ، يركضون عبر الحطام ويطلقون النار على المدافعين المذهولين خلفها . بدأوا يكسبون الموقع

ببطء ولكن بثقة وينطلقون إلى داخل المهاجع

رقد الجنرال خلوصي أكار على أرضية الغرفة المنسية في قاعدة التشيني نصف واع ، ما زال الحزام معلقاً برخاوة حول رقبته مثل ربطة عنق غرائبية . وجههُ مدمى وعيناه غائرتان . استطاع من خلال شقوق إبصاره الرفيعة أن يميز الأشكال المبهمة لأقدام معذبيه المستمرة في التجول حوله استداروا واحداً إثر الآخر ومضوا خارجين ، تاركينه وحيداً على الأرضية الإسمنتية

الفصل الثاني والعشرون

أصبح ستيف على وشك أن ينهي تناول طبق السلطة الابتدائي في غرفته بالفندق ، ويهم برفع صينية الغطاء عن طبق شريحة اللحم حينما رن الهاتف الموجود إلى جانب سريره . كان قد تعمد الابتعاد عن التلفاز منذ لحظة وصوله ووضع هاتفه الخلوي في حالة الصامت - هو لا يغلقه أبداً - بداخل كيس السفر . أراد أن يختلي بنفسه لبعض الوقت حتى يجمع شتات أفكاره ويتصرف مثل إنسان عادي قبل أن تبدأ الألعاب النارية في ساعات الصباح الأولى نظر إلى ساعة يده . ليس من الممكن أن تكون حملة جمع التبرعات من قبل السناتور قد انتهت في هذا الوقت الباكر من المساء .

استمر الهاتف في الرنين ، مع نصف توقع أن يدرك المتصل بغض النظر عن شخصه ، أنه قد أخطأ ويغلق الخط . عندما لم يحدث ذلك ، مسح شفتيه بمنديله ونهض ليرد عليه

«هالو؟»

«لماذا لم تتصل حتى الآن؟» المتصل هو هاوي السياسة الغبي . لم يكن ستيف قد أتعب نفسه بتعلم اسمه حتى اللحظة

«الواقع أنني كنت أحاول أن أتصنع الثقل عليك بعد موعدنا الغرامي الأول يا حلوتي» قال ستيف .

«وهل تظن أن هذا هو الوقت الملائم لتتصرف مثل ممثل كوميدي؟

اصعد إلى هنا . الآن» . صمت الخط ، تاركاً ستيف يحدق في الجهاز أعاد الهاتف إلى مكانه ببطء ، تناول بطاقة مفتاح الغرفة وغادر الغرفة ، وهو يعدل من وضع سترته أثناء ذهابه

استقل المصعد صاعداً إلى طابق السناتور وأبرز بطاقة هويته لرجلي الأمن من الخدمة السرية الواقفين عند الباب . اتخذ سبيله داخل الجناح عبر منطقة الجلوس إلى غرفة النوم ، حيث وجد السناتور ومساعديها الإمعتين في موقعهما الذي أصبح الآن اعتيادياً حول التلفاز . ظهرت على الجهاز صورة لما بدا أنهم جنود أتراك بشكل واضح ، منتشرين على طول أحد جوانب جسر البوسفور

«لماذا أنا أراقب هذا؟» وقفت السناتور عاقدة ذراعيها فوق فستانها الأحمر . هو ضيق ويحتضن قوامها بشدة كما لاحظ ستيف أنه يكشف عن صدرها أكثر من الأطقم التي ترتديها في العادة . لابد وأنها ليلة مميزة بالنسبة لها . انتابه شعور بأنها لم تتوقع أن تتم مشاهدتها من قبل أي شخص من خارج دائرتها المباشرة حينما أرسلت مساعدها ليتصل به ويستدعيه . فكر بسرعة

قال «لابد وأنهم اضطروا إلى التحرك في وقت أبكر . لقد كانت احتمالية إبقاء العملية سرية مع وجود هذا العدد الكبير من اللاعبين والمتغيرات ضمن اللعبة»

«هل كان هذا الإجراء ضمن التقييم الأصلي؟» ألقت بكلماتها عليه كما تلقى الأشواك ، وكل كلمة يفترض فيها أن تستفزه . «أنا لا أذكر أننا بحثنا في احتمالية أن نقف هنا ، الآن في منتصف المساء - نراقب حدوث كل شيء أبكر من وقته بثماني ساعات»

«حسناً ، لم يعد هناك ما يمكن عمله بهذا الشأن الآن» . استند

ستيف إلى الجدار «لقد كانوا يعملون ضمن إطار زمني محدود . كل شيء يبقى على حاله . الأمر يحدث في وقت أبكر ، هذا كل ما هنالك . الشاحنة تسير على الطريق» .

«ستكون حركة السير أكثر كثافة بكثير في هذا الوقت من النهار» . نظر ستيف إلى السياسي الهاوي الغبي الذي كلمه على الهاتف «يمكنك أيضاً أن تقول بأن صبيانك قد خرجوا في منتصف ساعة الازدحام»

«ما هو اسمك مرة أخرى؟» سأله ستيف .

«كيپ»

«حسناً يا كيپ ، يبدو أنهم يسيطرون على الوضع تماماً» . قال ستيف .

سألت السناتور «وماذا عن الشخصية الرئيسة؟»

«سيكون مارمريس طالما أننا لم نسمع أي شيء بعكس ذلك . فهل سمعنا؟»

انتصب ستيف وعقد ذراعيه «حسناً» قال عندما لم يرد عليه أحد منهم «في هذه الحالة سوف نفترض أن الهدف الرئيس لن يتحرك إلا إلى المنفى . فهو ليس لديه مكان يذهب إليه»

«نحن لن نتحرك إلا إذا تلقينا التوكيد . مع الصور . لا إعلانات حتى ذلك الوقت . لقد قرأوا لتوهم شيئاً صادراً عن الأخبار التركية إنهم يسمون أنفسهم لجنة السلم في الوطن» .

«مثير للإعجاب» ابتسم ستيف . «حسناً ، إذا كانوا مستمرين في إصدار الصور . ذلك يعني - مما يمكنني أن أراه - أن الجيش قد استولى على تلفاز الدولة وربما حتى محطات الراديو أيضاً»

«هل يدركون أننا لسنا في عام ألف وتسعمئة وأربعة وثمانين اللعين؟»

انفجر كيپ . توقف ستيف عن الكلام لينظر إليه . «لم تعد هناك مجرد قناة واحدة في البلاد» . استمر «كل بيت لديه لاقط قمر صناعي الآن . لديهم هواتف قادرة على الوصول إلى كل مصدر أخبار على الكوكب . ذلك هو سبب شعبية أردوغان . لقد ارتفعت مقاييس مستوى المعيشة» .

تدخل المساعد الثاني ، مع مزاج أكثر هدوءاً مرسوم على ملامحه . «عندما استولى أردوغان على السلطة ، كان الأتراك يعيشون في مستوى السوريين ، والآن هم يعيشون في مستوى الإسبان»

تلفتت السناتور باتجاههم كلهم «وماذا عن ذلك؟»

«ما يقولانه بكل هذه الكلمات هو أن المخططين كان يجب أن يستولوا على مركز الاتصالات» شرح ستيف «ذلك هو التركسات - وذلك هو الذي يغرق كل المكان في الانقطاع التام . لن نكون قادرين على رؤية أي من هذا الآن ؛ لأن الموجات وكل الإشارات لن تكون موجودة حتى تتمكن من البث . بدلاً من ذلك ، يبدو أنهم استولوا على ستوديو تلفزيوني هو TRT ، بينما هناك عشر محطات أخرى مازالت تذيع وتخرج موادها» .

«وهكذا فقد استولوا على NBC ولكنهم نسوا موضوع فوكس؟»

هزَّ ستيف رأسه «بالضبط»

«إضافة إلى أنني أسمع أن هذا الشيء المدعو الانترنت قد اكتسب شعبية واسعة بين الصبية» جاء صوت كيپ مثل فتى ساخر في الرابعة عشرة من عمره . قرر ستيف أنه يحتقر هذا الرجل . «أما من

الناحية الإيجابية» قال الهاوي السياسي الثاني «هناك تقارير كذلك تقول إنهم احتجزوا كل الجنرالات الذين يحتمل أن يترددوا تقريباً ، ولكن لا يمكن تأكيد هذا الخبر . لديهم فرق منتشرة وتقوم بتمشيط كل من أنقرة وإستنبول . آخر خبر يقول إنه تم احتجاز قائد البحرية على متن سفينة . لكن ذلك لم يتأكد بدوره» .

اخترقت عينا السناتور عيني ستيف «هل أخطأوا في طلقتهم؟»

نظر ستيف إلى تحت باتجاه الشاشة والجنود الثابتين بلا حراك ثم إلى ساعته

«كلا ، يبدو أنهم منظمون بدرجة جيدة» جاء قراره «ذلك يكفي بالنسبة للوقت الحالي ، ويحتمل أن يستميل بقية الرتب إلى الحركة لكنهم بحاجة إلى تأمين الشخصية الرئيسة ، رأس الحكومة . ذلك هو المفتاح لجميع الانقلابات الناجحة . وبعدها الخزينة ، ولكننا نعرف على الأقل أن لديهم التمويل . الرئيس هو المفتاح»

«يتمتع أردوغان بشعبية» قال السياسي الثاني «ما زال يكسب الانتخابات الحرة ، ولذلك فإن التأييد متوفر»

«كيف ستتم ترجمة ذلك التأييد؟» تناولت السناتور جهاز التحكم وبدأت تقلّب عبر القنوات الإخبارية كلها تعرض الصور نفسها عن إستنبول

«لقد امتلك مرسي والإخوان المسلمون الدعم الانتخابي وقد خرج الشعب المصري ليدعمهم»

قال كيپ «لكنهم لم يكونوا مؤثرين وما زال السيسي يمتلك السلطة في مصر»

«ويحدث حمام دم آخر؟» قال ستيف «تركيا ليست مصر ولا

أعتقد أنه ستتم السيطرة على الصرخة لو رأينا الناس يقتلون بالرصاص على الشوارع الواقعة على عتبة أوروبا»

«قد يصل الأمر إلى ذلك الحد» قال الهاوي السياسي الثاني بصوت خالٍ من الحيوية

قال ستيف «لن أتمكن من التدخل إذا وصل الوضع إلى ذلك الحد . اسمع ، كل ما عليهم هو إلقاء القبض على أردوغان . اقبض عليه وبعد ذلك ستقع كل العوامل في مكانها»

«آمل أنك على حق» . قالت السناتور . توقفت وتلفتت حولها «إذاً لماذا لم يقبضوا على أردوغان حتى الآن؟»

تبادل الجميع النظرات ولكن أحداً لم يقل أي شيء .

***

لم يظهر الاشتباك بالأسلحة النارية في ساحات مركز القيادة في جولباشي بين بقايا مجموعة تيرزي التي أصبحت الآن تحت قيادة فاتح شاهين والموظفين الذين كانوا متواجدين في المبنى وقت وصولهم ، أي إشارة على التراجع . لم يكن أفراد القوات في الخارج قد استعدوا لعملية حصار أو عملية مقاومة ، فلم تكن لديهم الوسائل اللازمة لاختراق أبواب المبنى ، ولذلك اكتفوا بإطلاق النيران بشكل متقطع والاحتفاظ بمواقعهم في الساحات الخارجية ، على أمل أن تصل التعزيزات بواسطة الطائرات العمودية وتوفر لهم الوسائل التي تمكنهم من الدخول إلى غرفة السيطرة ذات الأهمية الحيوية

جلس فاتح شاهين على الأرض مسنداً ظهره إلى الجدار ، محتمياً بمبنى خارجي ، بصحبة ثلاثة رجال آخرين ، ونظر إلى الوجه الظاهر على شاشة الهاتف أمامه . ذلك هو وجه محمد ديشلي ، الموجود في

وسط الهنجر داخل قاعة سلاح الجو في التشيني . وقف خلفه عدد من الضباط ذوي الرتب الرفيعة ، والذين تعرف شاهين عليهم . تجول الطيارون وأفراد الطواقم الأرضية في الأنحاء وخلف هؤلاء ، يعملون بأقصى جهودهم لتهيئة طائراتهم وإرسالها للتحليق في الأجواء .

«ما هي وضعيتك؟» سأل ديشلي .

«نحن عالقون في المكان وقد توفي تيرزي» . قال شاهين . ألقى بنظرة نحو الرجلين إلى جانبيه ، وهما يسترقان النظرات من زوايا المبنى الخارجي . انهمك الثالث في الضغط على أرقام هاتف ضخم مغلف بالمطاط . «لقد كان لديهم علم مسبق بأننا قادمون »

«أنا على وشك إرسال الدعم» قال ديشلي «احتفظ بموقعك . بدون ذلك المبنى سنكون متفرقين على طول البلاد وعرضها ، ولن تعرف إحدى اليدين ما تفعله الأخرى . ما هو الوضع بالنسبة لفريق الاسترداد؟»

«لم نتمكن حتى الآن من فك رموز هاتف تيرزي والوصول إلى رقم سوغميزأتيش الخاص . لن يتحرك باتجاه رئيس الجمهورية إلا إذا سمع أننا اضطررنا إلى التحرك مبكرين» .

كشف ديشلي عن أسنانه مغتاظاً «فك شيفرة ذلك الهاتف»

«نعم سيدي» قال شاهين .

أغلق شاهين الخط . ندت عن الضابط صغير السن الذي يحمل هاتف تيرزي صرخة نصر وكأنها من فعل السحر ، في اللحظة نفسها التي وضع فيها شاهين هاتفه ، ورفع الهاتف إلى أعلى :

«لقد دخلت إليه !» صرخ فوق ضجيج الطلقات النارية على الجانب الآخر من المبنى . تناول فاتح شاهين الهاتف بقوة وفتح اللائحة

ثم ضغط على زر التخابر . ردَّ سونميزأتيش عند الرنة الثانية . بعد ثلاثين ثانية ، اندفع أفراد فريقه الخاص خارجين من مكان اختبائهم تحت الأرض وبدأوا يتجهون نحو المروحيات ، بينما ركض سونميزأتيش خلفهم والهاتف ملتصق بأذنه ، وفاتح شاهين يخبره بكل ما حدث على مدى الساعات الماضية . تسلق آخر وأهم فريق من المغاوير إلى داخل مروحياتهم البلاك هوك التي التفت فوق التلال المحيطة بإزمير ، بينما تتراقص أنوار تلك المدينة القديمة في السماء الحمراء السوداء المرصعة بالنجوم .

في الوقت نفسه ، وفي موسكو البعيدة - كان جون كيري ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، يخوض في مؤتمر صحفي مشترك مع سيرجي لافروف ، وزير الخارجية الروسي .

«هل لديك أي تعليق حول الأحداث الجارية في تركيا حالياً؟» سأله المراسل الصحفي الأول .

أفرد كيري يديه بطريقة تنفي أي مسؤولية أو انغماس «اعتقد أنه من غير اللائق بالنسبة لي أن أعلق إلا بالقول إننا سمعنا التقارير التي سمعها الآخرون ، ليست لدي أي تفاصيل في هذه النقطة من الوقت . آمل أن يحل الاستقرار والاستمرارية و ، آه ، السلام ، داخل ، آه ، تركيا . آه ولكن ليس لدي شيء أضيفه فيما يختص بما حدث في هذه اللحظة . أشكرك»

في لندن ، كان المذيع الوقور محلل الجهاز الوظيفي في الشرق الأوسط بعيداً عن الكاميرات .

جلس كلا الرجلين مستندين إلى الوراء بطريقة عفوية وغير متأثرين بصور الجنود الذين يستولون على المباني الحكومية وإطلاق

النيران من الجو في أنقرة .

قال المحلل «عند هذه النقطة ، يبدو الوضع وكأن هذه المحاولة للاستيلاء على السلطة ووضعها في أيدي العسكر منظمة بدرجة جيدة ، وأن المخططين يعرفون ما يفعلونه . المؤشرات تشير بكل وضوح في الوقت الحالي ، إلى نجاحها» .

حفزه المذيع «ألم يصدر أي كلام عن الرئيس أردوغان حتى الآن؟»

«كلا . وكل ما طال أمد ذلك الصمت ، يصبح الاحتمال أقوى بأن القوى المعادية لأردوغان ستبقى مسيطرة على الأوضاع . أعتقد أننا ننظر إلى تحول زلزالي آخر في سياسات الشرق الأوسط ، يتماشى مع ذلك التحول الذي حدث بسقوط صدام حسين ومعمر القذافي والسقوط الموشك لعائلة الأسد . ناهيك بالطبع ، عن الإقصاء الحديث لمحمد مرسي رئيس مصر»

«ولكن أليس هذا شيئاً جديداً بالنسبة لتركيا؟»

«كلا ، كلا ، ليس جديداً» هزَّ المحلل رأسه «لقد دأب الجيش على فرض العلمانية منذ زمن طويل ، ويبدو لنا نحن الأجانب أن ذلك هو ما يحدث هنا . لقد خافوا من أن يصبح أردوغان طاغية آخر . ولذلك ، فإنه بالنسبة للعديدين ، هذه عودة إلى زمن المستقبل»

أراح المذيع خده على براجمه ورفع حاجبيه «العمل كالعادة؟»

«يبدو الوضع هكذا ، نعم» .

اهتز هاتف ستيف داخل جيبه فأخرجه . استغرقت عملية فك الشيفرة عشر ثوان وبعد ذلك اضطر إلى وضع النص عبر مترجم . عندما أصبح النص جاهزاً ، قرأ وبعد ذلك أعاد القراءة . نظر إلى

التلفاز . جون كيري ما زال يتلقى الأسئلة مع وزير الخارجية الروسي

«لدى الروس تفاصيل حول مارمريس» قال بصوت عال بما يكفي ليسمعه كل من في الغرفة

رفعت السناتور رأسها عن الأوراق التي كانت تستعرضها مع إحدى الموظفات ، وأخبرت الفتاة بكل هدوء أنها سوف تنتهي منها لاحقاً . انصرفت الموظفة مرسلة عينيها نحو الأرضية . أبقى ذلك السناتور وستيف وكيب والموظف صاحب النظارات الطبية

قالت «اشرح»

«لقد تلقيت خبراً يفيد بأن مراكز التنصت الروسية في سورية قد التقطت حركة تداول رسائل بالراديو في تركيا»

«كيف يمكنهم أن يفعلوا ذلك؟» سألته

بذل ستيف جهداً لإبقاء السخرية بعيدة عن صوته «بالطريقة نفسها التي نستخدمها نحن»

«هل يمتلكون التقنية؟»

«الجميع لديهم التقنية . الأكثر أهمية هو أن لديهم الموقع الملائم للقيام بذلك . سورية تعطيهم ذلك الموقع . ما كان بوسعهم أن يلتقطوا هذه المعلومات من القفقاس»

فرك كيب يده فوق ذقنه . ظهر عليها الآن نمو جديد للشعر «لقد أسقط الأتراك طائرة مقاتلة روسية في سورية»

«ونسفوا طائرة مروحية» أضاف السياسي الهاوي الثاني

«ولذلك فمن غير المحتمل أن يقدموا هذه المعلومة إلى أردوغان» قالت السناتور «هل تظن أنهم أخبروا كيري شيئاً ما؟»

نفض ستيف رأسه «لا» نظر إلى الرسالة القصيرة مرة أخرى .

«لا يدعم أردوغان تحركهم في العودة إلى شبه جزيرة القرم . .» حلل كل كلمة «ولكن هذا شيء يمكنهم استعماله»

«ما الذي يعرفونه بالتحديد؟» سألت السناتور

«واضح أن القوات المعادية لأردوغان في تركيا لم يلجأوا إلى بعث رسائلهم بالشيفرة»

قال ستيف «يعرف الروس أن هناك فريقاً ذاهباً إلى مارمريس لاغتيال أردوغان»

«ولكن من المؤكد أن أردوغان يعرف حتماً بأنه ليس في أمان هناك بكل الأحوال؟» قال الهاوي السياسي

«نحن لا نعرف ذلك على وجه التحديد» قال ستيف «يحتمل أن يظن أردوغان أنه بأمان طالما هو موجود خارج المدن الرئيسة . . .»

«هل سيتدخل الروس؟ بوسعهم أن ينسفوا هذا الأمر بكامله ضدنا» بدأ خد السناتور بالاحمرار

«كلا» قال ستيف «إذا سمحوا للأتراك أن يعرفوا أنهم سمعوا هذه الرسائل ، فإنهم بذلك يخبرون الأتراك أنهم قادرون على التنصت على كل شيء يقال من قبل جيشهم وبحريتهم وسلاح جوهم . ذلك أكثر مما يمكن التفريط فيه»

«ماذا عن قناة خلفية؟» قال كيپ «إذا كان رجلك في الوزارة الروسية قادراً على أن يخبرك ، فما الذي سيمنع أي روسي آخر مغامر من القيام بالشيء نفسه لأردوغان؟ يسهل الأمور ويجعل الأتراك مدينين لهم بمعروف آخر؟»

لم يرد عليه ستيف .

«اكتشف المزيد» قالت السناتور .

الفصل الثالث والعشرون

وقف مسعود على رؤوس أصابع قدميه لينظر من فوق حاجز الشرفة الخلفية للفيللا في مارمريس، وحاول أن يسترق السمع إلى ما يقال من قبل أعضاء جهاز رئيس الجمهورية الوظيفي، الذين يبدو عليهم الانشغال والعجلة. فقد دأبوا على الدخول والخروج ركضاً طيلة الليل، واستمر الرجال على القدوم في سيارات كبيرة والمغادرة بالسرعة نفسها

أبقى أورهان ومسعود عيناً على الحديقة وأخرى على السياسيين المستعجلين بسبب وجودهما خافرين تحت الحاجز، خلف أحواض الزهور التي تشكل حاجزاً.

«ماذا تعتقد أن المشكلة هذه المرة؟» هبط مسعود على كاحليه «هل هي عملية تفجير أخرى؟ ضد المدنيين؟»

دس أورهان يديه في جيبه ثم تذكر أنه يؤدي خفارة فأخرجهما «هكذا يبدو الأمر. حادث كبير جداً، أو ربما يكون قريباً من هنا». فهو قد شاهد ردود أفعال دائرة الرئيس تجاه الهجمات التي تبدو وكأنها لا نهاية لها في السنة الماضية بعدد من الطرق. أحياناً كانت التفجيرات تقع مرة أو حتى مرتين كل شهر حينما تكون الجهات المستهدفة جنوداً أو شرطة، كان مساعدو الرئيس يمشون وهم يحملون غضباً مسيطراً عليه، يؤدون أعمالهم بقناعة مفادها أن العدو قد أفصح عن

هويته وأنه سيتم التعامل معه . وعندما تطال التفجيرات المدنيين ، كما هو حال الهجوم على المطار أو تفجيرات القنابل في أنقرة قبل الانتخابات العامة في السنة الماضية ، وقتها كان يلاحظ أن تصرفاتهم تتخذ أنماطاً أكثر توتراً . لكن ما رآه هذه الليلة مختلف تماماً

لم يكن أورهان خبيراً بلغة الجسد ، لكن كان هناك عنصر ما في الأفواه المفتوحة وأنصاف الجري الذي لم يتوقف المساعدون عن فعله من الڤيللا إلى السيارات والعودة ، اعتبره أورهان أمراً استثنائياً كل شخص غير منهمك في الأحاديث المهتاجة مع اثنين أو ثلاثة آخرين كان يلوِّح بيديه بعنف وهو يتكلم في هاتفه

مسح مسعود الحديقة بعينيه والحاجز القائم بينها وبين ساحات الفندق ثم عاود التلفت حواليه . «حسناً ، هم لم يسمعوا بالأمر سوى الليلة . في الساعة أو الساعتين الأخيرتين . هل هناك احتمال من كون آيلا خارج البيت ، صحيح؟»

«كلا» قال أورهان «لا احتمال» كل أنوار الڤيللا مضاءة ، بحيث أصبح بوسعه أن يرى الأشكال التي تتناوب على المرور من أمام معظم النوافذ ، جيئة وذهاباً «إنها بصحبة صديقة . في الشقة . ستكونان بخير»

«بالطبع» قال مسعود .

تراجع قليلاً مع نزول إيردال عن الشرفة بصحبة إبراهيم كالين ، السكرتير الصحفي لرئيس الجمهورية . طأطأ كل من أورهان ومسعود رأسيهما بأدب .

«أيها القائد» قال مسعود على شكل تحية ثم التفت إلى كالين «سيدي»

«مساء الخير» . قال كالين ، وجاء صوته مألوفاً على الفور من التصريحات التي سمعاه يجريها على التلفاز والراديو

أشار أورهان إلى الضجة والجمع أمام باب الڤيللا الجانبي ، فسأل إيردال «هل هناك موقف طارئ يا سيدي؟»

«لقد تلقينا خبراً يفيد بأن عناصر من الجيش قد استولت على أجزاء من إستنبول وأن هناك قتالاً في أنقره»

لم يتمكن أي من الرجلين أن يخفي مفاجأته . سأل مسعود «تقصد قتال يا سيدي؟ هل هو ضد داعش أم الحزب الكردي PKK؟»

نظر كالين باتجاه إيردال الذي بان عليه التردد ثم تدخل «ما يحاول القائد أن يقوله هو أن الجيش قد استولى على أجزاء من البلاد بإرادته هو» رأى أن الرجلين لم يفهما بعد .

«يحاول الجيش أن يستولي على السلطة من رئيس الجمهورية عن طريق العنف» .

«ماذا؟» نظر مسعود إلى إيردال «سيدي؟»

ظهرت على الرجل الأكبر سناً مسحة من التطمين «ليس لديهم حالياً سوى كمية صغيرة من الوحدات العسكرية»

أحسَّ أورهان بألف من الأسئلة تتحشد بينما هو يحاول أن يحلل هذا الخبر ، ولكن أولها كان الأولوية التي ينبغي التصدي لها «وهل السيد الرئيس بأمان هنا؟»

قال كالين «نحن لا نفترض ذلك . هذا هو السبب الذي من أجله نخبر عناصر الحماية سراً وبهذه الطريقة . يحتمل أن تجري محاولة للقضاء على حياة الرئيس»

«إذا كانت العاصمة قد تم الاستيلاء عليها» استعرض أورهان

البدائل المتاحة «وقتها سنصبح مضطرين لأخذ الرئيس إلى منطقة آمنة . إن جزيرة رودس على مسافة طيران قصيرة من هنا» .

«لقد سبق وأن قام مالك هذا المنتجع باقتراح الجزر اليونانية على الرئيس . لقد رفض الرئيس أن يهرب . وحتماً ليس إلى أية سلطة أخرى . هو مصر على البقاء في تركيا» . أوضح وجه كالين بجلاء أنه حتى لن يفكر برحلة من هذا القبيل .

سأل مسعود «هل قتل أناس؟»

رد عليه إيردال بإيماءة تأكيد من رأسه .

استطرد كالين «يفترض فينا أن نحتفظ بموقعنا هنا . لقد أكد لنا عناصر الشرطة ولاءهم ونحن بانتظار التعليمات» .

«بكل الاحترام يا سيدي ،» كان أورهان يفكر بمقدمة البيت ذات إمكانيات الدفاع الخفيفة ، وسقفه ذي الأعمدة الخشبية . إذا كان الجيش ، أو حتى عناصر من القوات المسلحة ، تنوي التحرك ضد الرئيس ، فهو بحاجة لأن يتواجد في قلعة ، وليس في بيت للعطلات .

«ليس الاعتقاد بأنه يمكننا البقاء هنا لأي فترة من الوقت فكرة صائبة . يتحتم علينا أن نتحرك» . استطرد قائلاً «لدى الجيش دبابات وعربات جند مصفحة قادرة على أن تخترق السياج وتبيد الطاقم الأمني الرئاسي مع أسلحتهم الخفيفة خلال لحظة كل ما على سلاح الجو هو طباعة إحداثيات المنزل في حاسوب طائرتهم وسيمكن قصف الڤيللا بقنبلة أو رميها بالرشاشات أو ضربها بصواريخ في تتابع سريع بإمكان رشاش ثقيل منصوب على شاحنة أن يطلق رصاصات تخترق الجدار الأمامي للمنزل ، تخترق أي شيء تتصل به ثم تستمر خارجة من الجدار الخلفي بدون حتى أن تبطئ من سرعتها» . بدأ أورهان

يقضم أظافره . أصبح بحاجة إلى سيجارة .

«الرئيس رجل صاحب إيمان عميق» جاء أسلوب كالين هادئاً ، حتى لو جاء التصميم واضحاً في صوته . «أليس ذلك هو سبب مقاتلتهم له؟»

قال أورهان «سوف نتمسك بمواقعنا بأرواحنا» . وترك يده تسقط إلى جانبه

قدم مسعود إيماءة راسخة ليضيف ثقلاً إضافياً لكلمات زميله أصبح كلاهما في حالة توتر وقد اتسعت عيناهما

قال إيردال «شابان طيبان . لأن حياتنا تعتمد على ما يحدث خلال الساعة القادمة . احتفظا بموقعكما»

استدار هو وكالين وسارا عائدين إلى المنزل ، تاركين أورهان ومسعود ينظران خلفهما .

«نحن بحاجة إلى رشاشات» قال مسعود بعد أن ابتعدا عن مجال السمع . بعد لحظة ، استدار هو وأورهان وعاودا النظر إلى البحر أمامهما

***

قفزت آيلا ومعها ديميت عن الكنبة في الشقة ووقفتا تنظران إلى الباب الأمامي

جاء النقر مرة أخرى .

«من هو هذا؟» همست ديميت . أمكنهما سماع طرقات وصراخ أناس ، إضافة إلى هدير المروحيات المستمر من خلال الشباك المفتوح

«لا أعرف» قالت آيلا . دارت حول الكنبة واختلست نظرة إلى القاعة في الخارج .

تفقدت كون الباب مقفلاً مرتين «فقط حافظي على هدوئك واتركيهم يغادروا»

«هل لديك مسدس؟» سألت ديميت . حدقت فيها آيلا غاضبة وكانت على وشك أن ترد عليها بحدة حينما استؤنف الدق على الباب . أعلى .

فحثّت فيها ديميت «أحضري سكيناً» . فوجئت لثانية لاكتشافها جانباً لم تكن قد رأته في صديقتها من قبل ، ترددت آيلا ثم ركضت نحو المطبخ ، تسير على رؤوس أصابعها وهي تتعدى الصالة والباب بعدها . المزيد من الدق . ذهبت إلى النضد ومسحت سكين الطباخ فوق لوحة التقطيع ثم فتحت الدرج العلوي وأخرجت سكين تقطيع رجعت جرياً إلى غرفة الجلوس وناولت السكين الثانية إلى ديميت . وقفت كلاهما هناك حتى جاء صوت الدق مرة أخرى ، وبعد ذلك بدأتا تتخذان خطوات مصممة باتجاه القاعة ، وقد أشرعتا سلاحيهما على امتداد ذراعيهما . باتت المرأتان متوترتين من حمل السكينتين أكثر من خوفهما ممن يتواجد خلف الباب ، بصرف النظر

لأن الممر ضيق ، فقد مشت آيلا في المقدمة ، وهي تقفز قليلاً مع كل طرقة تجيء من المقدمة . استدارت ، وقد أحست بالقلق لأن سكين ديميت أصبحت قريبة جداً من ظهرها تراجعت ديميت قليلاً . جاء الدق عالياً إلى درجة أن الباب بدأ يهتز . وضعت آيلا عينها على ثقب التجسس لنصف ثانية فرأت شكلاً بشعر داكن هناك . عاودت الانحناء ، تحته

«لقد رأيتك !» صاح صوت الرجل تبادلت المرأتان نظرات مذعورة «لقد رأيتك خلف الباب يا آيلا ! أدخليني !»

تغير منظر وجه آيلا من مصاب بالذعر إلى مرتبك لدى سماعها اسمها . انفتح فم ديميت دهشة . استدارت آيلا ونظرت إلى الباب «بارس؟»

«آيلا؟ نعم ، هذا أنا ! أدخليني !»

مررت آيلا السكين إلى ديميت واستدارت ، فتحت مفتاح الباب ثم القفل في عجالة . أخرج كلاهما تنهيدتي انفراج هائلتين عندما فتحت الباب وهناك ، فعلاً ، كان بارس .

قال «أدخليني ، أدخليني» مرّ عن آيلا مسرعاً لكنه توقف عند مرآى ديميت ، ممسكة بالسكينتين الكبيرتين في يديها . سألها «هل ستقومين بالطهي لهذه الليلة يا ديميت؟»

أطلقت آيلا ضحكة عصبية أثناء معاودتها إغلاق الباب واقفاله ، بينما ابتسمت ديميت بوهن .

«لم نعرف من أنت» قالت آيلا وهي تستدير نحوه «كيف وصلت إلى هنا؟»

«ليست كل الشوارع مغلقة ، وكذلك لا تتم مضايقة المشاة» أجاب بارس .

البقع تحت إبطيه على ال تي شيرت الأسود الذي يرتديه وجبينه العالي مغطاة كلها بطبقة من العرق . الشعر في مؤخرة رأسه وأذنيه وفوق نظارته مدبق ودهني

«هل كنت تركض؟» سألته آيلا

«كلا» قال بارس ، رغم أن تنفسه لم يزل يعود إلى الطبيعي . «كلا ، الدرجات كما تعرفين ، وكذلك الدق»

«يا الهي يا بارس» قالت آيلا بصوت عال وهي تتعداه ، وتتناول

السكينتين من ديميت أثناء مسيرها «أنت بحاجة إلى التردد على صالة الرياضة مرات أكثر» .

سألهما «هل رأيتما ما يحدث هناك في الخارج؟ لقد أصابني القلق على كليكما . لقد عرفت أنك موجودة هنا ، وأن أورهان غائب . . .»

«نحن على ما يرام» باشرت آيلا في إعادة السكينتين إلى المطبخ . وقف بارس وديميت مضطربين في وسط غرفة الجلوس وناديا عليها رفعت يدها وأنزلت كأساً لأجل بارس .

«ولكن ماذا عن آيدين» قال بارس لديميت «إن موقعه في المدينة ، أليس كذلك؟ هل سمعت منه أي خبر؟»

«كلا» ألقت ديميت نظرها إلى الأرضية . تحرك بارس نحوها ووضع ذراعيه حول كتفيها . لم تقاومه ولكنها بقيت صلبة تجاهه ، ولم تبادله المعانقة . «سيكون الأمر على مايرام ،» قال بارس «سيكون بخير لا تقلقي» .

عادت آيلا ، تحمل الكأس في يدها ولاحظت المشهد أمامها بشيء من عدم الموافقة . تعمدت القول بحدة «هذا هو شرابك يا بارس»

ترك ديميت وتقبل الشراب . تف بعد الرشفة «مم ، ما هذا؟ مجرد عصير؟ أين الڤودكا؟»

زمت آيلا شفتيها «أورهان لا يشرب الكحول ، وأنا لا أحب أن أشرب لوحدي ، آسفة»

ابتسم بارس بوقاحة «حقيقة يا آيلا؟ في ليلة مثل هذه؟ هيًّا ، أنا أعرفك . لقد كنت تشربين أكثر منا كلنا»

نفضت آيلا رأسها ، وهي تسير من جانبه متجهة نحو الكنبة . «لم

أعد أشرب . أورهان شركسي محافظ . لن يسمح بالكحول حتى في الشقة ، حتى لو كان للضيوف» .

جلست في الزاوية البعيدة ولحقتها ديميت لتأخذ مكانها في الزاوية الأخرى . انتظر بارس ثم أجلس نفسه بينهما ، وساقاه تلامسان فخذيهما .

قال وهو يلوِّح باتجاه الشاشة «هذا أمر يدعو للاحتقار . ما الذي يحدث في هذه البلاد؟»

لم تقل أي منهما أي شيء ، بل أبقتا عينيهما على الصور الحية والتسجيل المكرر للجيش في الشوارع . هناك لقطات لجنود مشاة ، يسيرون عبر أحياء سكنية ، بينما يقول التعليق إنهم يطبقون منع التجول الذي فرضوه .

قال بارس «إنه جنون ، ما يقوم به هؤلاء الأشخاص . ما الذي يفكرون فيه؟»

«لا أدري» قالت آيلا

«وماذا عن أورهان؟ هل ذكروا أي شيء حول الرئيس؟ إن أورهان معه ، أليس هو؟»

«إنه في عمله ، هذا كل ما أعرفه» . لم ترغب آيلا في أن يزج بها فيما يفعله أورهان .

فكرت في الصورة التي أرسلها إليها عن الحديقة - المساحة الجميلة التي تشرق فيها الشمس . هل هو ما زال هناك؟ لم تكن تعرف .

«ولكنه في العادة يرافق الرئيس؟» استمر بارس في الكلام «لقد شاهدته على التلفاز مرات عديدة . إنه يقف خلف أردوغان كلما قام بمغادرة أي مبنى»

قاطعته آيلا «لا أعرف يا بارس . إن عمله محاط بالسرية» .

أجفل بارس لأن آيلا لا تكلمه بهذه الطريقة في العادة ، ولا تكلم أحداً هكذا في الواقع . لكن هذه ليست ليلة عادية . وضع يده على ركبتها قائلاً «أعرف أنك قلقة» وهو يميل نحوها ، بصوت رقيق .

مدت يدها ورفعت يده «أنا بخير يا بارس . راقب التلفاز» عقدت ذراعيها ومالت قدر استطاعتها نحو ذراع الكنبة ، بعيداً عنه . فتل إبهاميه وهو ينظر إليها ثم قرر أن لا يقول أي شيء . التفت إلى ديميت .

«وماذا عن آيدين؟»

«كلا»

«لابد وأنك قلقة أنت أيضاً يا ديميت . كيف يستطيع أن يفعل هذا بك؟»

كانت ديميت قد اتخذت موقف آيلا نفسه ، عاقدة ذراعيها ومائلة بعيداً عن الرجل الجالس بجانبها ، لكنها تلفتت الآن لتحدق فيه «يفعل ماذا؟ لن يقدم آيدين على أي عمل خاطئ . إنه هادئ أكثر من العادي»

«أعرف» تكلم بارس وكأنه يهدئ من روع طفل «ولكنه في الجيش وفي إستنبول . لقد أخبرتني جيزيم بذلك حينما اتصلت بي في وقت أبكر . بالمناسبة لقد كانت قلقة هي الأخرى . يحتمل أن يصدروا إليه الأوامر يا ديميت . ربما يكون ضالعاً في هذه ، هذه ، لا أعرف ماذا أسميها ، الثورة»

قالت آيلا «بارس . يكفي هذا القدر» .

استند في جلسته والتفت إلى التلفاز «نعم ، بالطبع»

جلسوا هناك لبضع دقائق إضافية ، ديميت تعبث بهاتفها وتحاول أن

تحصل على صلة بالانترنت، بينما قامت آيلا بالتقليب من محطة إخبارية إلى الأخرى. TRT مغلقة كلياً. هاندة فيرات تتحدث من CNN التركية، ولكن قارئة الأخبار انحنت بينما هم يراقبون، فوق طاولتها وتحت الكاميرا

«هل كانت تلك قنبلة؟ هل قاموا بإلقاء قنبلة على محطة الأخبار؟» كاد بارس أن يقفز عن مقعده. شعرت آيلا بيده على ساقها مرة أخرى ورأت أنه وصل إلى ديميت أيضاً

«إن الغرفة تتأرجح هنا»

رفعت ديميت رأسها «أعتقد أنها انفجرت في الخارج»

وضع بارس يده على فمه «هذه حرب. انظرا، إن القصارة تسقط عن السقف. إنها في شعرها»

القصارة المتساقطة. الغبار. شاهدت آيلا صوراً من المطار بعد أن فرت راكضة إلى الخارج واختبأت لحظة انفجار القنبلة الثانية. أناس يرتدون أقنعة الأوكسجين يجري تحميلهم على نقالات. تحول وجه هاندة فيرات المذهول على شاشة التلفاز ليصبح وجهها هي. عادت إلى موقف السيارات. كانت قد اختبأت خلف عمود، ثم اضطرت إلى الجري. كانت هناك امرأة ملقاة على أرض المطار. شعرها مغطى بالغبار بدوره... ويمتص اللون الأحمر لدمها... صرخات وطلقات رصاص، رائحة اللحم والبلاستيك المحترق. كان هناك العديد من الرجال، رجال يطلقون النار من البنادق وعلى ظهورهم حقائب. يحملون المزيد من القنابل. سوف تموت...

خرمشت ذراع الكنبة بأظافرها. أحست بضعف في ساقيها، ثم أحست بالدوار. حطت يد بارس على ركبتها مرة أخرى.

«آيلا؟ آيلا؟»

قالت «أريد أن أحضر بعض الماء» . نهضت متقلقلة وركضت نحو المطبخ . اتكأت على المجلى بكل ثقلها وحاولت أن تسحب نفساً طويلاً عميقاً . شعرت وكأنها لم تأكل أي شيء لأيام وبدأ جسمها يصرخ طالباً السكر . أحست بأن ساقيها سوف تتخليان عنها في أية لحظة . دبابيس وإبر . تسارع ضخ الدماء في شرايينها .

«آيلا؟ يا آيلا ، هل أنت على مايرام؟» لحقها بارس إلى المطبخ .

وضع بارس يداً على أعلى ذراعها والأخرى على كتفها . شهقت في محاولة لتهدئة نفسها .

«آيلا؟»

أخذ يفرك ظهرها .لابد وأن ديميت في غرفة الجلوس . لم تعرف آيلا ما ينبغي عليها أن تفعله . فقد تجمدت في وقفتها . حدقت في بارس ، ولم يكن عقلها ولا جسمها يعملان كما يفترض فيهما .

أخذت يده تفرك ذراعها الآن ، مقتربة من نهدها . أحست بكفيه من خلال طبقة القماش الرقيقة لل تي شيرت ، ملمس يديه مختلف . مختلف عن يدي أورهان . ما الذي يفعله؟ شاهدت وجهه يقترب من وجهها بشعور من الرعب . تلامست شفتاهما . انسحبت مبتعدة وكأنها خارجة من نفق مظلم إلى نور النهار ، دفعت بنفسها بعيداً عنه وزعقت «ما الذي تفعله؟»

تجاهل حجم صوتها ، وحاول أن يسحبها من ذراعها «هيا يا آيلا ، لا بأس عليك ، أنا هنا» .

سحبت ذراعيها ورفعتهما باتجاه رأسها في حركة دفاعية «ماذا؟ ما الذي تفعله؟ هل أنت مجنون؟»

تحول أسلوب بارس . رأت وميض الغضب في عينيه . أرعبها منظره «لقد ذهب أورهان يا آيلا . لقد انتهى . توقفي»

«كلا !» وجهت إليه ضربات عفوية . «توقف أنت ! أخرج من بيتي»

جحظت عيناه بدون أن ترمشا - ثابتتين عليها - مثل حيوان زاحف . «أنزلي يديك . لا تكوني حمقاء» اقترب ليمسك بها مرة أخرى ، بقوة أكثر هذه المرة ، أمسك بأحد معصميها وحاول أن يمسك بالآخر . ركلته واشتدت قبضته

صرخت «توقف ! أنت تؤلمني !»

اقترب أكثر منها حتى التصق حوضه بها وأخذ يدفع . انحشرت إلى الوراء عند حافة النضد .

«بارس» جعل المجهود الذي تبذله ، الكلام من الصعوبة بمكان . بدأ الذعر يسيطر على حواسها

«توقف يا بارس»

«أطلق سراحها !»

أفلتها والتفت كلاهما باتجاه الصوت . ديميت واقفة خلفهما عند باب المطبخ الضيق ، تحمل سكين التقطيع التي حملتها مسبقاً عالياً أمامها . أشارت بها نحو بارس ، وقد اتسعت حدقتاها وبان التصميم في تقاسيم وجهها . تطلب الوضع كل ما لديها من تصميم حتى لا تبدو خائفة .

«ديميت -» ترك بارس يد آيلا واستدار ليواجه المرأة الأصغر سناً

«ديميت . انزلي السكين . هل ترغبين في أن يتم طردك؟»

قالت ديميت «اتركها بحالها واخرج من هنا» .

خطا بارس نحوها خطوة واحدة وفي تلك اللحظة ، رفعت آيلا يدها وصفعته على قفا رأسه بأقصى ما لديها من قوة . عاود الاستدارة نحو آيلا ، لكن ديميت قربت السكين إلى رقبته حتى تكاد تلامسها فتوقف .

صرخ بها «لا يمكنك أن تفعلي هذا أيتها القحبة الصغيرة !»

صفعته آيلا للمرة الثانية قائلة «هيًا اخرج . عندما أخبر أورهان عما فعلته ، ستكون ممتناً إذا بقيت قادراً على مجرد المشي» .

ظهر التغيير على محيا بارس أمامهما . تحول من الوحش المفترس عائداً إلى المشرف المهرج القادم من المكتب . أصبح بحالة بحزن . نادم . قفزت الدموع إلى عينيه .

«يا بنات ، أرجوكما . لم أكن مدركاً لما أفعله – أنا –»

«اخرج من هنا» قالت ديميت؟ لم تخفض السكين ، بل أبقتها قريبة من وجه بارس إلى درجة اضطرته ليميل بعيداً عنها أثناء مروره في طريقه إلى الخارج .

«هذا الأمر لم ينته هنا» قال وقد تبدلت هيئته مرة أخرى «سوف أعمل جاهداً على أن تدفعا الثمن . سوف تندم كلاكما على هذا»

زعقت ديميت في وجهه «اخرج من البيت» .

مضى خارجاً وهو مستمر في النظر من فوق كتفه بينما لاحقته كلتاهما باتجاه الباب .

انتظرتا حتى قام بفتحه ثم عبر خارجاً ثم ركضت آيلا وأقفلته بالمزلاج والقفل .

ركعت على ركبتيها وأطلقت نواحاً خارجاً من صدرها ، وانهمرت دموعها سخية

وضعت ديبيت السكين على الأرضية ومالت إلى الأمام ، في محاولة لإقناعها بالنهوض على قدميها . قالت لها «هيا انهضي . لقد ذهب . الأمر على ما يرام . لا بأس عليك»

قالت آيلا «وظيفتك . . . .»

«ليس ذلك مهماً . هيًّا قومي ، تعالي إلى الكنبة ، أم أنك تريدين أن تذهبي إلى السرير؟ أن تستلقي؟»

«كلا» آخذت آيلا تمسح وجهها بظاهر يدها «لا ، ليس قبل أن أعرف ما حدث لأورهان . يجب أن أعرف»

«أعرف» سحبتها ديبيت لتوقفها على قدميها «أعرف»

الفصل الرابع والعشرون

أضيئت السماء في أنقره بالنيران وامتلأت الأجواء بأصوات تبادل إطلاق الرصاص والانفجارات عبرت شاحنات الجيش البوابات المهجورة عند مدخل مجمع الـMIT لتمضي مباشرة نحو الساحة الأمامية للمبنى الهائل . لكن معظم الطابور توقف قبل بلوغ الباب الرئيس بقليل ، واستمر الجيب الوحيد الذي يقوده في التحرك باتجاه المدخل الأمامي الواسع توقف خارجه ونزل منه ضابط مدجج بكامل أسلحته ولباسه الأخضر المموه ، تاركاً السائق داخل الجيب والمحرك دائراً

استرق ليڤانت الذي يرتدي درعاً بدنياً فوق ال تي شيرت ومسلحاً برشاشة MP5 الجديدة ، نظرة من خلف أحد أعمدة المدخل المتوجة . شاهد الضابط يتوقف على بعد حوالي ثلاثين ياردة من مقدمة البناية ويتلفت حواليه . لم يقم أي من أفراد القوات الخاصة ذوي القبعات الحمراء الداكنة المحيطين بليڤانت بأي صوت أو حركة ، بل ظلوا مخفيين كلياً . انتظر ليڤانت ليرى ما سيفعله الرجل . بدا على الضابط الاستغراب الشديد من السهولة التي دخل بها الطابور إلى ساحات الـMIT التي تشبه الاستحكامات في العادة ، حتى وصل إلى الباب . لدى ظهور مروحية تابعة للثوار فوق رؤوسهم في وقت مبكر من ذلك المساء ، انضم ليڤانت إلى عملاء آخرين في الاندفاع إلى الخارج

وإطلاق نيران مسدسه على الطائرة المهاجمة ، فكوفئوا على وقاحتهم بزخات من النيران الحارقة صادرة عن أحزمة الرصاص من الرشاشات المركبة على أسفل مقدمة المروحية . ركضوا عائدين إلى داخل المبنى ، بعضهم يحمل جروحاً لكن أحداً لم يقتل بما يشبه الأعجوبة . وقف الآن ينتظر ما سيفعله هذا الكشاف . بعد إلقاء نظرة أخيرة على النوافذ المقفلة في الطوابق العليا ، تقدم الرجل خطوة واحدة تبعها بأخرى . خرج ليڤانت من مكان اختبائه . «يكفي ذلك البعد أيها الجندي»

رأى أن الضابط صغير السن ، منتفخ الأوداج ولا يحمل سوى مسدسه في جرابه .

تدلى ذراعاه إلى جانبيه «ماذا تريد؟» وجه ليڤانت الـMP5 بشكل خفيض .

«لدينا أوامر بحماية هذه المباني» تكلم الشاب بلهجة شرقية «لن نستعمل القوة إلا إذا أصبح استعمالها ضرورياً . فكر في هذا القول واخفض سلاحك» .

«فعلاً؟ أوامر من قبل من؟» لم يتحرك ليڤانت ولا حتى الضابط . الساحات حولهما هادئة فيما عدا خرير محرك الجيب . راقب السائق المجريات بحدة ، منحنياً فوق عجلة القيادة أمامه

قال الجندي «لدي أوامر بأن لا أفصح»

ألقى ليڤانت بالسلاح فوق كتفه «حسناً ، أليس هذا أمراً مثيراً للاهتمام؟ إليك الطريقة التي سيتم بها هذا الأمر ، أيها الجندي . يمكنك أن تستسلم إليّ الآن وسوف أقول إنه جرى تضليلك . لم يؤد هؤلاء الرجال في المناصب العليا واجبهم في حمايتك . وإلا -» ترك ليڤانت صوته يتداعى وأشار إلى الـMP5 .

تقدم الجندي خطوة ، وأخذت يداه ترتفعان قليلاً باتجاه حزامه

«لا تفعلها» قال ليڤانت . عاود خفض السلاح . تقدم الضابط خطوة أخرى واستدار أثناء تقدمه بحيث سمح للسائق بأن يرفع مسدسه الآلي الذي كان يخفيه ويطلق النار على ليڤانت . خطا ليڤانت جانباً وفتح النار من الـ MP5 ، اخترقت الرصاصات السيارة وملأت الأبواب بالثقوب لكنه لم يكن يطلق النار ليقتل .

ظهر أفراد القوات الخاصة خلفه ، مشهرين أسلحتهم وفتحوا النار بدورهم على الجيب ، فأصابوا الضابط الضخم أثناء محاولته العودة إلى مقعد الراكب . صرخ من الألم عندما اخترقت الرصاصات ساقيه وشد السائق المقود وضغط على المسارع بقدمه ليضع الجيب في وضعية رجوع سريع . ارتكب بتسرعه نتيجة الذعر الخطأ القاتل حيث قاد السيارة أقرب حتى إلى خط إطلاق النيران فتعرض كلاهما إلى دقة تصويب رجال القوات الخاصة المميتة

خلافاً لليڤانت ، لم يطلق هؤلاء الرجال أية طلقات تحذيرية انطلق الجيب للحظة أخرى قبل أن تنزلق قدم السائق عن بدالة المسارع ثم أكمل رجوعه بضع ياردات قبل أن يتوقف كلياً

تعلق الضابط الميت من باب الجيب ، نصفه في الداخل ونصفه الآخر مدلى خارجه ، بينما ارتمى السائق فوق عجلة القيادة . غطت الدماء الزجاج الأمامي ولوحة المؤشرات .

في الطوابق العليا من مبنى الـ MIT ، كان هاكان فيدان قد نزع سترته المفصلة بإتقان ووقف أمام طاولة مكتبه وقد شمَّر أكمام قميصه وقف أمامه خليط من عملائه ، وضباط من القوات الخاصة مرسلين من قبل زيكاي أكساكاللي ، وموظفين مدنيين برتب متوسطة مرسلين

من قبل مكاتب حكومية متنوعة . ظهر زيكاي باشا بنفسه على شاشة التلفاز ، يخاطب المراسلين وسط بحر من المتفرجين في القيادة العامة للـOKK .

«كـلا ،» قـال في الميكروفـونات الأقـرب إلى وجـهـه «هذا إجـراء اتخذته أقلية ضمن القوات المسلحة كما قال رئيس الوزراء . لقد كسر هؤلاء الضباط سلسلة القيادة وسيكون لذلك نتائج»

«لقد قتل أناس» قال أحد المراسلين من مؤخرة الحشد .

«إنني أعي ذلك» قال أكساكاللي «سوف توجه قوة الدولة الكاملة لتهاجم رجالاً لا يمكنني أن أصفهم إلا بالخونة»

«أين يستعر القتال في هذه اللحظة؟»

«لا أسـتطيع أن أعلق على ذلك» . لوَّح أكـسـاكـاللي بيـده للمراسلين ، مشيراً إلى أن المؤتمر قد انتهى وانسحب إلى داخل مكتبه

«كيف استطاع أن يهرب من فريق الاختطاف؟» سأل فيدان عندما عادت الصورة إلى استوديو الأخبار .

«لقـد أطلق النار خـارجـاً من حـفل الزفـاف ثم أخـذ زوجـتـه إلى مدرسة الرياضة حيث يعرف الجنرال المسؤول» .

قال ملحق الـOKK «لقد أرسلنا فريق حماية وسيارة مصفحة لهما هناك»

تكوَّر فم فيدان إعجاباً بالجرأة «أمر مثير للإعجاب . وماذا عن قيادة ال OKK؟»

«لقد تم تحريرها . سيقدم زيكاي باشا امتنانه شخصياً على الإمداد بالسلاح»

استـدار فـيـدان إلى الملحق من قـوات الدرك «ومـاذا عن غـالب

منذي؟ لقد كان متواجداً في حفل الزفاف نفسه . هل تمكن من الإفلات؟»

«كلا يا سيدي . تفيد معلوماتنا الاستخبارية أن الثوار اقتحموا حفل الزفاف ، وتم اقتياد القائد بأسلوب كل الموجودين في النادي البحري بإستنبول نفسه . نحن لا نعرف مكان وجوده» .

سأل فيدان «إذاً من هو المسؤول عن قيادة الشرطة؟»

أجابه الملحق «إنه اللواء إسماعيل متين»

اقترب ضابط الـOKK «أستطيع أن أؤكد بأن زيكاي باشا كان على تواصل مع اللواء ، وأنه سوف يطلق تصريحاً بالولاء للرئيس أردوغان عن طريق الكاميرات قريباً يا سيدي» .

«حسناً» قال فيدان . كان التلفاز قد عاد إلى عرض لقطات تظهر طائرات الثوار المقاتلة والمروحية وهي تطلق نيرانها على مديرية الشرطة

دخل ليڤانت وقد تلوثت هيئته بالعرق وأدخنة الرصاص «إنهم هنا أيها الرئيس» . قال مخاطباً فيدان «لقد صددنا محاولتهم الأولى بسهولة نسبية بنيراننا ، ولكنهم يعيدون التجمع للقيام بهجمة أخرى»

حوّل فيدان نظره إلى شلالات النيران الحمراء الصادرة عن رشاشات المروحيات التي يعرضها التلفاز ، قائلاً «هم سيحاولون أن يمروا من فوق رؤوسنا . أخلوا الطوابق العليا واستخدموا مدافع الدوشكا» .

أدى ليڤانت التحية وركض خارجاً من المكتب .

في الطابق الأرضي ، احتفظت الطواقم الأمنية للـMIT والقوات الخاصة بمواقعها أمام مبنى القيادة العامة ، وأبقوا وحدات المنشقين على مسافة ، بإطلاق عيارات فردية على فترات بدلاً عن رشقات متعددة الطلقات ، ومنعوهم من التقدم . حوصر معظمهم في الساحات ، غير

قادرين على التحرك خلف الأشجار التي تحيط بموقف السيارات ، فيما عدا عمليات جري متفرقة وسط الأعشاب والشجيرات ، في مسعى للاقتراب من المدى الضروري للرماية الدقيقة تمكنت طواقم القناصين الموزعين على السطح الواسع المستوي للمبنى الرئيس من التقاط عمليات الجري اليائسة هذه على الفور ، مما جعل هذه المحاولات قريبة من الانتحارية بفضل العدسات الحرارية المقربة والمناظير الدقيقة

صاح شخص ما من جانب الشرفة «دبابة ! دبابة !» كانت في الواقع ناقلة جنود مدرعة تتخذ طريقها صعوداً في المدخل الرئيس . هناك كبش اقتحام مركب على برجها بدلاً من المدفع ، لكن التأثير بقي هو نفسه . تصاعدت وتيرة إطلاق النار من مدافعي الـ MIT ، مع قيام ناقلة الجنود المدرعة بإطلاق رصاص مدفعها الذي يغذيه شريط الطلقات رداً عليهم ، إضافة إلى ثلة من الجنود المتقدمين وقد استعانوا بها للحماية

سقط عنصران من ضباط الـMIT ذوي الملابس المدنية ، بينما اقترب الثوار خلف الناقلة لدى اقترابها كانت النية تتجه إلى إحداث ثقب في الباب الأمامي للدائرة ، وبذلك فتح قناة لبقية أفراد القوة المهاجمة للتقدم من خلاله

«استمروا في العملية . استمروا في إطلاق النار !»

لم تتباطأ ناقلة الجند . بل إن طلقات الأسلحة الخفيفة العائدة للمدافعين أخذت تتقافز متطايرة عن غلافها الخارجي المدرع وتسقط على الأرض تحتها

صاح أحدهم «تراجعوا !»

«ليس بعد !»

تجددت الرماية مع احتشاد الرجال وسقوط أحد الجنود الذي كان واقفاً على مسافة من طرف ناقلة الجند، مصاباً في كتفه. ارتفعت معنويات المدافعين بهذا النجاح وصاحوا مشجعين بعضهم بعضاً، لكن أصواتهم ما لبثت أن خفتت مع انضمام صوت آخر إلى أزيز الرصاص. نظروا إلى فوق ليروا الاقتراب من بعد لمروحية قتالية، تومض أنوارها حمراء وبيضاء، تتبادل الألوان على دفعات ثم تتوقف لتضيء بنور أحمر وحيد مثل إشارة مورس شريرة. تصاعد صوت المراوح وبدأ المدافعون يتراجعون، عائدين باتجاه مداخل البناية

جاء هيكل الطائرة الأسود غير اللماع واضحاً أمام السماء المضيئة، التي تحولت إلى وضوح أشبه بالنهار بسبب النيران والأنوار الكشافة المنتشرة في أنحاء المدينة كافة. بدت عملية إطلاق النار في الشوارع من هذا الارتفاع بالنسبة لليڤانت مثل لعب أطفال بالفتاش بينما يحاول جانب أن يكسب الأرض من الآخر

صاح بالطاقم الخارج من الدرجات خلفه «أخرجوه إلى هنا!»

خرجوا من الباب كل اثنين معاً، يحمل الأول الأرجل الثلاث المطوية، ويحمل الثاني المدفع الرشاش الأخف وزناً نفسه والبالغ أربعة وثلاثين كيلو جراماً. للمدفع الرشاش ذي السبطانة البالغ طولها حوالي أربع وستين بوصة، المسمى دي اتش كيه أو المعروف باسم «الدوشكا»، مدى دقيق للإطلاق مسافته كيلومتران. في أقصى مداه، هو قادر على إصابة هدف على بعد خمسمئة متر أخرى من ذلك البعد وتدميره.

كان ليڤانت قد أطلق ذلك السلاح مرات عديدة في ميدان الرماية، وهو سيكذب إذا لم يعترف بأنه يشعر بالإثارة لاحتمال اطلاق

نيرانه في مجال رماية حيوي حقيقي . قامت الطواقم بتركيب أربعة من هذا السلاح إلى جانب الجدار الذي يزنر البناية حتى ارتفاع الخصر ، وهم يعملون بدقة تدربوا عليها لإقفال المرابط في أمكنتها ثم إدخال شريط الطلقات في فجوة الإطلاق . يستعمل الدوشكا التابع لل MIT ذخيرة ذات عيار روسي هو ١٢,٧ مللميتر بطول ١٠٨ - بحيث يمنحها العرض الإضافي قدرة إيقاف إضافية على عيار ٩٩ مللميتر لذخيرة حلف شمال الأطلسي ، أو هكذا اعتقد المعتادون على استخدامه والموالون له . على أية حال ، فقد عرف ليڤانت وزملاؤه في الـ MIT ، أن أفراد وحدات الجيش النظامي الذين يحاولون الآن أن يهاجموا مبنى القيادة العامة عن طريق البر والمروحيات ، ليست لديهم فكرة بأن مديرية المخابرات قادرة على استخدام مثل هذا السلاح .

«كمال» نادى على المدفعي الأقرب إليه . «افتح النار على أصدقائنا تحت هناك» .

ربط كمال نفسه إلى مساند الكتفين الضرورية لامتصاص ارتداد المدفع بأمان ووضع إبهاميه على الزناد . قفز ليڤانت إلى الوراء عندما دوى صوت الدوشكا فوق أصوات الرات تات لتبادل النيران تحته ظهرت طلقات التصويب مثل شعلات بيضاء ، تتساقط فوق رؤوس المهاجمين القادمين وتقطع صفوفهم إلى شرائط

أصابت الطلقات الأرض بقوة إلى درجة أنها انغرست في الأرض بعمق ، بحيث مزقت الأسفلت وألقت به في عيون القريبين من الرماية . تبعثرت السرية ، وركض أفرادها إلى خارج مدى الرماية ، بينما تركت الناقلة المدرعة لتتلقى عنف الهجمة . الدرع سميك إلى درجة كافية لأن لا تخترقه الدوشكا ، لكن صوت الطلقات ذات العيار

الهائل وهي تتساقط فوق رؤوس السائقين أشعرهم بالذعر إلى درجة أنهم أداروا وجهة المركبة وتراجعوا مبتعدين .

راقب ليڤانت برضى ثم التفت إلى الطواقم الأخرى «البقية منكم - افتحوا نيرانكم على تلك المروحيات وأي شيء آخر ترونه قادماً من السماء . أسقطوها فوق رؤوس أصدقائهم الموجودين هناك إذا استطعتم» .

تابعت بقية الطواقم ريادة كمال وبدأ أفرادها يطلقون نيرانهم في الهواء باتجاه المروحيات القادمة . اقتربوا في هذه اللحظات إلى درجة أنه أصبح بمقدور ليڤانت أن يشاهد التعزيزات المحشورة في الأجزاء الخلفية . ظهر الموقف بالنسبة للرجال على الأرض وكأن البرق يمزق السموات فوقهم ، مدفوعاً بهدير الدوشكات التي تمضغ أحزمة الرصاص والتي يطعمها المدفعيون إليها . قيل إن هذه الأسلحة قادرة على إطلاق ستمئة رصاصة في الدقيقة ، وأخذ طاقم ليڤانت يستجمع حماسته إلى ما يقارب الجنون في محاولة لتحقيق ذلك الرقم . ابتعد كمال عن موقعه للحظة ونفض يديه في محاولة لتبريدهما ثم عاود الاقتراب ليستأنف الرماية .

بدأت المروحيات التي أذهلتها الصليات ، في الاستدارة والابتعاد ، بعد أن أثبتت محاولاتها الفاشلة في الرد على نيران مدافعي الـMIT المتخندقين بشكل جيد . حاول الجنود على الأرض القيام بهجمة أخرى لاقتحام الباب بأعداد كبيرة ، لكن ليڤانت سلط عليهم نيراناً مركزة فهربوا على الفور ، حيث ثارت الأرض عند أقدامهم وكأن هناك منجلاً إلهياً ينقض عليهم من فوق . أصبحوا هشيماً لألسنة لهيبها .

تناول ليڤانت جهاز تخابر وضغط على الزر ليفتح الخط . طقطق

صوت هاكان فيدان عبر السماعة .

«ليڤانت؟ قدم تقريرك . حوِّل» .

«الـMIT في أمان ، يا سيدي . مازال المعادون ضمن الساحات ولكن تنقصهم المدفعية الثقيلة وإعادة التموين الجوي غير واردة . حوِّل» .

«ما هي احتمالية أن نقوم بإعادة التموين لأنفسنا؟ حوِّل» .

عبس ليڤانت «الى أين يا سيدي؟ حوِّل» .

«إلى البرلمان» .

ضحك ليڤانت بهدوء في سره «سيكون ذلك خطراً يا سيدي» .

سمح فيدان لنفسه بلحظة يبتسم فيها داخل مركز قيادته المستحدث في أعماق مبنى الMIT . «ألا تقول أنت دائماً إن هذه هي الغاية؟ حوِّل» .

«نعم سيدي» عاد ليڤانت أدراجه عبر السطح ، بعد أن اطمأن إلى تركيز طواقم القناصين والدوشكا في مواقعهم . «أرجوك أن تنتظر تقريري في الوقت المناسب» . فتح باب الدرج وبدأ يركض نازلاً «حوِّل» .

الفصل الخامس والعشرون

ستوديو الأخبار لدى CNN التركي مشابه لذلك الذي لدى TRT بشكل عام، نضد مرتفع أمام الكاميرات التي جلست خلفها الإعلامية هاندة فيرات. أمسكت بأيفونها، الأكبر من يدها بقليل، رفعته نحو الكاميرا وعدلت الميكروفون المتناهي الصغر المدبس في العادة إلى ياقتها، بحيث يلتقط الصوت القادم من الهاتف نفسه كانت كاميرات الاستديو تلتقط شكل رئيس أركان هيئة موظفي الرئيس حسن دوغان، بمنتهى الصعوبة على شاشتها

استمر يقول «لقد أطلق الرئيس تصريحاً، وهو الآن مستعد للتحدث اليكم».

أعادت فيرات تعديل الهاتف والميكروفون بينما تحركت الصورة على الشاشة ثم ظهر الشكل العام لوجه الرئيس أردوغان.

«هالو؟» لا يمكن الخطأ بشأن الصوت.

«نعم سيدي الرئيس» تكلمت هاندة فيرات في الهاتف بصوت عالٍ. «نحن نصغي إليك. مساء الخير».

«مساء الخير»

بدأ الرئيس يتكلم قبل أن تتاح الفرصة لفيرات لكي تطرح سؤالاً «إن تطورات هذا اليوم هي لسوء الحظ نتيجة أفعال أقلية صغيرة من القوات المسلحة التركية. إنه عصيان جرى التحريض عليه من قبل ما

نعرفه باسم التركيب الموازي»

أمسكت فيرات بالميكروفون بدرجة أقرب وانتظرت أن يستمر الرئيس . «هؤلاء المسؤولون عن هذا الهجوم على وحدة وتماسك أمتنا سوف يتلقون العقاب الضروري والاستجابة من قبل شعبنا» . استطرد أردوغان ، وقد تأثر صوته بطقطقات المعدات الصوتية التعيسة ولكنه ظل يصل إليها بوضوح . «هؤلاء المسؤولون عن استخدام الدبابات والأسلحة والطائرات والمروحيات العائدة ملكيتها للشعب وتستخدم لمهاجمة الشعب ، سيدفعون ثمناً ثقيلاً . في هذا الإطار ، سواء كان الرئيس أو رئيس الوزراء أو الحكومة ، فسوف نتخذ الخطوات الضرورية ونقف منتصبي القامات»

اختفت الصورة على الهاتف مع قدوم مكالمة أخرى إلى هاتف الصحفية ، لكن صوت الرئيس استمر . قفز قلب فيرات إلى فمها لدى رؤيتها الاسم «نوح يلماز» وقد ظهر على الشاشة . على مدى المقاهي الليلية وغرف الجلوس في أرجاء البلاد كافة ، راقب الناس وانتظروا عودة صورة رئيس الجمهورية إلى الظهور . كان الكثيرون قد فكروا أنه قد جرى القبض عليه من قبل الثوار ، أو حتى أنه قتل ، لكنهم باتوا يراقبون وجهه وصوته في الوقت الحقيقي ، مباشرة ، وكأنه يحدثهم على هواتفهم الخاصة

ضغطت هاندة فيرات بلطف على زر الرفض لدى المكالمة الثانية فعاد وجه أردوغان إلى الظهور أجرى ملايين الناس زفرات الارتياح والانفراج وانتظروه ليكمل . وقف نوح يلماز في إحدى زوايا الطابق الأخير من مبنى الـMIT ونظر إلى هاتفه غير مصدق .

«تطالب في البداية أن أعاود الاتصال بها ثم لا تزعج نفسها بمجرد

تلقي مكالمتي . يا للنساء . . .» تمتم لنفسه .

استطرد الرئيس يقول «لن ندعهم ينجحون . أنا واثق من أننا سنتغلب على هذا العصيان بسرعة كبيرة . أحب أن أؤكد أننا نقاتل هذه القضية بأسلوب غاية في التصميم . لا يمتلك أي أحد القوة الكافية لاختبار تصميمنا في هذه المسألة» .

مالت فيرات إلى الأمام لتتكلم في الميكروفون الصغير : «آه ، سيدي الرئيس . . .» ولكن أردوغان استمر لأنه لم يسمعها «بالطبع ، أحب أن أستنجد بشعبنا . إنني أدعوهم للخروج إلى ساحات ومطارات مقاطعاتنا . دعونا نتجمع على شكل أمة في مطاراتنا وساحاتنا . فلتخرج هذه الأقلية بدباباتها وأسلحتها وتفعل كل ما يحلو لها . لم أشاهد قوة أعظم من إرادة شعبنا حتى هذا اليوم» .

اجتازت الشاشة مكالمة أخرى ، لتحجب وجه الرئيس للمرة الثانية ، ولكن حتى أثناء إكماله لخطابه ، كان الرجال والنساء على السواء قد هبوا واقفين في بيوتهم والمقاهي والمطاعم ليخرجوا إلى الشوارع . استمر خطاب أردوغان يرن في آذانهم بينما حمل الناس هواتفهم وقد رفعوا السماعات على أقصى قدراتها ، بحيث بات الصوت يتجاوب صداه عن جدران الدرجات والمرائب تحت الأرض . كادت الشوارع أن تصبح مهجورة قبل بضع دقائق في إستنبول وأنقرة فصارت الآن تعج بالمشاة ، أناس يتخلون عن السيارات في الزحمة حتى يتمكنوا من الوصول إلى التقاطعات الرئيسة والطرق السريعة والساحات العامة كما طلب أردوغان منهم أن يفعلوا . حمل الرجال الأعلام التركية البيضاء والحمراء ولفوها حول أكتافهم ، بينما سارت النساء إلى جانبهم ، مقسمات بالتساوي بين اللاتي يرتدين المناديل

على رؤوسهن ، والسافرات .

نهض قطب صناعة الإعلانات الشهير ومدير حملة الرئيس أردوغان الانتخابية ايرول اولجاك عن كنبته في بيته بإستنبول ومسح الثنيات عن قميصه الأبيض . كان ابنه عبدالله البالغ من العمر ستة عشر عاماً ، قد راقب خطاب الرئيس المرتجل بصحبته .

«أبي؟»

«ابق هنا يا ولدي . أنا لا يمكنني أن أدع هذه الليلة تمر وأنا باقٍ في بيتي» .

نهض عبدالله ووقف إلى جانب والده . لاحظ ايرول مدى غرابة أن يكون الصبي الذي حمله بين ذراعيه قبل فترة ، أطول منه قامة حالياً

«أنا كذلك ذاهب يا أبي»

«كلا ،» وضع ايرول يده على كتف عبدالله وابتسم ، مع أن عبدالله كان فطناً بما يكفي ليرى أن عواطف ايرول الحقيقية تصدر عن وجهه «ابقَ هنا مع والدتك . سوف أعود في وقت قريب . الوضع آمن تماماً كما قال رئيس جمهوريتنا ، لا يمكنهم أن يقاوموا الشعب . أبناء شعبهم» .

«إذا كان الوضع في منتهى الأمان ، فما هو الضرر من ذهابي معك؟»

ضحك ايرول ، اختفت لحظة الدراما العالية والتاريخ الحي الذي كان يراقبه على التلفاز طيلة الأمسية في هذه اللحظة المتجسدة بين الوالد وابنه . «آه ، لقد نسيت أنك عندما تبلغ السادسة عشرة فأنت تعرف كل شيء»

شعر عبدالله بالإطراء ولكنه أصر «أبي ، دعني أذهب معك»

«أنا لا أستطيع أن أمنعك ، هل أستطيع؟»

«حسناً ،» ابتسم عبدالله «ما كنت أرغب في قولها بصوت عالٍ ، ولكن –»

خرج ايرول باتجاه القاعة وهو يهز رأسه ثم تناول مفاتيح سيارته

***

خرج ثلاثة رجال ضخام الأبدان يرتدون أوفرهول عمال البناء السميك وصداري صفراء براقة من مطعم كباب شبه خال في أحد مناطق مشاريع البناء الإسكاني الجديدة الواسعة في منطقة ايتي مسجوت ، على أطراف ضواحي أنقرة الغربية ، وساروا حاملين طواقيهم بأيديهم ، متجهين إلى ساحة البناء حيث كانوا يحضرون لوردية العمل الليلي في إنشاء الطرق . سار الرجلان الأكبر سناً في المقدمة وهما يتكلمان في هاتفيهما ، بينما استمر الأصغر سناً الذي مازال في أوائل عشرينيات عمره بلحية محلوقة بنعومة ، يصغي إلى الأخبار ويبلغهم نتفاً من المعلومات بصوت عالٍ أثناء ذهابهم .

وصلوا إلى المدخل المغبر غير المسفلت لساحتهم ، وبدأوا يجمعون زملاءهم في العمل ، وصل المزيد منهم قادمين من محطات العمل القريبة حولهم ، حتى أصبح قرابة ثلاثين رجلاً يقفون في دائرة ثم أتتهم مجموعة من الأوامر الحادة . تحركت أولى مركبات الإنشاء الثقيلة ببطء خارجة من البوابة بعد دقيقتين ، وهي جرافة ، ثم حفارة وبعدها شاحنتان مخصصتان للعمل الشاق نزلوا من الشارع الجانبي شبه الخالي ثم بلغوا الطريق الرئيس ، حيث انضموا إلى تيار وقافلة السيارات والحافلات العادية ، متخذين سبيلهم جميعاً إلى داخل مركز

المدينة ، محتشدين وممتلئين بأناس غاضبين يلبون نداء رئيس الجمهورية

في ميدان التقسيم بإستنبول ، وفي وسط بيوغلو نفسه ، بدأت كاميرات الأخبار تعرض القلق في عيون الجنود الواقفين إلى جانب نصب الجمهورية ، فقد باتت عزلتهم واضحة حينما وصل الناس ليقفوا أمامهم مباشرة وبدأوا ينشدون في وجوههم .

ظهر اللون الأحمر للأعلام التركية مثل موجة فوق الامتداد الواسع للشارع العريض المخصص للمشاة تسلق رجل يحمل واحدة من هذه الرايات على النصب خلف الجنود ورفع الراية لرفاقه ليبدأوا في الهتاف . انضم إليهم رجال آخرون بلا تردد ، فعجز الجنود عن إيقافهم هتف آخرون بالشتائم بينما توسل آخرون الجنود . حدق معظم المجندين أمامهم مباشرة ، وعكست عيونهم القلق .

على بعد شارعين ، وبعد برج جالاتا وكنيسة القديس انتوني مباشرة ، اتخذت وحدات إضافية من الجنود في الشاحنات والدبابات طريقها إلى مناطق الخطر ، لكن كتلة الجماهير أصبحت كثيفة إلى درجة أن الناس اصطفوا على الأرصفة . تعاظم الضغط إلى درجة أصبح الناس معها يتساقطون عن ممرات المشاة المرفوعة ، يعاودون الصعود ويخرجون من طريق السيارات المصفحة المارة بهم مسرعة . في آخر الأمر ، ملَّ أحد الرجال وهو الذي ربط علماً تركياً على ظهره مثل رداء بلا كمين ، من الصياح والتلويح بقبضته إلى السائقين غير المهتمين ، فنزل متعمداً ليقف في وسط الشارع ، رافعاً ذراعيه إلى جانبيه وكأنه على وشك أن يحلِّق ، واقفاً بتحد أمام الطابور القادم مسرعاً . حيَّاه بعض الناس لكن معظم الآخرين صاحوا عليه ليعود ولا يخاطر بنفسه

أمام خطر محدق بلا ضرورة . وصلت المركبة العسكرية التالية إلى مسافة مئة ياردة عنه ، وهي عربة مصفحة مطلية بالأخضر . اتخذ خطوة إلى الأمام متجاهلاً صرخات الناس المحذرين ، لكن التأييد تزايد وتعاظم القلق بين الأكثر حذراً

صاح به أحدهم «إرجع !»

قام الرجل بثني ذراعيه - هو حليق الرأس ، بعضلات بارزة ، لحيته نابتة لعدة أيام ، يرتدي بنطال جينز وتي شيرت تحت العلم - ثم اتخذ خطوة أخرى

لابد وأن سائق السيارة القائدة قد شاهده ، لأن زمور العربة انطلق ، لكنه لم يتوقف ، ولا حتى تباطأ . بدلاً من ذلك ، استمر في الإسراع في الشارع ، باتجاه الرجل تماماً . في اللحظة الأخيرة ، أدرك الرجل أنهم لن يتوقفوا ، وحاول أن يرمي بنفسه خارج المسار ، لكنه تأخر كثيراً أصابته ناقلة الجنود المدرعة في كتفه بصوت مؤلم فانفتل في الهواء ، خارت ساقاه ، طار العلم خلفه . انسلخت فردة حذائه الخفيف الأبيض والأسود عن قدمه وسقطت على الناحية الأخرى من الطريق ، حيث ابتعد المتفرجون عنها وكأنها متفجرة . نزل الرجل على الأرض بعيداً عن مكان وقوفه بحوالي ثلاثين قدماً ، جسمه مقلوب بوجهه إلى الأسفل وساكن كلي بدرجة مرعبة . حتى لحظتها ، لم يقدر أحد أن يركض لمساعدته لأن مركبات الجيش استمرت في طريقها بأقصى سرعتها ، غطى معظم الواقفين عيونهم مخافة أن تعاود إحدى المركبات دهسه ، ولا تترك شيئاً غير كتلة حمراء حيث كان يوجد الشخص . أصبحت الصرخات الآن هستيرية ، من قبل الرجال والنساء على السواء ، تشق الآذان في حجمها . فقد تم إيجاد شهيد هناك على

الشارع ، بدون ضرورة ، وتحول الجمهور في لحظة من أناس معترضين إلى متشددين .

***

في غرفة السناتور ، كان ستيف والآخرون يشاهدون خطاب أردوغان بتركيز شديد .

«إنه على الواجهة - يا يسوع المسيح ،» شتم كيپ هامساً ، فرك ستيف ذقنه ونظر باتجاه السناتور . كانت جالسة على حافة السرير ، تواجه الشاشة وقد التف مستشاراها حولها واقفين .

سألت «ما الذي يحدث الآن؟»

«إن الوضع كما قلنا تماماً» . أبقى الإمعة الثاني إحدى يديه في جيبه «لم يغلقوا محطة توركسات ، ولذلك فإن القوات المستقلة ومقدمي خدمة الانترنت ما زالوا عاملين . مساندو أردوغان يحتلون التويتر كل خيط . هناك أخبار تنقل حية من المدن على الپريسكوپ . الناس يرتدون شعارات التأييد ويذيعون اعتراضهم على الهواء مباشرة . يقوم مؤيدو الحكومة وموظفوها بتنسيق مؤيديهم للذهاب إلى أمكنة معينة وممارسة الضغط على الجنود هناك . لدي مدير حملة أردوغان الصحفية وها هو ذاهب حالياً إلى جسر البوسفور مع ابنه»

«لقد قلت لك ،» نظر كيپ إلى ستيف أثناء كلامه «إنه انقلاب في القرن الحادي والعشرين باستخدام كتاب ألعاب القرن العشرين . ربما يحسن بهم أن يطبعوا المنشورات ويرسلوا البرقيات»

استدارت السناتور نحو ستيف «كنت أعتقد أن لديك شخصاً ما يقوم بتوجيه الناحية الأخرى من الجزر ، صح؟»

هزَّ ستيف رأسه «البروفيسور . نعم . إنه موجود هنا . لقد قابلته كان ينبغي عليه أن يتوقع حدوث هذا» .

«فلماذا لم يتوقع حدوثه؟» أراحت السناتور كلتي يديها إلى جانبيها على مفرش السرير

«حدسي هو أنه لأن المخططين اضطروا إلى تقديم الموعد كثيراً ، لم تكن هناك طريقة لتوقع جميع هذه النتائج . تذكري ، كان يفترض في هذا الأمر أن يحدث في الساعة الثالثة صباحاً . بدون أي سابق إنذار . لم يكن يفترض وجود أي شخص مستيقظاً . وهم الآن قد فقدوا عنصر المفاجأة ويقومون بالارتجال على قدر استطاعتهم . وتقوم الحكومة بالارتجال رداً عليهم مباشرة . لقد تلقيت خبراً مفاده أن فريق الاختطاف قد تم إرساله وأنهم مازالوا يحاولون الاستيلاء على مركز القيادة»

«وهكذا فما هي احتمالات النجاح الآن؟»

نفخ ستيف خديه ، حبس أنفاسه ثم أطلقها مع شهقة «خمسون بالمئة . مازال هناك الكثير من المعارضة في البلاد . سيرتفع ذلك الرقم بحدة إذا قبضوا على أردوغان ، ولكن بدونه فإن الأمر أشبه بقذف قطعة نقود في الهواء»

«هل تقصد حرباً أهلية؟»

نظر ستيف إلى التلفاز بينما تغيرت الصورة على الشاشة من أردوغان على الهاتف إلى شارع في مكان ما من إستنبول . ثلاث دبابات تحاول أن تخترق حشداً هائلاً متجمعاً عند مفترق طرق . محتجون ، جميعهم من الرجال ، قفزوا إلى الأبراج وأخذوا يدقون بقبضاتهم على الفتحات ، في محاولة لفتحها عنوة توقفت الدبابات

الأخرى خلفها غير قادرة على الخوض عبر المحتجين . قال ستيف «قد لا يصل الأمر إلى ذلك» .

***

اتخذ موكب الإنشاءات الذي اتخذ شكله في البداية داخل مطعم الكباب في حي ايتي مسجوت بأنقرة ، طريقه عبر الأحياء الجديدة المحيطة بالمدينة ، ملتفاً حول السياج الخارجي لقاعدة الوحدة المدرعة . نظر إليهم مؤيدو الحكومة والمحتجون على السواء الذين أصبحوا الآن يرتدون الألوان الوطنية البارزة ، بشيء من التردد في البداية ، ثم لاحقاً ، عندما توقفت الحفارة الطويلة أمام المدخل الرئيس للقاعدة ثم أغلقته كلياً ، بدأ الناس بالتهليل . لحقتها بقية الجرافات والشاحنات وآليات التحميل ، وقد ملئت جميع دلائها بالرمال ، كل آلية تتوقف إلى جانب أحد المداخل إلى القاعدة على طول محيطها البالغ طوله أميالاً وتغلقها كلياً . بعد أن اتخذت الآليات مواقعها ، أقفل كل سائق مكابحها ، خرّب أكثر ما أمكنه من أجهزة السيطرة ، بأن سحب الأسلاك من تحت لوحة قياس الأجهزة ثم النزول عنها وتكسير مفاتيح أبوابها في ثقوب المفاتيح أثناء انصرافهم . راقب الخفراء الذين يؤدون مهامهم من أكواخهم وأبراج استكشافهم بينما ذاب السائقون بطواقيهم الصفراء الصلبة بين الحشود ، والرجال يربتون على ظهورهم ويحمدون الله سبحانه وتعالى أثناء مرورهم بهم .

***

انتظر ليڤانت بصبر حتى يتصل هاتفه ، وظل يبتسم للفريق الخشن الذي جمعه حول شخصه . تخلوا عن أزياء الـOKK وارتدوا قمصانهم المضادة للرصاص تحت قمصانهم العادية ، ووقفوا على

المنحدر داخل المرآب الواقع تحت مبنى قيادة الـMIT وقد هدأت الآن أصوات القتال لتصبح أصوات هدير خافت في البعيد، مثل عاصفة قصية في ليلة صافية. الرجال الذين أمكن الاستغناء عنهم هم مزيج من مجندي القوات الخاصة الجدد صغار السن، بضعة من رجال المخابرات ذوي الملابس المدنية القريبين من سن التقاعد، والمحللين الاثنين اللذين كانا ضباطاً أثناء أدائهم للخدمة الوطنية الإلزامية أحسّ ليڤانت بقليل من الخيبة لأنه لم يتمكن من جلب ارمين وصدري، لا لشيء إلا ليرى النظرة التي ترتسم على وجهيهما عندما يضطران إلى التخلي عن حماية شاشتيهما، لكن هذه المعركة أصبحت رقمية بقدر ما هي جبهات خطوط أمامية، وهناك حاجة إلى كل من رجلي تقنية المعلومات في الطوابق العليا. هناك، تضمن مهاراتهم الحاسوبية بقاء الخطوط الحكومية بحالة سليمة والاتصال بين الفروع المختلفة للدولة يظل مفتوحاً بين الحواسيب. طرطق النغم على هاتف ليڤانت في الطرف الآخر وقال صوت «هل أنت حي؟»

«هذا صحيح» قال ليڤانت «هل يمكنك أن تقول الشيء نفسه يا بوراك؟»

«يمكنني، لكنني لست واثقاً من أنني أريد ذلك. أين أنت؟»

«أنا في القيادة العامة للـ MIT، بطريقة ما، ولدي حمولة أرغب في توصيلها. الأمر عاجل وملح تماماً. هل تظن أنك قادر على المساعدة؟»

على الرغم من الضغط الهائل الذي يتعرض له بالضرورة، استمر بوراك في إبداء التفاؤل.

«الصحيح أنني أخشى كوني منشغلاً بعض الشيء في هذه

اللحظة ، يا صديقي القديم . القضية هي أنه تبين وجود مجموعة من المجانين قامت بارتهان الجيش وهم يحاولون أن يستولوا على البلاد ، بدءاً من مخافر الشرطة ، تتعرض المديرية المركزية لوابل من النيران على مدى ساعات . ألم تسمع؟»

«ذلك هو سبب حاجتي للتحدث إليك» ركع ليڤانت إلى جانب مدافع الدوشكا المفككة ، الموضوعة على الأرض بكل قطعها المتنوعة تم العثور على بطانيات قديمة للفها تمهيداً للنقل «نحن مضطرون لحماية مجلس النواب»

قال بوراك «إذاً احصل على السلاح أنا متفاجئ لأنك لم تفعل حتى الآن»

«لا أستطيع أن أقول أكثر مما ينبغي على الهاتف» عاود ليڤانت الوقوف «لقد حذروني من احتمال وجود آذان منصتة في كل مكان . كلا ، ما أحتاج إليه هو التواصل مع ابن عمك - أنت تعرف الشخص الذي أخبرتني عنه سابقاً - أليست لديه صلة ما بالأمن في مجلس النواب؟»

«نعم ، هو يعمل على الباب»

«هل تعرف ما إذا كان موجوداً هناك الآن؟»

«نعم ، لقد دأب على الدوام الليلي مؤخراً» اتخذ صوت بوراك نغمة مختلفة أقرب إلى التعب . «لقد دأبت أمه على إخبار أمي بكل التفاصيل»

«جيد ، أخبره أن هناك سيارتين غير معلمتين قادمتان إلى المجلس الوطني . يتحتم عليه أن يدخلنا من طريق خلفية . هل تستطيع أن تتصل به؟»

«هل تظن أنهم يسمحون لأي شخص بالدخول إلى هناك حالياً؟»

«ليس من خلال البوابة الأمامية ، ولكن لا بد من وجود طريقة خابره»

وافق بوراك ، مع شكوك وشكاوى وتذمر ، وأصدر ليڤانت أمره إلى فريقه بالمباشرة في التحزيم . عندما تم تفكيكها ، فقد اتسعت أربعة مدافع دوشكا في صندوقي سيارتين صالون بطريقة إعجازية ، سيارة فورد فوكاس سوداء ورينو بلون أخضر غامق . بلغ مجموعهم ثمانية رجال ، اثنان في المقدمة واثنان في مؤخرة كل سيارة

تفحص ليڤانت الرجال لدى اقترابهم لركوب السيارتين ثم نفض رأسه

قال «لا ، هذا زائد عن الحد . أنت وأنت -» أشار إلى واحد من رجلي الـMIT ذوي الملابس المدنية وأحد رجال القوات الخاصة «ابقيا أنتما الاثنان هنا» . رجل الملابس المدنية كبير السن وعميل الـOKK تبدو عليه سيماء الجندية واضحة

«بقيتكم - إذا تم إيقافنا ، سأتولى الكلام . نحن فريق كرة قدم خماسية نحاول أن نعود من مباراة ، وقد اخترنا الليلة الخطأ لعبور المدينة . أبقوا الأسلحة مخفية عن الأنظار . هذه العملية بحاجة إلى السرية . غير منظورة مطلقاً»

هزَّ جميع الرجال رؤوسهم وقفز ليڤانت إلى مقعد السائق في السيارة الأولى ، الرينو . لوَّح للحراس الخافرين عند البوابة تحت الأرضية فرفعوا الحاجز ليسمحوا لهم بالخروج . قادوا السيارتين إلى العراء ببطء ، وقد انتابهم إحساس بأنهم أول الناس الخارجين إلى منطقة خطرة وغير مروضة

«كـيـف حـدث أنـهم لـم يحـاولـوا أن يدخلوا إلـى البـنايـة من هـذا الطريق؟» سأل رجل الـOKK الجالس في مقعد الراكب ، وهو ينظر إلى الشوارع الجانبية المهجورة التي يؤدي إليها منحدر موقف السيارات .

«لا أعرف» قال ليڤانت ، وهو يدير عجلة القيادة ويتفقد قدوم أي سير

«هل هو قصـور في التـخطيط؟ أم قـصـور في أعـداد الرجـال؟ من الذي يمكنه أن يتحرز؟»

«إذا رأيت أياً منهم -» سحب الجندي الفتي أقسام مسدسه عيار ٩ مللميتـر الآلي بين ركبتيه ، بحيث جعله يطرطق كـما يفـعلون في الأفلام

«حافظ على هذا بعيداً عن الأنظار» قال ليڤانت ، فجاء صوته في مثل برودة مسمار فولاذي ضخم . «إذا خضنا في أي قتال فسوف نموت ، هل تفهم؟» ألقى نظرة إلى المقعد الخلفي حيث جلس جنديان آخران . «لا تطلقوا النار إلا كإجراء أخير . نحن بحاجة إلى إيصال هذه الأسلحة إلى المجلس الوطني تلك هي المهمة لا شيء آخر»

حلَّ الصمت وتصالب ليڤانت في الجو المتوتر أنزل الشباك ليدخل بعض الهواء . الجو دافئ وجلب معه صوت تبادل إطلاق النار

التفت الجندي الجالس في المقعد الأمامي إليه «هل أنت ذاهب عبر المنتزه؟»

«ماذا؟ وهل تعتقد أننا يجب أن نجرب حظنا في بوليڤار أتاتورك؟» رد عليه ليڤانت . «لديهم دبابات خارجة ، سيكون المكان كله مغلقاً من قبل الـFETO وحشود الناس . لن نتمكن من العبور ، أفضل ما يقدروا

على وجوده في المنتزه هو رجال مشاة ، أو ربما سيارات مدنية مثل هذه» .

«الأمر في غاية الجنون» قال الجندي .

وفجأة كانوا ينزلون إلى عتمة منتزه الشباب (جينتشليك پارك) يقودون على ممر المشاة تحت الأشجار . كانت هناك قلة من الناس يتجولون في الأنحاء ، وتحركوا مبتعدين عن طريق السيارتين المتقدمتين بأناة ، ينظرون داخل الشبابيك ليروا من هم الموجودون في السيارات . بادلهم الجنود النظرات بتحديق خالٍ من التعابير ، فعاد معظم المتمشين وأشاحوا بوجوههم ، مستمرين في المشي ، تاركين السيارتين تمضيان عنهم .

بدأ هاتف ليڤانت يرن .

«بوراك؟»

«نعم ، لقد استطعت أن أتصل مع باكير . يقول ان الـFETO منتشرون في كل مكان عند المقدمة ، ولكنهم ليسوا بتلك الكثرة عند الزاوية الجنوبية الغربية للمجمع . وعلى ما يبدو ، فليس هناك شيء غير الجدران العالية . ابحث عن بوابة معدنية عالية وأومض بأنوار سيارتك ثلاث مرات عندما تصل إلى هناك . إنها على زاوية شارعي هانوزلو وجوڤينليك . إنها قديمة ومثبتة في الجدار مباشرة . لم يعد أحد يلاحظ وجودها» .

«أنت رجل فاضل يا بوراك . كيف أنتم صامدون حيث أنتم؟»

«سوف نصمد وغضي الليلة . لقد شاهدنا الأخبار . قام الرئيس بالنداء إلى الشعب للخروج» .

«ولكن هل يعرفون مكان وجوده؟» سأل ليڤانت .

«كلا . أعتقد أنك سمعت بذلك ولابد - خاصة مع تواجدك في وسط الحدث هناك»

«لم يخبرني أحد بأي شيء ، وهكذا إذا كانوا يعرفون فهم يتكتمون عليه» .

«وهو ما يتحتم عليهم عمله» . قال بوراك «حظاً سعيداً أيها الصديق»

«لك أيضاً» نظر ليڤانت إلى الأسفل لثانية لينهي المكالمة ، وفي اللحظة نفسها ، صاح الجندي الجالس بقربه «توقف !» داس ليڤانت على المكابح بقوة ورفع عينيه ليرى صفاً من الجنود النظاميين بأزيائهم الخضراء المموهة واقفين يسدون طريقهم . أدرك ليڤانت أنهم عند حافة بحيرة المنتزه تماماً ، وقد كاد هو أن يقود إلى داخلها .

رفع المسؤول ، الأومباشي (العريف) كما يستدل من شرائطه ، يده مثل حارس مار ومشى إلى باب السائق . أبقى رباط مسدسه منخفضاً وقرب وجهه من الشباك ثم نظر إلى الرجال الأربعة بالتناوب .

سأل بهدوء «الى أين أنتم ذاهبون؟»

تحرك المارة مثل الأخيلة على جانبي السيارة ، يلقون بنظرات سريعة على الجنود وركاب السيارة بدون أن يتوقفوا

«نحن نحاول أن نصل إلى بيوتنا يا سيدي» أجاب ليڤانت .

«لعبة كرة القدم المخصصة ليوم الجمعة . كنا نلعب ضد فريق هناك قرب الاستاد» .

«هل أضعتم الطريق؟»

«لا ، لا» أجبر ليڤانت نفسه على الضحك . «الشوارع ملأى بالناس والدبابات . ما الذي يحدث؟»

«والى أين أنت ذاهب؟» لم يكن وجه الاومباشي يبتسم .

«قرب التين پارك »

«التبن پارك؟ وهل تظن أنك ستقود عبر ذلك المنتزه أيضاً؟»

«كلا يا سيدي . نحن فقط لم نشعر بالأمان في الشوارع . حاول بعض الأشخاص أن يفتحوا الأبواب هناك في البولڤار ونحن -»

«جئتم لتقودوا عبر المنتزه» أنهى العسكري . نظر إلى السيارة الخلفية مرة أخرى بادله رجلا الـMIT التحديق . قال «هناك ستة منكم . لابد وأنهم كانوا شباناً شجعان لمحاولتهم الهجوم عليكم خاصة شبان يبدون مثلكم . ماذا تفعلون في منطقة التين پارك؟»

«شركة هندسية» كلما طال أمد هذا الاستجواب ، تعاظمت احتمالية أن يحدث خطأ ما . ازدرد ليڤانت ريقه وابتسم .

«أنتم مهندسون» قال الأومباشي موافقاً «هناك حركة بناء نشيطة هناك ، أليس كذلك؟ وهل أسكنوكم في أمكنة مشرفة على المنتزه؟»

«ذلك هو ما حدث يا سيدي» . ابتسم ليڤانت .

تراجع الأومباشي قليلاً «أخرجوا من السيارتين »

رفع ليڤانت يديه مستغرباً «سيدي؟»

أشهر الجنود الثمانية الواقفون أمامهم أسلحتهم .

«نفذ ما أقوله -» ابتعد الأومباشي ليمكنه من فتح الباب . أدار ليڤانت المقبض وخرج من السيارة . تناهت إلى أسماعهم أناشيد دينية ممتزجة مع أصوات طلقات من أسلحة صغيرة العيار قادمة من الشوارع الخارجية ونازلة من فوق الأشجار . وقف ليڤانت ساكناً أمام باب السيارة .

«ابتعد عن السيارة» قال الأومباشي نفذ ليڤانت ما طلب منه

وقام الأومباشي بإعطاء إشارة للرجال الآخرين لكي يتقدموا «أنتم أيضاً» .

قام ليڤانت بخطوة أخرى تجاه الرجل ، متحركاً إلى يساره قليلاً حتى أصبح الأومباشي بينه وبين الرجال الواقفين أمامهم . انفتحت أبواب السيارة الثلاثة الأخرى ببطء .

«أسرعوا»

اقترب ليڤانت أكثر قليلاً . نظر الأومباشي إليه ، غير متأكد للحظة ما إذا كان الرجل الذي لا يبدو عليه أنه مسلح يقوم بما يفكر أنه يقوم به . توقف كلاهما بينما انداح فوق رأسيهما صوت جارح ، خشن كالحصى ومتدحرج . توقف كل الحاضرين عن فعل ما كانوا يفعلونه ونظروا إلى الأعلى باتجاه القسم السفلي من طائرة اف ١٦ مقاتلة ، واضحة كلياً في سماء الليل وتطير منخفضة إلى درجة جعلتها تبدو وكأنها على وشك أن تنتف الشعرات عن قمتي رأسيهما . انقضت مثل طير جارح ثم عاودت الارتفاع في المدى باتجاه محطة القطارات .

قفز ليڤانت على الأومباشي ، كوّر ذراعه الأيمن تحت رقبته وثبت ذراعه الأيسر إلى الخلف من المعصم . أمسك به هناك مثل درع وصاح على رجاله ليلقوا أسلحتهم .

أخرج رجال القوات الخاصة والـMIT الجالسين في السيارتين أسلحتهم الرشاشة التي كانوا يخفونها عند أقدامهم وأشهر الرجل الجالس في جانب الراكب مسدسه الآلي . بدأ الجنود يصرخون كلهم في الوقت نفسه ، يشيرون ببنادقهم ويصيحون على ليڤانت ليترك زميلهم الأومباشي . قاوم الرجل وأصبح ليڤانت ، الأخف وزناً بينهما ، يواجه صعوبة في الإبقاء قابضاً عليه

زأر فيهم «ألقوا أسلحتكم !» أطلق بقية أفراد مجموعته النداء نفسه . بدأ التردد يظهر على الجنود ، تتقافز أسلحتهم نتيجة حركاتهم الفجائية غير المتزنة . «استسلموا !» نادى ليڤانت من فوق رقبة الأومباشي . حاول الرجل أن ينسحب إلى يمينه ولاقى ليڤانت صعوبة جمة في إيقافه ، لكنه ألقى بنفسه إلى أعلى فنزلت خوذته على شفة ليڤانت العليا تحت الأنف مباشرة . جاء عنصر الألم والمفاجأة قويان إلى درجة كافية لتجعله يفلت من قبضته وتحرر الأومباشي . في الثانية نفسها ، فتح أفراد القوات الخاصة النار بصليات مميتة من رشاشاتهم ال MP5 ، بينما أردى راكب ليڤانت الأومباشي بطلقتين من مسدسه راقب ليڤانت الجنود الذين لم يصابوا وقد تبعثروا فارين .

«هيا بنا» صاح فيهم خلفه ، وقد بدأ يتحرك . «دعونا نسحبهم خارج الطريق ونخرج من هنا» .

«إنهم أموات – فقط ادهسهم وقد السيارة من فوقهم» كان راكبه مستنداً إلى باب السيارة ، مسدسه الآلي يطلق الدخان من فوق الشباك .

قال ليڤانت «الأفضل لك أن تركب في السيارة الأخرى بعد أن ننهي عملنا . ولا تكلمني من الآن فصاعداً أبداً»

«لا بأس» قال الشاب «فهمتك»

بات ليڤانت واثقاً من أن غضبه سيكون نداً مناسباً لاحتقار الفتى ، لأن ذلك هو ما كان الفتى يمثله في نهاية الأمر

خرجوا من بوابة المنتزه التالية ، واخترقوا الشوارع الرئيسة من هناك وحتى وجهتهم . بدون أن ينظر أي منهم إلى صفوف الناس وجموع الجنود الذين مروا عن النوافذ ، وبدون أن يبتعد صوت الحرب في

شوارع عاصمتهم عنهم . برغم الطريق الالتفافية ، التي وصفها بوراك لليڤانت حتى توصله إلى الجهة الخلفية من المجلس الوطني ، تمكنوا من الوصول وقام ليڤانت بالإشارة ثلاث مرات بأنوار سيارته كما قيل له زعقت البوابة الحديدية القديمة الصدئة ببطء حتى انفتحت ، وكأنها لم تفتح منذ تاريخ تأسيس الدولة نفسه ، وقاد ليڤانت سيارته داخلاً تلاحقه السيارة الأخرى .

الفصل السادس والعشرون

ظل الحشد على الجهة الشرقية من جسر البوسفور يتعاظم بثبات لأكثر من ساعة . وقف آيدين مع سريته في طابور وراقبوهم . كان هناك العديد من الشبان في مثل أعمارهم ، وكانوا غاضبين - وقد بدأ منظرهم الخارجي يتخذ شكل الرعاع مع مرور الوقت .

قال ايلكر «هذا جنون ، انظر الينا - لدينا بضع شاحنات ، وليس لدينا أي معدات لمقاومة الشغب» .

«لدينا دبابات» كان آيدين يحمل بندقيته في وضعية الأمان ، ولكن لم تنفعه معرفته أنه لا يرتدي غير تي شيرت تحت صدرية الكيفلار المضادة للرصاص التي بدت خفيفة فجأة .

لم تكن لديه أي حماية لوجهه سوى نظاراته الشمسية التي بالكاد تبقي الهوام بعيدة عن عينيه كان قد شارك في تمارين للسيطرة على الجماهير في فصل الربيع ، تحت إشراف ضباط شرطة وخبراء معمرين من جهاز الدرك كانت أشكالهم أقرب إلى رجال المغامرات من الصور المتحركة من أي شيء آخر . لكنهم كانت لديهم حماية لسيقانهم ووجوههم ، قطع معدنية مسطحة تنزلق فوق أذرعتهم ، خلف درع الشغب المعد للمهمات الصعبة

«ماذا نسمي هذه؟» سأل ايلكر يومها وهو يعرض ذراعه «إنني أشعر وكأنني الرجل الوطواط» .

أجابه آيدين «قفازات واقية . تماماً مثل التاريخ القديم»

ابتسم ايلكر وأدى بعض حركات القتال بالأيدي إلى أن صفعه النقيب على مؤخرة رأسه وأمره بأن يكف .

رفع ايلكر عينيه باتجاه الدبابات في هذه اللحظة وحدق بآيدين معترضاً «ماذا ستنفع هذه؟» أصبح بوسع آيدين أن يشعر بأن الحشد القادم نحو الجسر قد بدأ يغضب . فقد راقب ما يكفي من مباريات كرة القدم عبر السنوات ليعرف أن القذائف والمشاعل يمكن أن تقذف ، وأنهم تنقصهم المعدات بدرجة مؤلمة للتعامل مع مثل هذا الاحتجاج .

«حقيقة –» بدأ القلق يظهر في نبرة إيلكر «هذا جنون مطبق . ما الذي نفعله هنا؟ نحن نرتدي ملابس لا تصلح إلا لميدان الرماية»

«اصمت» أسكته آيدين «اليوزباشي (النقيب) قريب منا تماماً»

أدار إيلكر عينيه باتجاه النقيب بشيء من الضيق ثم مال أقرب ليتكلم في همسة خشنة :

«حسناً ، يتحتم علينا أن ندرك هذه الأمور . يفترض فينا أن نحتفظ بالجسر؟ ممتاز . ولكن بمجرد شاحنتين؟ وبضع دبابات خلفهما؟ بدون حواجز . ما هذا؟ إنه أطول جسر في العالم ! نحن بطات جالسة جاهزة للاصطياد»

«اصمت!» بدأت عصبية إيلكر تصيب آيدين بالعدوى . وجد نفسه يرتعش برغم الليلة الدافئة . أصبحت الأناشيد والصرخات من الحشد تتعاظم وتتشدد .

لقد كانوا يحمسون أنفسهم تمهيداً لعمل ما . أدرك ذلك في قرارة نفسه

أصبح كل شيء واضحاً بالنسبة لآيدين بشكل مفاجئ . ينوي

الحشد التقدم باتجاههم . لم يكن لديه ولا لدى وحدته أية وسائل لردعهم ودحرهم سوى الطلقات الحية . لقد كانت أعدادهم أقل من الحشود بكثير ، وفي غياب معدات مقاومة الشغب الذي يعرف مدى ضرورته لردع مثل هذا الحشد ، فسوف يضطرون إلى البدء بإطلاق النار

«أرجوك يا الله ، أرجوك يا الله» قال لنفسه مراراً وتكراراً . «غاز مسيل للدموع ،» قال لحظتها بصوت عالٍ .

زم ايلكر الذي كان غارقاً في أفكاره وسط دوامة الصرخات والصفير من المحتجين القادمين ، زم حاجبيه «ماذا؟»

«غاز مسيل للدموع !» قال آيدين «بوجود الغاز المسيل للدموع لن يتمكنوا من الاقتراب من الجسر ، هل سيتمكنون؟ سوف يضطرون إلى التراجع»

«ليس لدينا غاز مسيل للدموع» قال إيلكر «وعلى أية حال فإن الغاية من وجودنا هنا هي إبقاء الجسر مفتوحاً حتى يحضر رفاقنا . لن يتمكنوا من قيادة الشاحنات إذا لم يتمكنوا من الرؤية ، هل سيفعلون؟»

«كلا ، لا أفترض ذلك» قال آيدين وقد اعترف بخطأه .

بدأ المزيد من الضباط يتجولون حولهم الآن ، وهم الذين يمكن تمييزهم عن الجنود الأنفار العاديين بحقيقة أنهم يرتدون قبعات طرية محددة القمم ، شبيهة بقبعات كرة المضرب .

«ما الذي يفعلونه؟» سأل اليوزباشي الأومباشي ياكين «هناك منع تجول ساري المفعول . إنهم يخالفون القانون بوجودهم هنا»

«أعتقد أنهم ينوون العبور يا سيدي» جاء الجواب .

«حسناً ، نحن لن نقبل بهذا . أحضر الرجال إلى مقدمة الدبابات . أخبر الرجل المسؤول عن البرج بأن يدير المدافع لتواجههم

اجعلهم يعرفون أننا لن نتهاون ولن نمزح»

«حاضر سيدي» أدى الأومباشي ياكين التحية وانفتل على عقبيه «لقد سمعتموه» صاح بأفراد السرية «تحركوا للأمام . اتخذوا مواقعكم أمام الدبابة»

تبع آيدين بقية زملائه وهو يشعر بعقدة أشبه بكرة بولينج في وسط أمعائه ، واصطف معهم جعل الجميع بنادقهم على أكتافهم

في الناحية القصية من الجسر ، في النقطة التي يتحول فيها طريق إستنبول الدائري إلى ممر علوي لطريق الممر العلوي ، انهمك ايرول اوجاك وابنه عبدالله في المسير عند مقدمة الحشد . نظر عبدالله إلى وجه والده المفعم بالكبرياء ، يرفع رأسه عالياً ، بارزاً من بين المحتجين الآخرين بقميصه الأبيض الناصع الذي يرتديه كل شخص آخر حولهما يرتدي بنطال جينز أو أنه ترك ذيل قميصه يتدلى خارجاً ، إلا ايرول . تجمع الناس حوله لأنه بدا واثقاً وصاحب نفوذ ، ومشى عبدالله بكبرياء وقد تطاولت قامته لمجرد وجوده قريباً منه

تعرف عليه البعض من مقابلاته التلفازية وصافحه ، ليخبره هذا البعض أنهم يدعمون الحكومة والرئيس - وأنهم يستمدون الشجاعة لمعرفتهم أن رجلاً مثله يقف معهم في الساعة التي يتعرض الوطن فيها إلى الخطر . أطلق الجنود الواقفون أمامهم على الجسر تصريحات من خلال مذياع عادي ، إلا أن الناس لم يتمكنوا من سماعها بسبب ضخامة أصوات اعتراضاتهم .

سمع عبدالله أحدهم يصرخ «من هم هؤلاء الأشخاص بكل الأحوال؟ من يظنون أنفسهم؟ الله سبحانه وتعالى؟»

«لن ينهزم الشعب أبداً» أعيدت الصرخات وتكررت ، وجاء الرد عليها بقول الله أكبر .

رفع ايرول وعبدالله ذراعيهما عالياً أثناء سيرهما ، وانضما إلى الهتافات .

وراء صف آيدين مباشرة ، بات اليوزباشي يرغي ويزبد «ما الذي يفعلونه؟ لا يمكنهم أن يعبروا هذا الجسر !» وقف فوق جنزير الدبابة وزعق بالأمر على رجاله «خذوا وضعية الارتكاز ، وجهزوا أنفسكم لوضع الرماية !»

طبق آيدين الأوامر بينما فكه يطحن لشدة الغيظ ، وركع مع الآخرين . انتابه شعور غير واقعي . هو جالس على مؤخرته في وسط طريق عبرها لمرات أكثر مما يمكنه تذكره ، يراقب كتلة من مواطني بلاده يسيرون باتجاهه حثيثاً . لم تكن بساطة الموقف التي جعلته يشعر بأن هناك أمراً خاطئاً . بل هو الكابوس الكامل الذي ألفى نفسه فيه . أضواء صفارات الإنذار المستمرة في الوميض ، خفقات هدير المروحية التي تحوم فوق سياج الجسر مباشرة ، وقد وجه المدفعي الجالس فيها مدفعه الرشاش نحو الحشد أيضاً . هل هذه ثورة؟ إلى أي جانب يقف هو؟ لم يكن هناك متسع من الوقت لأن يعترض شخصياً أو حتى يفكر . لقد وصل قسم من الحشد إلى طرف الجسر نفسه وصعدوا إليه ، مع وصول الأغلبية إلى مسارب السير خلفه مباشرة .

باتوا يقتربون ويحتشدون إلى يمين الجنود ، مستخدمين حاجز الاصطدام الذي يقسم اتجاهي الجسر كتغطية لهم . تناول اليوزباشي جهاز اتصال من قائد الدبابة وأمره أن يفتح المذياع .

«هناك أمر منع تجول نافذ بأمر من القوات المسلحة التركية» قال

وكأنه يوجه أوامره إلى ضابط مرشح «عودوا إلى بيوتكم»

رأى ايرول أولجاك الضابط المسن واقفاً على الجنزير والمذياع أمام وجهه ، وأحسَّ مثل كل الآخرين أنه يأمرهم بالعودة ، ولكن لم يكن هناك شيء قادر على إيقافهم الآن .

«إنهم يقولون لنا أن نعود إلى بيوتنا !» قال أحد الرجال القريبين «الله أكبر !»

تعاظم النشيد في قوته إلى درجة أنه أغرق حتى صوت المروحية الحائمة فوق النهر .

«الله أكبر ! الله أكبر !»

صاح بهم اليوزباشي «تفرقوا وأخلوا المنطقة !»

لم يؤت الأمر أية فائدة «لأجل رجب ! لأجل أردوغان ! لأجل حزب العدالة والتنمية !»

صاح ايرول . صاح آخرون مؤيدين «أردوغان ! أردوغان ! أردوغان!»
رفع الأب والابن قبضتيهما في تحدٍ واضح للعصاة .

حاول اليوزباشي مرة أخرى «هناك منع تجول ساري المفعول ! تراجعوا !» راقبهم للحظة أخرى ثم قفز نازلاً عن الجنزير

أصدر أمره إلى الأومباشي ياكين «أطلقوا طلقة تحذيرية»

«حاضر سيدي» نظر الأومباشي تحته إلى الرجل الأقرب إليه «ايلكر ، ذلك يخصك أنت . أطلق رصاصة»

راقب آيدين بينما قام صديقه بحل زر الأمان عن رشاشته الهيكلر آند كوتش وأطلق رصاصة فوق رؤوس الحشد . حدثت موجة من الحركة في صفهم ، تردد للحظة أو رجفة ، وبعدها استأنفوا القدوم نحوهم ، أكثر تصميماً من ذي قبل

«أطلق النار مرة أخرى» قال الأومباشي «كما تريد»
رفع ايلكر رأسه «سيدي؟»
«فوق رؤوسهم !»

فكر آيدين أن ايلكر أحس بالانفراج حينما وجه سلاحه مرة أخرى وأطلق صلية من سلاحه الآلي - تجاوبت أصداء الطلقات هذه المرة وأدت إلى بعثرة الجماهير ، ليحتموا بحواجز الطريق الجانبية أو ينبطحوا على الأرض تماماً . اختبأ بعضهم خلف إشارات الطرق الكبيرة استغرق الأمر أقل من عشرين ثانية بعد انتهاء ايلكر من إطلاق النار ليدرك الناس أن أحداً لم يصب بأذى فجددوا هتافهم وسخريتهم

كان ايرول اوجاك وعبدالله قد ركعا على ركبهما ، لكنهما نهضا الآن وبدأ ايرول يسحب ابنه إلى ناحية الرصيف الواقع بين جانبي الجسر . بات منتصف الطريق مفتوحاً على اتساعه

«تعال يا ولدي ، إنهم يطلقون النار»

في الأثناء ، أعادت قلة من رجال ونساء الحشد تشكيل صفوفها في المقدمة وبدأوا في المشي باتجاه صف جنود الجيش ، رافعين أذرعتهم وأعلامهم

اتجه معظمهم نحو الفسحة الآمنة نفسها بين الطريقين ، والتي اتجه إليها ايرول وعبدالله بقوا هناك حتى انحشر قرابة خمسين شخصاً في تلك المساحة الضيقة ، والتي لا تكاد تبعد عن صف الجنود الراكعين أكثر من ثلاثين ياردة أمامهم . قلب عبدالله يخفق بعنف . فقد اقتربوا كثيراً . لن يطلق الجنود النار عليهم في هذه الحالة

سوف يعبرون الخطوط ويثبتون لهم أي نوع من الجماهير هم . لن

يقرر من يحكم البلاد أحد غير الشعب - هكذا ينبغي أن يكون الأمر تجمع الناس وتكتلوا على بعضهم تحت أعين الجنود الخائنين الذين تجرأوا بما يكفي لمحاولة الاستيلاء على الوطن وأخذه منهم تقدم رجل خارجاً من بين الحشود ، وقد استمد الجرأة من رفاقه ، ثم تبعه آخر وآخر بعده ، فانتشروا فوق الطريق وبدأوا يتخذون سبيلهم باتجاه نقطة المراقبة مرة أخرى .

«تعال يا أبتِ» قال عبدالله «لن يطلقوا النار عليك» خرجا وسط الجمع بوجهين عابسين

قال اليوزباشي «افتح النار»

التفت الأومباشي ياكين خلفه «أرجوك يا سيدي ، ماذا قلت؟»

زعق فيه الضابط صاحب التجربة الطويلة «سوف يتغلبون علينا ، افتح النار !»

«حاضر سيدي» بان على وجه الأومباشي ياكين اليأس . رأى آيدين أن ايلكر على وشك أن يذرف الدموع «انزعوا أزرار الأمان» قال ياكين للصف ، وهو يرفع بندقيته ويسدد «أطلق!»

أغلق آيدين عينيه لحظة ضغطه على الزناد ، وهو يدعو الله أن لا يراه أحد في حال ذهبت طلقاته عالية وبعيدة

عندما أعاد فتح عينيه ، كان صف الناس الذين وقفوا قريبين إلى درجة أنه كان بوسعه التعرف على أوصافهم ، مثل الفتى عبدالله ووالده الذي يرتدي القميص الأبيض ، ملقين على الأرض . صدرت صرخات حادة مع استمرار الرماية من قبل بعض الأنفار

أخذ الرجال الذين أصيبوا في سيقانهم يزحفون مبتعدين نحو الأطاريف في الطريق .

«أوقفوا إطلاق النار ! أوقفوا إطلاق النار !» صرخ ياكين من فوق بندقيته

***

نقر ليڤانت على هاتفه وضغط على زر الرسائل ليبعث إلى بوراك «أشكرك مرة أخرى»

تلقى رسالة جوابية جافة بالمقدار نفسه على الفور «اتصل بيوري»

ضغط ليڤانت على زر الاتصال وهو عابس وألصق الهاتف بأذنه ، وهو يتلفت حوله داخل مرآب السيارات المهجور في الطابق تحت الأرضي بمبنى الـMIT .

جاء صوت الروسي أكثر هدوءاً من المعتاد حين قال «ليڤانت» بأسلوب التحية

«يوري ، إذا كنت قلقاً على ناديك الليلي ، فسوف ينتهي هذا الأمر برمته عما قريب»

«نادي؟» جاء صوت تنفس عميق من الطرق الثاني للخط . . استغرق الأمر لحظة حتى فهم ليڤانت أن يوري يقهقه ضاحكاً

«إن نادي بحالة رائعة أيها الشرطي . لدي جمهور ليلة الجمعة هنا ولا يستطيع أي شخص أن يغادر أرسل مشروباً مجانياً كل ساعة للجميع وها هم مستمرون في الاحتفال» .

«لماذا إذاً أخبرت بوراك أنني بحاجة إلى الاتصال بك؟ هل أنت قلق من القتال؟»

«أنا قلق من القتال؟ آمل أنك تحاول أن تلقي نكتة . لقد نجا والداي من معركتين ضد الألمان في أوديسا - كسب الألمان الأولى

وكسب الروس الثانية كلا . انه ابن عمي» قال يوري «لقد أخبرني ، أنه موجود في سورية »

«سورية؟»

«ذلك هو ما قلته . مهمته شبيهة بعملك إلى حد ما . إنه يصغي إنه يسمع الكثير ويدونه حتى يستطيع أن يتذكره»

«لصالح الجيش»

«بل لصالح الـKGB»

«لم يعد هناك KGB» قال ليڤانت .

رفض يوري هذا القول بشيء من الاحتقار «صحيح مؤكد . قل هذا الكلام لپوتين . هو يقول إن الرجل إذا دخل مع الـKGB لمرة ، فسيظل KGB على طول»

بدأ ليڤانت يفقد صبره «وهكذا ، ما الذي سمعه ابن عمك؟»

«لقد سمع بوجود مروحيات في إزمير . وأنها تنوي أن تنال من رئيس جمهوريتكم» .

تعمقت تكشيرة ليڤانت «مروحيات؟ تابعة لمن؟»

«للجيش التركي»

«هل يستطيع ابن عمك أن يتنصت على الجيش؟»

«ليس هذا شيئاً يفترض فيه أن يتكلم بشأنه . لكنني أخبرتك من قبل - أنا أعرف كل شيء . الروس على هذه الشاكلة كان يفترض فيك أن تتعلم هذا منذ زمن طويل»

«وهكذا ، فما الذي تريده أنت؟»

«أنا؟» تبنى يوري صوته المفعم بالبراءة المفتعلة «أنا لا أريد أي شيء . لقد أخبرتك - لدي ناد مليء بالناس . وهكذا فإنني أقدم لك

ولرئيسك هذا الصنيع . أخبر رئيسك أنه يتحتم عليه مغادرة مارمريس . الآن . ولكن احرص على أن لا تخبره أين سمعت هذا الكلام . ثم تذكرني وتذكر الصنيع» .

«هذا كبير جداً يا يوري . أنا مضطر لأن أخبر فيدان» .

«إذاً أخبر فيدان لكي يتذكرني هو الآخر . أنا أدير عملاً شريفاً»

«طبعاً يا يوري . سوف أكلمك عما قريب»

«حظاً سعيداً ، أيها الشرطي» .

أغلق ليـڤـانت الخط ثم ركض باتجاه المصعد . لم يحدث شيء عندما ضغط على الزر لأن اشارة الرقم الالكتروني فوق الباب كانت مطفأة . أطلق صرخة إحباط ، ثم ركض باتجاه الدرجات .

الفصل السابع والعشرون

وقف أورهان ومسعود عند حافة الحديقة الخلفية للڤيللا في مدينة مارمريس الساحلية الجميلة ، قريبين من حاجز الشرفة المرتفعة ، واستمرا في التلفت حولهما كل هنيهة بينما انهمك إيردال في التحدث في هاتفه بصوت مرتفع كانا قد راقبا رجلي الرئيس لتوهما : كالين وداغان ، حين حضرا وشرحا له الوضع ، وها هو الآن يدق الأرقام المرة تلو الأخرى ويعطي ما ظهر مثل شلال من التعليمات لكل من يرد عليه ، مبيناً ما هو متوقع منهم في الساعات القادمة

بدا أكثر توتراً مما رآه أي من الرجلين من قبل على الإطلاق ، وإذا كانا صريحين مع نفسيهما بقدر ما هما صريحان كل مع الآخر ، فقد أخذا يشعران بالضغط والتوتر الصادرين من جناح الرئيس في الداخل أيضاً . ضغط إيردال على زر إنهاء المكالمة الفردية الأخيرة وأطلق شتيمة جعلت العميلين الصلبين يكادان يشهقان لسماعهما الشتيمة تغادر شفتيه . تلفتا حولهما لدى سماعهما أصوات نعليه اليابسين تحت حذائه تصعدان خلفهما على خشبات الشرفة

سأل أورهان «ما هي آخر الأخبار يا سيدي؟»

«هل حدث شيء ما؟» بان التفاؤل في صوت مسعود .

«نعم» وضع إيردال يديه على حاجز الشرفة «لقد ظهر الرئيس على التلفاز من هذا البيت قبل حوالي ساعة وطلب من الشعب الخروج

إلى الشوارع . قاوموا هؤلاء الأنذال . تقول الأنباء الحالية إنهم لبوا نداءه . الآلاف منتشرون في كل شارع . إنهم يقاتلونهم ويصدونهم في كل مكان»

«وهل هذا يعني أن الأمر سرعان ما سينتهي؟»

«لا تبتهج وتهتاج أكثر مما يجب . ليس بعد يا مسعود» .

«إنهم يطلقون النار ، أليس كذلك يا سيدي؟» لم يتمكن أورهان من اتخاذ قرار فيما إذا كانت آيلا ستخرج إلى الشوارع أم لا . محقق أنها لن تفعل ذلك بعد معاناتها في المطار . آلمه قلبه فعلياً من مجرد التفكير في الاحتمال .

قال إيردال «تلك هي الأوامر الصادرة إليهم . بعض الوحدات تفتح النار»

«أبناء القحبات» . نفض مسعود رأسه «من هو الذي سيدعمهم الآن؟»

«إنهم لا يسعون إلى دعم الشعب يا مسعود . لأنه ليس مهماً لهم . هم يسعون إلى السلطة . يمكن للتأييد أن يجيء لاحقاً . تلك هي الطريقة التي يفترض أن تسير فيها هذه الأمور» .

«هل سيبقى الرئيس هنا؟» أجبر أورهان عقله على أن يعود إلى واجبه - حامي أهم رجل في الدولة

«كلا ، المسألة غير واردة مطلقاً» نظر إيردال إلى البحر وكأنه يتوقع ظهور أسطول من السفن المعادية من وسط الظلام ، على شكل عدو ذي نمط قديم ليتماشى مع الإحساس الغريب بأنهم قد ارتحلوا عائدين إلى ماضٍ سحيقٍ من نوع ما هذه الليلة

«لقد أخبرت مستشاري الرئيس ووافقوني . إن الرئيس مصمم

على الرجوع إلى المدينة - إما إلى العاصمة أو إستنبول . من الضروري أن يراه الشعب ويتأكد من أنه لم يهرب - ولكنني أظن أنه مصمم على أن يناضل ضد هذا العمل بكل قوته . لن يستسلم أو ييأس . ليس الآن» .

«ذلك التحرك غير آمن يا سيدي»

«الوضع هنا غير آمن أيضاً يا أورهان . سوف ننسحب خلال دقائق»

«إلى أين يا سيدي؟»

تنهد إيردال ، وكأنه مدرك لجميع النواقص الكاملة في العملية التي يوشك أن يصفها

«لدينا تطمينات بأننا سنتمكن من الهبوط في إستنبول . أنقرة غير واردة مطلقاً . إن الوضع هناك أشبه شيء بمستشفى مجانين بكل الحسابات . كما قلت ، الرئيس مصمم على الإقلاع . نحن بانتظار صدور تعليمات بخلو الطريق من هنا إلى المطار»

قال مسعود متفكراً «يمكنهم أن يزرعوا قنابل أو أشياء أخرى على جوانب الطريق»

سأل أورهان «ما هو مصدر هذه المعلومات يا سيدي؟»

«يمكنك أن تثق بالمصدر يا أورهان . إنه زوج شقيقة الرئيس . أنا لست مستعداً لأشكك في ذلك المصدر . سوف يتخذ الرئيس القرارات التي تناسب تفكيره . ففي نهاية المطاف ، فقد أوصله تفكيره إلى حيث هو الآن» .

التزم إيردال الصمت لوهلة ثم ضرب الحاجز بقبضته «لقد أقدم السفلة على قصف البرلمان قبل فترة وجيزة ، هل علمتما بذلك؟ حلقت

طائرة أو مروحية فوق المبنى وألقت قنبلة على مجلس نوابها . ثم يقولون إنهم بصدد حماية الديمقراطية؟»

«سيدي» تنحنح أورهان «يتحتم عليَّ أن أسأل مجدداً ، هل تعتقد حقيقة أنه ليس بوسعنا أن نعبِّر عن اعتراضاتنا على ذهاب الرئيس شمالاً بهذه الطريقة؟»

«إذا كانت لديهم طائرات في الأجواء يا سيدي . . .» تخافت صوت مسعود ولم يكمل .

عاود إيردال القول «لقد سبق وأن قام الرئيس بتوجيه خطاب إلى الأمة . لقد كنت موجوداً بالغرفة أثناء قيامه بذلك . هو لم يتراجع ، ولن يستمع إلى أي شخص يقترح ذلك . يجب عليه أن ينقذ البلاد» .

«ليس ذلك هو ما قصدته يا سيدي -»

«أعرف ما قصدته يا أورهان» جاء صوت إيردال متودداً ، مثل جد حنون يشرح لطفل كيف لا يحق له تناول المزيد من الحلوى . «لكن الناس يموتون في الشوارع بينما نحن نتكلم» . ثم استطرد «لو كان الرئيس من نوع الرجال الذين يتخلون عنهم ، هل كان أي منا سيبقى هنا؟»

«لا يا سيدي» . قال أورهان ومسعود بنفس واحد .

«الشعب واقف معه» حمل صوت إيردال نبرة قطعية الآن . «وينبغي مجابهة أولئك الذين يريدون الاستيلاء على السلطة بالقوة . شخصياً . ليست هناك أية وسيلة أخرى» .

التزم أورهان ومسعود الصمت لشدة تأثرهما بقوة كلمات رئيسهما وعمق إحساسه بالواجب ، ووجها أنظارهما إلى الشاطئ . فجأة ، ظهرت على سطح الأمواج نقطتان من الضوء الأحمر والبرتقالي ، وكأن

شخصاً ما قد أشعل عود ثقاب .

قال أورهان «إنهم هنا» .

«انتبهوا» نادى مسعود على خليط الحماية من الشرطة والحرس الرئاسي المتواجدين في الحديقة تحته .

«يجب أن أبلغ الرئيس بأنه يتحتم عليه أن يغادر» كان إيردال يركض عائداً إلى داخل الڤيللا . صاح خلفه «هو مضطر إلى المغادرة فوراً»

تسلم أورهان ومسعود رشاشتين من طراز P90 المحمول ، والتي طالما اشتكى مسعود من أنها تشعره بأنه يمارس لعبة ڤيديو حينما يحملها لم يملك أورهان أن يخالفه . فالمسدسان عبارة عن مستطيلين صغيرين مزودين بثقوب مستديرة حول الزناد لتلائم القبضات . بدون أي ماسورة أو فوهة يمكن الحديث عنها ، فهي بهذا تبدو مثل مسدس لعبة مصاحبة للعبة ڤيديو . لكن أورهان كان يستمتع دائماً بالنفض الذي يولده استخدامه حينما يضغط على الزناد.، والمسدس دقيق ويمتلك ما يكفي من القوة ليوقف رجلاً حتى لو كان يرتدي درعاً واقياً لجسمه ، مع احتمالية ضعيفة لاختراق الدرع . أزال كلاهما زر الأمان وحبسا أنفاسهما مع اقتراب أضواء المروحيات القادمة وزيادة بريقها

قال أورهان «هنالك ثلاثة منها . عشرون رجلاً أو ربما أكثر . أطفئ أنوار الشرفة» .

ركض مسعود صاعداً الدرجات الخشبية إلى جانب الشرفة وأغلق مفاتيح إنارة الشرفة والحديقة كلها . ساد الظلام الدامس على الساحة التي يقفان فيها بجانب البيت ، نزولاً إلى الصخور المشرفة على البحر أمامهما . بقيت أضواء البيت مشتعلة ، تاركة مسعود وأورهان في ظلال

نصف مضاءة عبر تحديقهما المنعكس ، وقد ظهر وجهاهما المتوتران بوضوح بينما بقيت أطرافهما وأجسامهما مجرد تعرجات ضوئية

صدرت الأصوات من الداخل - مجموعة الرئيس تغادر . محركات السيارات تدور وتتعالى . إطارات تزعق .

قال مسعود «إنه بأمان»

«ادعُ لربك» أجابه أورهان . أصبح بالإمكان سماع المروحيات في هذه اللحظة بقي معهما قرابة عشرة رجال في الحديقة . تمسك كل منهم بموقعه وبات ينتظر كما يفعل أورهان ومسعود .

عاد إيردال إلى الظهور خلفهما حين قفز عن درجات الشرفة قائلاً «لقد غادر الرئيس ، ولكن يجب علينا أن نغطي على عملية فراره باتجاه المطار»

قال أورهان «نفهم ذلك يا سيدي . لم نكن ننوي أن نغادر» .

أخرج إيردال مسدسه الرسمي ، تفقد المشط وحجيرة الإطلاق «هو بحاجة إلى ثلاثين دقيقة . الطائرة تمشي على المدرج»

حثه مسعود «ينبغي عليك أن تغادر مع الرئيس يا سيدي»

«ليس اليوم»

أدار إيردال رقبته باتجاه ممر الحديقة ، نظر إلى الأشجار المزروعة على مسافات محددة وخيال الكوخ الخشبي الأبيض «هل كل الرجال في مواقعهم؟»

«لم يتحركوا يا سيدي»

هزَّ رأسه في رضى . غادر المزيد من السيارات من مقدمة الفيللا ، ثم حل السكون فيما عدا هدير الأمواج وأصوات محركات المروحيات القادمة

«يستحسن أن يتذكروا إبقاء أضواء السيارات مطفأة» . قال أورهان «أقصد سواقي الرئيس . لأنهم قادرون على رؤية الموكب يتحرك على الطريق من مواقعهم في السماء»

«طالما أنهم يعتقدون أن الرئيس لا يزال موجوداً هنا» ظهر إيردال بمظهر رزين بينما انتشرت المروحيات على شكل نصف دائرة

سأل مسعود «وماذا عن أنوار البيت؟»

نفض إيردال رأسه «هم يعرفون مكان وجودنا . الأفضل أن نرى بعضنا بعضاً ، ألا تعتقد ذلك؟»

«مهما كان الذي تقوله يا سيدي»

أصبحت المروحيات على مسافة أقل من خمسمئة قدم عن الوجه الصخري في هذه اللحظة

«مواقع إطلاق النار !» نادى إيردال في العتمة وردت عليه أاصوات طقطقات تلقيم عشرة أسلحة وتجهيزها «قفوا خلف أية حماية يحتمل أن يرشقوا الحديقة بالنيران لمجرد تليين مقاومتنا» تحرك الرجال في العتمة

صعدوا الدرجات ثم ركعوا على ركبة واحدة إلى جانب الحاجز ، يراقبون القوة المهاجمة وهي تقوم باقترابها النهائي من مكان اختبائهم ، بينما يهب الهواء الساخن الذي تثيره المراوح في وجوههم . طارت النباتات المزروعة في الأصص وتملأ الشرفة وحواف الأحواض

مال أورهان إلى الأمام خلف ألواح الحاجز الخشبي واستجمع شجاعته ، يتنفس ببطء ويسيطر على عواطفه أدرك أن هذه المواجهة لن تكون محببة . هو يعرف نوعية الرجال القادمين في تلك المروحيات ، هناك احتمال أن يكون هو ومسعود وإيردال قد تدربوا مع

البعض منهم وأنه يعرف بعضهم بأسمائهم . يحتمل أنه يعرف عائلاتهم .

استولت عليه إدراكات مقدار الجنون فيما يحدث والمكان الذي وجد نفسه فيه للحظة - تقاطر الهلع إلى ذراعيه وأخذ قلبه يخفق بسرعة إلى درجة أحسّ معها أنه على وشك الغياب عن الوعي

«سيطر عليها ، سيطر عليها أيها الأحمق» . قال لنفسه بات يتنفس من خلال فمه بقوة

نظر مسعود باتجاهه في العتمة النسبية . قال «إن الله معنا يا أورهان»

في أي وقت آخر ، كانت فكرة أن يصبح مسعود رجلاً متديناً فعلاً ستجعل أورهان ينفجر ضاحكاً ، ولكن هناك ، بينما يحوم الموت فوقهما ، هزَّ رأسه باتجاه صديقه وربت على كتفه . قال «الله أكبر!»

«انتظروا حتى يهبطوا على الأرض قبل أن تفتحوا النار» اضطر إيردال إلى الصراخ نحو الرجال فوق الضجيج الحالي ، وسط هبوب الريح «سوف أطلق الرصاصة الأولى . سنقتل الرجل الأول الذي يظهر وجهه خارج إحدى هاته الطائرات ثم نفتح النيران بكل ما لدينا أطلقوا عبر الأبواب ، عبر النوافذ . لا يمكنهم الاحتماء من كل الطلقات» . عاود الارتكاء واحنى رأسه باتجاه أورهان ومسعود «سوف نخرج من هذه المحنة لا تخافا»

هزَّ مسعود رأسه «لا خوف يا سيدي»

وصلت المروحيات إلى حافة البر في هذه اللحظة

«ها هم قادمون ! لا تطلقوا النار بعد !»

بذل الرجال أقصى جهودهم للبقاء مختفين بينما قام فريق

سوغميزأتيش بارتقاء قمة التلة والطيران فوق الحديقة . قاموا بدورتين كاملتين فوق الڤيللا ، وظل أورهان يسترق النظر ثم يختبئ مخافة أن تتم مشاهدته ، قبل أن يطيروا عائدين فوق البحر ثم أدوا دورة كاملة

رفع مسعود رشاشته الـP90 وسدد ، لكن إيردال وضع يده فوق السلاح ودفعه إلى أسفل «ليس بعد!» قال بما يشبه الفحيح . بعد ذلك استدارت المروحيات إلى اليسار وابتعدت ، كأنما دفعتها الريح ، فهم على ارتفاع مئات الأقدام عن الأرض بكل الأحوال ، ثم انطلقوا بأقصى سرعة لهم باتجاه البر

لم يحلقوا فوق الحديقة والڤيللا في هذه المرة على أية حال بل حطوا بدلاً من ذلك في أراضي مجمع فندق نادي اليازجي الكبير المجاور . اضطر الرجال الثلاثة المرابطون على شرفة الڤيللا إلى الانحناء فوق الحاجز ليروا ما يحدث إلى درجة أنهم كادوا يسقطوا بين الشجيرات .

هناك ، بين حدائق الإجازات وطاولات النزهات ، بدأ المغاوير المسلحون ينزلون من مروحيات البلاك هوك ويندفعون صاعدين باتجاه الباب الخلفي لمنتجع السواح ، بحيث كان أول مكان يستهدفونه هو قاعة الرقص .

«ما الذي يفعلونه؟» سأل مسعود غير مصدق .

الفصل الثامن والعشرون

القاعة رقم ٢ في مطار أتاتورك بإستنبول، القاعة نفسها التي علقت فيها آيلا وسط الهجومِ الإرهابي المميت قبل مجرد بضعة أيام وخلف أكثر من أربعين قتيلاً، مهجور كلياً. هادئ بشكل عجيب. وقفت مجموعة من الجنود الموالين للانقلاب، المميزة بأزيائها المموهة الخضراء خارج الباب الرئيس، الذي استمر في الفتح والإغلاق، وكأنه يتعرض للنسائم. يتبادل أفرادها القفشات ويدخنون ويضحكون، بحيث ظهروا لعين المراقب العرضي وكأنهم ينتظرون طائرة أو حافلة لتأخذهم إلى بيوتهم أو إلى مكان لهو آخر في أحد المصايف المثيرة.

تحركت الدبابات على أرض المطار بدون أية غاية، تتقدم وتتراجع لتتخذ مواقع مختلفة، ولكنها ظلت تعود إلى النقطة التي انطلقت منها، يدير المدفعيون الأبراج ليوجهوا تصويبهم إما إلى محيط المدرجات أو إلى القاعة نفسها. وقفت طائرتان مهجورتان وقد تعلق بهما سلما صعود، تنتظران قدوم الركاب والتحليق الذي لم يحدث. جلست بقية طائرات الأسطول النائم في صفوف منتظمة بقرب القاعة، بدون وجود أية طواقم أرضية بقربها

جاء استيلاء الجيش على المطار بمثل سرعة الاستيلاء على مبنى الـTRT. فقد اندفعت الشاحنات وطواقم الهجوم بكل القاعات، نزعت أسلحة الحراس الأمنيين وشرطة المطار، تم احتلال مخفر الشرطة

وصدر أمر بإخلاء عام للمنطقة . اتخذت الدبابات مواقعها عند مدخل القاعة الرئيسة . أمر مذهل كيف يتحول مكان يضج بالناس ليصبح قشرة فارغة ، ليس فيه من أصوات سوى طرقعة الأحذية العسكرية فوق البلاط الملمَّع . تمشى الجنود جيئة وذهاباً بقرب البقعة التي فجر فيها المهاجم نفسه واتكأ على العمود الداعم الذي اختبأت خلفه آيلا مع مرور الساعات ، اقتحم الجنود آلات بيع العصائر والحلويات وأغاروا على نضد الشطائر بحثاً عن القهوة والطعام .

تقدمت الساعات باتجاه الصباح الباكر وتنزل صمت مؤقت على أولئك الرجال الذين يحتلون المواقع الخارجية حينما ظهرت أضواء سيارات أمامية على طريق المطار الخالي في المدى . توتر رجال المشاة الشباب وهم ينظرون إلى المركبات المقتربة واحدة بعد الأخرى ، وتتنامى أعدادها قادمة من الطريق السريعة المتصلة بطريق المطار . أشاروا واتصلوا برؤسائهم الموجودين في برج المراقبة بواسطة أجهزة الاتصال المحمولة ، متسائلين عما إذا كانت القوة القادمة صديقة أم غير ذلك .

هو طابور طويل ، خليط من المركبات العسكرية والمدنية ، العديد منها ترفرف عليه الأعلام ذات الهلال الأبيض والخلفية الحمراء التي تشكل الراية التركية . حملت سيارات الجيب والعربات الأكبر حجماً رجالاً مسلحين يرتدون ملابس مدنية ، إما جالسين أو متعلقين على أي شيء ثابت بما يكفي ليحمل ثقلهم . عندما وصلوا إلى الطريق الملتوي باتجاه مدخل المطار ، على بعد حوالي نصف ميل ، استطاع الجنود أن يسمعوا موسيقى عالية وغناء وحتى أناشيد صادرة عن الموكب . كان المشهد أقرب إلى الفرجة على قبيلة من الغزاة قادمة إلى واحتها ، إلا أنه جاء حداثياً ، نسخة من القرن الحادي والعشرين عن عمل غير خاضع للزمن .

لم يكن القادمون الجدد ودودين . مع وصولهم إلى مجال رؤية أقرب ، أقدم الجنود على محاولة متأخرة لأخذ مواقع منيعة وبدأ قلة منهم يطلقون صليات قصيرة من بنادقهم الرشاشة . أصيب بعض من الرجال الجالسين فوق الشاحنات وسقطوا . احتمى الباقون خلف السيارات وردوا على إطلاق النار .

عندما سقط أحد الجنود منكفئاً على وجهه بجانب الرصيف القريب من موقف سيارات الأجرة ، انسحبت بقية وحدته إلى داخل المطار لإعادة التجمع . أدرك طاقما الدبابتين اللتين تركزتا عند الباب الأمامي أنهما حتى لو بدأتا بإطلاق القذائف على الموكب ، فهما لن يتمكنا من إصابة جميع المركبات في الخط الممتد وأنهما سيتم عزلهما .

سوف تتزايد الأعداد عليهما في أتون الصلب الذي ستتحول إليه الدبابتان ، سيصبح الأمر مجرد قضية وقت قبل أن تلقي القوات المهاجمة متفجرة وسطهما من فتحة يتم خلعها عنوة .

فتح أفراد الطاقمين أبواب الفرار وركضوا إلى الداخل بدورهم ، بينما قام قائداهما بإطلاق رصاصات فردية من سلاحيهما الشخصيين الآليين لتغطية فرارهم .

وصلت المركبات إلى خارج المطار بعد ثوان وقامت المجموعات المتباينة من قوات الحكومة وداعميها بملاحقة الجنود إلى الداخل ، فتحول الموقف إلى لعبة مميتة من القط والفأر عبر ممرات وصالات القاعة . اتخذ المتآمرون المتراجعون سبيلهم نحو المخارج الخلفية أو المدارج . فقد قيل لهم سابقاً عن وجود مروحيات هناك لإخلائهم قبل أن يتم الاستيلاء على المطار . استمرت السيارات والشاحنات في

القدوم خارجاً ، المزيد والمزيد من الناس وأفراد الشرطة المسلحين يعملون سوية لتخليص المنطقة من الخونة

أخذ أحد الرجال يصيح «ستصل طائرة رئيس الجمهورية قريباً ، يتحتم علينا أن نجعل هذا المكان آمناً» .

***

مع اقتراب ساعات الصباح الباكر من الفجر ، أصبحت البوابة الرئيسة لقيادة الوحدات المدرعة في ايتي ميسجوت ، قرب أنقرة ، تشبه خليطاً بين احتفال كرنڤالي ، أو معرض سيارات صناعية ، وحتى ساعة الزحام القصوى بعد ظهر يوم جمعة . احتشد الطريق العام المتعدد المسارب في الخارج بالسيارات المصطفة والواقفة إلى كامل الطريق حتى سينجان ثم شرقاً إلى آلتين داغ ، بينما أغلقت الطرق الداخلية بشاحنات الجيش وأنصاف المجنزرات ، والتي سدت عليها المخارج من قبل مركبات البناء الثقيلة المهجورة خارج البوابة . ألقت رؤوس الأنفار صغار السن بأنظارها نحو قمة الخط أمام شاحناتهم المعطلة عن الحركة ، ينظرون ليروا ما الذي يعيق طابورهم عن الحركة إلى الخارج باتجاه المدينة كما قال لهم ضباطهم أنه يتحتم عليهم فعله . استمر سواقو وركاب السيارات المدنية في الخارج يطلقون زواميرهم ويصرخون عليهم ، في خليط من الضجيج والطبول المستمرة في الدق للاعتراض على محاولة قلب قادة البلاد المنتخبين وإيذاء أولئك الذين يقاومون .

تسلل ميكانيكي من الجيش تحت حراسة مسلحة مع مجموعة من الضباط خلفه ، وتسلق إلى داخل غرفة قيادة الجرافة الأولى . اضطر إلى تغطية عينيه ثم استخدام كعب مسدسه الرسمي ليكسر به

الزجاج ويفتح الباب ثم يمسح المقعد الداخلي بكل عناية قبل أن يتمكن من الجلوس . عاين حطام أجهزة السيطرة على المركبة ، الأسلاك المتدلية من خلف عجلة القيادة مثل كتلة هائلة من السباغيتي وعلبة التروس المحطمة و محمل الكريات .

«خراء»

لوى رأسه إلى أسفل تحت عجلة القيادة وشاهد المطرقة المستديرة المهملة إلى جانب الدواسات . رفع رأسه وهزّه بالرفض

«لقد كسروا جهاز التشغيل !» صاح مخاطباً الضباط الذين ينتظرونه على الأرض

«حسناً ، هيا بادر إلى إصلاحه !» جاءه الرد الصارخ . ضحك الميكانيكي الفني وسط ضجيج الجمهور الغاضب ودمار غرفة القيادة ، فجاءت ضحكته أقرب إلى هتاف هستيري في وجه الخطر العبثي والتوتر القائمين

«لماذا لا تحاولوا أن تدفعوها؟» صاح بأعلى صوته باتجاه الضابط الواقف تحته - تجهم وجه الرجل على انعدام الطاعة غير المسبوق من قبل رجل متطوع برتبة متدنية . جلس الميكانيكي مائلاً إلى الأمام وأراح مرفقيه على عجلة القيادة ، يتلفت حوله مع ابتسامة قبول وإذعان ، وكأن المشاكل اللحظية بعيدة عنه وقد تسامى فوقها سلفاً استطاع من مكان جلوسه المشرف أن يشاهد أعالي الشاحنات المنتظرة لتنقل مراتب الرجال إلى النقاط المتوترة في أنحاء المدينة ، لشد أزر القوات التي تكافح ضد الشرطة والقوات الخاصة والآن حتى ضد أبناء شعبهم نفسه

أعاد النظر إلى أجهزة السيطرة على الجرافة وأدرك أنهم لن يتمكنوا

من الخروج الآن . فقد ترك الجنود الموجودون في المدينة لمصيرهم ، بصرف النظر عما سيأتي .

***

حمل الناس المتواجدون على جسر إستنبول الأموات والجرحى إلى المؤخرة حيث قام نفر صغير من الأطباء والمتدربين على الإسعافات الأولية بمحاولات يائسة لإنعاش المصابين . أمكن لآيدين أن يراهم في البعد ، يتحركون بجنون لأداء حركات الإسعاف الأولي . تضيء أنوار سيارات الإسعاف الحمراء وتزعق صفاراتها كل هنيهة لتنير تلك البقعة المظلمة ، فيقوم رجال الإسعاف والممرضون بتحميل نقالاتهم ونقل أولئك الأشد حاجة إلى العناية الطبية نحو غرف الطوارئ المحتشدة أصلاً في مركزي نايتنجيل وبيزمي آليم الطبيين في القسم الشرقي من المدينة

يعرف آيدين أن معظم - وتقريباً جميع - مستشفيات إستنبول موجودة في الجانب الغربي - القسم نفسه الذي يقوم هو حالياً بالمساعدة على إغلاقه في وجه أولئك الذين يحاولون إيصال احبتهم ورفاقهم المحتجين إلى الأمان . استمر في الركوع مع الآخرين ، بندقيته مركونة إلى كتفه ، ماسورتها دافئة على ذراعه

لم يكن ايلكر قد تكلم لوهلة طويلة ، وقد اتخذت عيناه سواداً فارغاً أشبه ببرك آسنة غائرة ، يحدق أمامه بعيداً ويحاول أن لا يرى ومع ذلك استمرت الجموع في القدوم ، وقد صممت على إيذاء الجنود الموجودين على الجسر ، ليردوا بذلك على الدم الذي أريق بأيدي أولئك المذنبين ، لم يكن لدى آيدين شك حول تلك المآرب .

راقبهم يقتربون بتأنٍ ، يقرفصون ، يصيحون ببعضهم بعضاً ليشجعوهم ، وبعد ذلك أعطى الأومباشي الأمر وأطلقوا مرة أخرى ،

مثل مشهد من أفلام الرعب التي طالما رفضت ديميت الذهاب إليها حاول في ذهنه أن يتخيل وجوده بصبحتها في هذه اللحظة ، في أي مكان - لا يهم - ولكن لا مجال للتهرب من هذه المحنة بالنسبة له ، لا مجال للانغلاق مثلما فعل إيلكر . أحسّ مثل أولئك المرضى العديمي الحظ الذين قرأ عنهم في مقالات الصحف ، الذين أخضعوا للتخدير قبل عملية جراحية ما ، في حال انحسار تأثير العقار في وقت أبكر مما يجب ، ورغم ذلك يتركهم في حالة شلل ، غير قادرين على إيصال صعوباتهم إلى الأطباء والجهاز الطبي . سمع الضباط الواقفين خلفه يتكلمون فيما بينهم .

«نحن في العراء هنا والموقف أصبح من الصعوبة الحفاظ عليه بمكان . أين هي التعزيزات؟ لماذا لا يتم تطبيق منع التجول بالقوة؟» كان أحدهم يقول .

«لا يوجد رجال . يقول الراديو إن الطرق قد تم قطعها من قبل المحتجين بالكامل . لا تستطيع أي من الوحدات التي ما زالت في المعسكرات أن تخرج . لقد أغلقوا حتى جميع البوابات . هناك أناس واقفون أمام الشاحنات التي سبق وخرجت إلى الطرقات ، وحتى إنهم يقفزون إلى داخل الصناديق ليهاجموا الرجال . الوضع في منتهى الفوضى»

«إذا لم نتمكن من مغادرة الجسر فنحن سنموت كلنا» .

«ربما نحن ميتون بكل الأحوال» .

خفض آيدين عينيه عن منظار تصويب بندقيته وقاوم إحساسه المتنامي بالغثيان والذعر .

***

تجمعت الأوحال والقاذورات في قاع الخنادق العميقة التي تم حفرها لمنع العربات المدرعة من الاقتراب نحو قيادة القوات الخاصة في جولباشي . حتى حرارة الصيف عجزت عن تبخيرها كلياً . التصقت بالبذلة الخشنة الخضراء بلون العشب التي لبسها القناص كتمويه ، وهو يتخذ طريقه بتمهل وسط قناة التصريف زحفاً على بطنه . لدى بلوغه الزاوية الشمالية الخلفية للبناية ، دفع بنفسه إلى فوق بين جدران الخندق وسمح لوجهه المسودّ بحدة أن يرتفع فوق الخط قليلاً ؛ ليمنح نفسه مجالاً للرؤية على الياردات الثلاثين التي تفصله عن باب الطوارئ .

لم تكن هناك سوى رصاصات متفرقة يجري إطلاقها في الباحة ، فقد انتهى القتال حالياً ، وتم دفع مجموعة المتوفى سميح تيرزي وفاتح شاهين إلى الأطراف الخارجية للباحة ، حيث كمنوا ، منتظرين ليروا ما إذا كان أي من عملائهم داخل البناية سيكون قادراً على فتح الباب لهم .

هذا هو ما كان القناص يأمل بحدوثه . فهو يتجول في الأرجاء منذ ساعات ، بندقيته عديمة الفائدة ضد النوافذ والأبواب المصفحة المضادة للانفجارات للمبنى الأشبه بالقلعة ، لكنه تمكن من استدراج خط نحو السطح من مواقع مختلفة ، بحيث أبقى المدافعين عن المجمع المحشورين فوق هناك غير قادرين على إطلاق النار على المهاجمين من مواقع آمنة . جلس ساكناً . صامتاً .

لم يخرج أي نفس من شفتيه أو خيشومه . انتظر ليرى ما إذا كان لباب الطوارئ أي علائم حياة . لم تكن هناك ريح لتعيق طلقة في هذا الموقع . لا معيقات على مدى محيط قدره أربعون قدماً عن الباب .

محدد مواقعه يزحف وراءه . يتخذ طريقه متسلقاً جدار الخندق بدوره . أبقيت الكشافات الخارجية بمركز القيادة مضاءة طيلة الليل ، وسوف تضيف إلى الوهج في نظارات الرؤية الليلية عندما تبزغ الشمس بعد أقل من ساعة

بدأ القناص يجري حساباته حول المدة التي سيحتاج إلى الاستمرار في ارتداء المعدات الآن بما أن الفجر قد أخذ يقترب . تحرك محدد المواقع على بعد قدمين من ورائه ودق على حذاء القناص ليفهمه أنه موجود هناك . أخبرته الغريزة أن شخصاً ما سيخرج عبر ذلك الباب - فهو خبير بعد اشتباكات سرية متعددة على مدى الأراضي الحدودية الجنوبية للدولة ، يطارد العصاة عبر مناطق ديار بكر كلها ، واستطاع أن يطور حواسه إلى درجة أنه كان أحياناً يشعر بأنه قادر على رؤية أشياء معينة قبل أن تحدث . كان عدد قتلاه مثيراً للإعجاب . قدرته على التماهي مع سفح تلة ما أو حرش أفضل من أي رجل آخر في وحدته ، ولم تكن هناك أي وحدة في جميع القوات المسلحة يخشونها . ستكون هذه الطلقة سهلة - مثل قضايا ميادين التدريب

مهما كان الذي سيخرج عبر ذلك الباب خلال الدقائق التالية سيتم إسقاطه ، وسوف تسد الجثة المدخل بحيث لا يعود إلى الانغلاق آلياً - مما سيعطي الفريق الذي يعرف أنه على مسافة قريبة إلى يمينه فرصة أخيرة للاندفاع إلى الداخل وإخضاع قيادة أكثر الوحدات العسكرية نخبوية ووضعها تحت السيطرة . أدار رأسه قليلاً بينما اتخذ محدد المواقع موقعه عند كتفه ، واضعاً الأرجل الثلاثية لجهاز تحديد المسافة منخفضاً لدرجة أنه كاد يلمس الأرضية . راقب

الرجل وهو يضع عينه على العدسة ثم نظر إلى البناية فوقه ، وانجذبت عينه من الباب إلى السطح

سجل القناص هناك شكل رجل ، وكانت على عيني الرجل نظارة أشبه بعيني حشرة شبيهة بنظاراته تماماً . توهجت بلون أصفر وأحمر نيون أشبه بالليزر عبر مدى نظر القناص الشبيه بالغمام الأخضر ، ثم حدث برق من اللون الأحمر القرمزي حينما انفجرت ماسورة بندقيه الرجل بطلقة نارية

لم ينتظر محدد الموقع ليرى ما إذا كان القناص حياً أم ميتاً بعد أن أصابته الطلقة في جانب رأسه . تدحرج بدلاً من ذلك جانبياً على المنحدر إلى داخل الخندق ، وحطت طلقتان في الأرض إلى جانبه ثم ركض بأسرع ما أمكنه عائداً إلى أمان مركز القيادة في المؤخرة .

لدى اقترابه كان فاتح شاهين يتحدث على الهاتف «وصلني خبر يقول إن الـMIT قد استعملوا أسلحة مضادة للطائرات . مدافع دوشكا لم نعرف أن لديهم مثل هذه الأسلحة كلا ، لم يعرف أحد . لكن مقر قيادتهم يتم الدفاع عنه من قبل رجال أكساكاللي ، ولا يستطيع شباب الجو أن يهبطوا»

على الجانب الآخر ، كان محمد ديشلي واقفاً في هنجر قاعدة التشيني الرئيس الذي أصبح الآن فارغاً «ما هو وضعك الآن؟»

استدار شاهين لدى وصول محدد مواقع القناص ، وحده وغير مسلح يزحف طلباً للحماية بين القلة من الرجال المستمرين في الحراسة ، ينظر باتجاه مركز القيادة بكثير من التوجس .

«لقد تسببت الغارة الجوية في تثبيتهم بمكانهم -» أجاب على سؤال ديشلي «ولكننا لن نتمكن من أخذ المبادرة بالقوات الموجودة

تحت تصرفنا حالياً . سوف أصدر الأمر بالانسحاب قبل أن تتم محاصرتنا» .

تكورت شفتا ديشلي نتيجة الغضب وخيبة الأمل «عد إلى القاعدة هنا . لا يزال الرئيس طليقاً . لقد أكد سوغميزاتيش أنه قد هبط وهو يمشط المنطقة» .

انطلق سيل من الصليات من أسلحة آلية في المدى خلف شاهين . تجاهله .

«ألم يتمكنوا من تحديد مكانه؟ كم من الوقت مضى؟»

رفع ديشلي عينيه إلى السماء خارج الهنجر ، حيث بدأ الوهج البرتقالي للشمس يرتفع في البعد . «لم يكن الوقت حليفنا في هذه العملية يا صديقي . إن مسألة العثور عليه حالياً هي في يد القدر» .

المروحيات الثلاث الموجودة في حديقة فندق نادي عمامة اليازجي الكبير متكاسلة ، حيث راقب السواح في وقت باكر من بعد ظهر الأمس وصول المجموعة الرئاسية إلى البيت المجاور . ظهرت زعانفها في الظلام مثل مراوح أو حشرات عملاقة تتطوح ببطء وكسل . صدر صوت طلقات افرادية وزعيق من داخل ساحة الفندق والبناية نفسها . قامت وحدات القوات الخاصة بحراسة المصاعد في البهو ، بينما ركض أفراد آخرون صاعدين الدرجات . هناك الكثير من الصياح والتهديدات لموظفي الاستقبال والضيوف القلائل الباقين في الساعات الباكرة . وفرت أصوات نحيب النساء خلفية مرافقة ، تكاد تكون موسيقية لصرخات الناس والطلقات الإفرادية غير المنتظمة .

على الطابق الثالث ، قاد سوغميزاتيش فريقه على مدى ممر من الغرف ، محافظين على تشكيل قتالي أثناء مسيرهم ، باحثين عن أوائل

العـمـلاء في سـرية أمن الرئيس ، الرجـال الموجـودون الـذين يمكن أن يزودوهم بالأثر الذي يدل على مكان تواجـــد رئيس الدولة . لدى وصولهم إلى زاوية الممر المنحني ، خرجت امـرأة في خـمـسـينيـات عمرها ، ترتدي شورت لونه بيج وأكمام مقصوصة ، من إحدى الغرف وزعقت عندمـا رأتهم . حاولـت أن تهـرب لكن البـاب كـان قـد انغلق وأقفل خلفهـا آلياً . اقتربت الأشكال المقنعّة وافترقت مثل قطيع من الأسماك السوداء حول حيد بحري ، بحيث حاصروها كلياً . صاح أول الرجال أمامها في وجهها بلغة إنجليزية سيئة . بدا لحواسها المذهولة مثل مخلوق فضائي أو وحش «أردوغان ! أين هو؟»

قفزت المرأة ووضعت يديها على رأسها ، تغطي وجهها من المنظر المرعب «لا أعرف ! لا أعرف!»

أشار سونميزاتيش إلى فريقه للاستمرار وهو يزمجر منزعجاً فأكملوا طريقـهم ، تاركين المرأة لتنزلق جالسـة إلى الجـدار ، تنوح لنفسـهـا من الذعر . داروا حـول الزاوية التـاليـة ولاح لهم الفـريق الثـاني من الطرف القـصي للجناح المقابل . المكان خـال . الطابق خـال من أية مـؤشـرات على وجود مجموعة الرئيس . خفض سونميزاتيش سلاحه ونظر إليهم بدهشة .

«إنه فارغ !» صاح قائد الفريق باتجاهه «إنه غير موجود هنا» .

سارع سـونميزاتيش خطواته وركض نحو الدرجات ، بحيث انضم فريقه إلى الثاني أثناء نزولهم .

نزل الرجال الثمانية إلى البهو وأشار إليهم العـميل الموكل إليه حراسـة النضـد الأمامي على الفور ليقتربوا . «هناك ! هناك !» أشار بمسدسه خارج البهو إلى مجمع الفيللا المجاورة ثم أشار بيده اليسرى

ليسكت موظف الاستقبال المذعور «الڤيللا ! إنه يقيم هناك !»

***

راقب أورهان ومسعود وإيردال بينما خرج الفريق المهاجم من المدخل الخلفي للفندق واتخذوا طريقهم عبر الساحة لاحظ أورهان حركتهم المنسقة ، كل رجل يحمي الثاني ، وكلهم يعثرون على حماية دفاعية من أشياء متنوعة مثل أصص نبات كبيرة أو أثاث الحديقة أثناء مسيرهم . ثم ، مثل سمكة الانكليس التي تطفو إلى سطح الماء للحظة قبل أن تغطس عائدة إلى الأعماق ، اختفى فريق سونميزاتيش في عتمة الحديقة ، بمجرد أن عبر آخر رجاله منطقة الطعام الضيقة خارج الفندق مباشرة . مال أورهان إلى الأمام وحبس أنفاسه ، منتظراً أن يرتفعوا مرة أخرى . دس يده في جيبه وأخرج هاتفه بدون أن يحوِّل عينيه عن جدار الحديقة . طبع بسرعة ، مبقياً الشاشة المضيئة مخفية تحت حاجز الشرفة بحيث بقيت خافية على أي شخص يقترب من الخارج .

نظر كل من مسعود وإيردال ليريا ما يفعله لكن أياً منهما لم يقل أي شيء .

كانت ديميت جالسة وقد ضمت ساقيها تحتها عندما تسلمت آيلا الرسالة على الطرف الثاني من الكنبة ، وقد انحنت المرأتان فوق الهاتف عندما ضغطت الزر لتقرأ

أنا بخير . أنا أحبك . أو . قالت الرسالة .

جاء وقع الانفراج بالنسبة لآيلا مثل ثقل رصاصي يزال عن كتفيها . سحبت رأسها إلى الوراء وأخرجت نفساً ، طويلاً وبطيئاً . هو حي . ابتسمت ديميت ووضعت يداً على كتفها . نظرت آيلا منغمسة

بدرجة كبيرة في المناظر التي تشاهدها على التلفاز بحيث لم تلاحظ كيف كانت الفتاة جالسة طيلة الأمسية

قالت «أنت حامل» .

بدت ديميت مذعورة في البداية ولكنها هزت رأسها بعد ذلك «نعم ، حوالي ثلاثة أشهر . آيدين لا يعرف»

الفصل التاسع والعشرون

أعاد أورهان الهاتف إلى جيبه ، وقد أدرك هو والآخرون أن فريق الهجوم لن يكتفي بأن يبلي بلاءً حسناً - فهم بالضرورة منتقون من بين أفضل الرجال كفاءة مما تقدر البلاد على تقديمه . إنهم نخبة النخبة . لكن أورهان عرف أيضاً أن وحدات حماية الرئيس منتقون بدورهم من بين الأفضل . مسعود ميال إلى التمثيل والادعاء والتنكيت ، وإيردال قد تجاوز الخمسين من عمره ، لكنه يأتمن هذين الرجلين على حياته فوق كل الآخرين ، ويعرف أن الآخرين المتفرقين عبر الحديقة خلفه هم على النمط نفسه . هو لا يعرف رجال الشرطة المرتبطين بهم على الدرجة نفسها من المعرفة ، لكنه واثق من حتمية الثقة في قدرتهم على التصويب وإطلاق النار عندما يحين الوقت .

ظهر خيال خوذة فوق جدار الحد بين الحديقتين الواسعتين ثم اختفى . رآه إيردال هو الآخر . تكلم بصوت خافت في جهاز إرسال الراديو المثبت داخل كمه الأيسر .

قال «تذكروا - يحتاج الرئيس إلى عشرين دقيقة إضافية لكي يغادر هذه المنطقة . نحن مضطرون إلى استبقائهم هنا لمدة عشرين دقيقة . نحافظ على موقعنا وبعد ذلك ننسحب» .

«مفهوم سيدي» جاء الجواب .

رفع أورهان رشاشته الـP90 بهدوء وكذلك فعل مسعود، مسددين إلى المنطقة التي ظهر منها المهاجم الأول ثم عاود الانسحاب. بدأت الأضواء في ساحات الفندق وفي المبنى نفسه تنطفئ. لقد قطعوا التيار. بقي الضوء الخارجي للفيللا خلف الرجال الثلاثة مشتعلاً؛ لأن فريق سونميزأتيش لم يكن قد وصل إلى صندوق مفاتيحه بعد، لكن بقية الحديقة غرقت الآن في ظلام دامس بالتمام. ربما هي مسألة وقت قبل أن يقطعوا التيار عن المنطقة كلها. فكر أورهان. أحسّ فجأة أنه مكشوف كلياً. قرفص أكثر خلف أوراق شجيرات الحاجز، يبذل أفضل جهده للبقاء خارج مرمى النظر والاحتفاظ بخطوط رؤيته للمكان الذي سيجيء منه فريق الهجوم، مفتوحاً. تبين الشكل العام لرأس يرتفع فوق الجدار البعيد ثم الآخر.

هناك مغواران ينظران إلى موقعهم. تخيل أنه رأى حركة في الجهة البعيدة من الحديقة أيضاً. وجه سلاحه هناك، باحثاً عن حركة أخرى ثم أعاد النظر إلى الجدار. أدرك متأخراً، أن الفريق القادم ليأسر الرئيس لابد وأن يمتلك أجهزة الرؤية الليلية. ولكن الطاقم الرئاسي والشرطة ليس لديهم تلك الإمكانية.

على مسافة مجرد ثلاثين قدماً إلى يسار أورهان، من منظور عميل سونميزأتيش على الجدار، ظهر الأثر الحراري لشكل متكوم تحت الأرضية المرتفعة للكوخ الخشبي على مسافة حوالي ثلاثين قدماً إلى الأمام. أظهرت الأشعة فوق الحمراء الرجل، أحد رجال الشرطة الملحقين بالمفرزة الرئاسية، على شكل أحمر وأصفر غامقين فوق الخضرة المستنقعية للظلمة. رفع العميل سلاحه. سدّد.

شاهد أورهان السلاح يذهب إلى كتف الرجل ورفع رأسه فوق خط

الحاجز النباتي ، وهو يزم عينيه خلال الضوء الشحيح الذي يوفره مصباح الشرفة

«لأجل تركيا ، يا أبناء الزنى !» وأطلق ثلاث رصاصات في تتابع سريع ، أصابت إحدى الرصاصات قمة الجدار إلى جانب رأس المغوار ، وألقت بقطع الاسمنت على واقي الوجه البلاستيكي في مقدمة خوذة الرجل

ارتمى هو والرجل الواقف جانبه فوراً نازلين على جانب الفندق من الحد الفاصل

صاح أورهان بالرجال في الحديقة «تراجعوا ! لديهم أجهزة رؤية ليلية ! تراجعوا !»

نهض الحراس والشرطة المتواجدون في أرجاء حديقة الڤيللا وبدأوا يركضون باتجاه الشرفة ، ولكن أحد رجال فريق سونميزأتيش كان قد تمكن من الدخول من المؤخرة ، بدون أن يعرف عنه المدافعون ، وهو صاحب الحركة الظلية التي كان أورهان قد لمحها هناك ، إلى جانب الصخرة المواجهة للبحر مباشرة . فتح النار على شكل صلية باتجاه حديقة الڤيللا ، ليرشق بها الأشكال التي تركض في العتمة النسبية عاود أورهان الانحناء السريع ، مستوياً على معدته ، وانتظر توقف الرماية . عندما حدثت ، انفتل عائداً ومسعود إلى جانبه ، وبدأ كلاهما يطلقان النار باتجاه حائط البحر ليمنحا رجالهما الوقت للانسحاب .

في تلك الأثناء ، لمح العملاء على الجهة البعيدة من الجدار فرصتهم وقد سنحت ، فبدأ أربعة منهم التسلق في الوقت نفسه وصل اثنان منهم وأخذا يطلقان النار على المدافعين المكشوفين الذين غادروا مواقعهم ، بحيث سقط ثلاثة منهم على الفور تقريباً . استغل

هذان العميلان فرصة اضطراب عدوهما ، وقفزا إلى داخل الحديقة ثم أخذا يزحفان على الأرض ، بينما نظر الاثنان الآخران ليحذوا حذوهما ويطلقان النار أثناء نزولهما إلى الحديقة .

لدى سماع أنين الحارسين اللذين أصيبا على مسافة قصيرة أمامه ، استدار مسعود وأطلق النار باتجاه الجدار ، فأصاب الرجل الثالث هناك بطلقة في صدره طرحته إلى الوراء على أرض الفندق . أطلق شريكه النار فوراً باتجاه الشرفة فاضطر مسعود إلى الانحناء ، هو وأورهان وإيردال . استمرت بقية المدافعين عن الحديقة في محاولة اتخاذ طريقهما صاعدين إلى الڤيللا في العتمة ، لكن المهاجم الأصلي الذي كان قد قفز عن الجدار من جهة الصخور في الجهة البعيدة ، أعاد تذخير سلاحه وفتح النار ، بحيث أوقعهم في صلية مميتة وأجبرهم على التوقف .

حاول أولئك الذين نجوا من الصلية الأولى أن يردوا على النار لكن جاء جهدهم بلا طائل ضد عدو غير مرئي قادر على رؤيتهم في مثل وضوح النهار .

انتظر أورهان وهو يعد حتى حان توقف الرماية ثم قفز واقفاً وأطلق وابلاً إلى قمة الجدار على يساره . سقط المغوار الثاني الموجود هناك تماماً كما سقط الأول ، وصاح مسعود «يااااه!» ودق على كتفه . أجبر أورهان على الانحناء مرة أخرى بسرعة نهوضه نفسها حينما ردَّ رجال سونميزاتيش الموجودون في الحديقة الرماية عليه . مرت الرصاصات قريبة إلى درجة أنه صار بوسعه أن يحسَّ بتغير ضغط الهواء أثناء مرورها فوق رأسه

استمر فريق الاختطاف في التحرك باتجاه الشرفة بطريقة لا يمكن

تفسيرها . إلى جهة اليمين ، اتكأ إيردال من خلف عمود الخشب الصلب الذي كان يوفر له الحماية وأطلق من مسدسه رصاصتين . عاد إلى الاختباء والانخفاض حينما ردت عليه النيران من مستوى الأرض ، بحيث مزقت الرصاصات أعمدة السياج والنباتات أمام الرجال الثلاثة وتساقطت عليهم مثل الحلوى . بصق أورهان التراب والطلاء من فمه .

«إنهم داخل الحديقة» قال مسعود بما يشبه الفحيح «اعثروا عليهم!» صاح باتجاه الرجال الباقين على الأرض هناك . كانت ممارسة عبثية . فقد منحت أجهزة الرؤية الليلية فريق سوغيزاتيش ميزة غير قابلة للنقض . أصابوا ثلاثة آخرين من الشرطة في تتابع سريع ، ما أدى إلى صدور الأنين وزعيق الألم ، وبعدها انفصل المدافعان الباقيان على الأرض عن المجموع وهربا ، متجهين إلى الناحية البعيدة من البيت ، إلى يمين المكان الذي احتمى فيه أروهان وزميليه . لم يقطع الرجلان أكثر من خمس ياردات لكل منهما قبل أن تطلق النار عليهما في ظهريهما ، لينفتلا ويدورا مثل حيوانين جرى صيدهما قبل أن يقعا على الأرض .

قال إيردال «نحن مضطران إلى الانسحاب . سوف أقوم بتغطية –» فجأة سمع أورهان صوت ارتطام الرصاصة بهدفها وراقب بهلع حينما انفتحت رقبة رئيسه وسقط إلى الوراء ، والدم يتقاطر من الشريان المقطوع ويندلق على أرضية الشرفة الخشبية .

للحظة ، ارتسم الذعر على وجه الرجل المتمرس ومرت بأورهان لحظة رعب وهو يتخيل أن صديقه ومعلمه سيضطر إلى المعاناة ، ولكن ، وبعد ذلك ، حلت عليه الرحمة حيث استرخت قسماته وفقد جسمه

صلابته . تمدد أورهان إلى الأمام وتناول يد إيردال بينما خرج النور من عينيه . لكن لم يكن هناك وقت للتأسي . تطاول أورهان وأخذ مسدس إيردال من بين أصابعه التي مازالت دافئة . استدار وتبادل نظرة يائسة مع مسعود ثم بدآ يزحفان متراجعين على أيديهما وركبهما ، واستمرا يطلقان طلقة لكل منهما بالتناوب لإعطاء شخصيهما بعض الحماية

استمر مغاوير سوغميزاتيش في القدوم ، يقفزون بحرية من فوق الجدار قادمين من الفندق عبر الحديقة . سمع أورهان طلقات إفرادية من قرب الكوخ الخشبي وخلف الشرفة مباشرة . طلقات إعدام ، حيث يقوم فريق الاختطاف بعمله بكفاءة ولا يتركون خلفهم شخصاً واحداً حياً .

أحسَّ بطرف خشبات زاوية البيت بنعل قدمه ثم عدَّل اتجاهه ليلتف حولها . أثناء قيامه بذلك انتابه إحساس غريب بأنه ينتقل إلى بعد آخر ، بأنه يرتفع عن الشرفة إلى مكان يصبح فيه حراً وبلا وزن . تحول كل شيء إلى اللون الأبيض وضربه تيار من الحرارة ، وكأنه يجري تنقيته من الخطايا والتجاوزات التي اعتقد أنه ارتكبها على مدى حياته . ذهبت كل شكوكه ومعها كبرياؤه . للحظة معينة ، تخيل أورهان أنه في الجنة .

انتهى حلمه بعد نصف ثانية حينما اصطدم بجدار البيت ، حيث قذفته القنابل الصوتية هو ومسعود وحملتهما من حيث كانا راكعين وساقتهما بسرعة قطار بضائع لتلقي بهما إلى البناية . استقر كلاهما على أرضية الشرفة متكومين ، حيث تدحرج أورهان الذي تلقى حدة الانفجار القصوى وانتهى به الأمر ملقى على وجهه ، ورأسه ينبض بقوة وكأنه يتلقى التطبيل بمطارق خشبية . كان لسقوطهما غير الملائم فائدة غير متوقعة لأنه عنى أنهما أصبحا خارج مرمى النيران حينما

مشط فريق المغاوير الشرفة بزخات من الطلقات لإنهائهما . تحطمت الشبابيك الواقعة فوق الحارسين الشخصيين ، وأيقظ الصوت ، إضافة إلى قطع الزجاج المميتة الساقطة ، مسعود فتمكن من أن يدفع بنفسه قائماً ثم يمسك بأورهان من تحت إبطيه .

«هيًّا بنا !» حاول أورهان أن يبعده عن نفسه ، فهو مازال يعاني من الدوار وفقدان الإحساس بمكان وجوده .

«هذا أنا ، هذا أنا ، أيها الأحمق !» حمل مسعود الرجل الأضخم منه ثم صفعه على رأسه ، وهو عمل غريزي بدا على أنه الطريقة الوحيدة لإنقاذ صديقه في لحظة الخطر القصوى .

صحا أورهان وأدرك مكان وجوده ، واكتست عيناه ووجهه تعبير من استيقظ لتوه من إغفاءة عفوية . زرع قدميه وبدأ ينهض ، لكنه عاود السقوط مسطحاً مرة أخرى حينما بدأ المهاجمون الذين وصلوا إلى حافة الشرفة ، بإطلاق النار مرة أخرى . أخذ هو ومسعود يزحفان ملتصقين بالأرض باتجاه الممر المؤدي إلى الطريق الرئيسة للخارج . لم يعد يفصلهما عن الطريق سوى بضع أقدام . كل العملاء الآخرين في فريقه أصبحوا الآن إما أمواتاً أو أنهم هربوا . أدرك أورهان أنه مازال يحمل مسدس إيردال الآلي في يده ، فصوبه إلى الوراء وأطلق النار أثناء انصرافه . ثماني طلقات ، لكنها كافية لتضع ياردة إضافية من الفسحة بينهما وبين الرجال القادمين لقتل كل شخص في البيت .

في الممر ، ألقيا بنفسيهما عن جانب الشرفة وقام مسعود بسحب أورهان حول سيارة الدفع الرباعي الوحيدة المركونة هناك . رغم أن حواسه مازالت معطلة كأنه مخمور ، إلا أن أورهان استطاع أن يميز أصوات الأحذية على الألواح الخشبية خلفه

توقف عند جانب باب السائق للمركبة ، ومسعود يحاول أن يدفعه إلى الأمام .

«هيا بنا ، يجب أن نخرج من هنا يا أورهان . ما الذي تفعله؟»

سحب أورهان مقبض الباب فانفتح . كانت على المقعد رشاشة P90 ، رباطها ملتف على المقبض . ناولها إلى مسعود .

قال «احمني»

«ماذا؟ لا !» تناول مسعود السلاح وبدأ يدفع أورهان ، لكن الرجل ثبت كاحليه وانتفض ليحاول التخلص .

«كلا ، أبقهم على مسافة . لدي خطة» .

توقف مسعود ونظر إلى داخل سيارة الدفع الرباعي «لا توجد مفاتيح يا أورهان»

تلفت كلاهما لدى سماعهما الأصوات ، على بعد بضع أقدام فوق الشرفة المدمرة . أطلق مسعود صلية وسمعا أصوات أجسام تهرع

«هيا بنا يا أورهان !»

تجاهله أورهان ومد يده عبر مقعد السائق وفتح حجيرة أوراق ، أخرج منها خرقة تستعمل في تنظيف الزجاج الأمامي ومسح الداخل من الغبار .

«ماذا بحق الجحيم؟» أطلق مسعود النار مرة أخرى - ثلاث طلقات ، أشبه بضربات عصي على طبل صغير - باتجاه المهاجمين شتم بصوت خفيض بينما ركض أورهان حول السيارة وتوقف عند غطاء خزان الوقود في الجهة البعيدة . ظهر سلاح موجه نحوهما عند زاوية البيت فأطلق مسعود النار باتجاهه

«أورهان ! هيا بنا !»

فتح أورهان غطاء البترول وغطس الخرقة المفتولة في الداخل ، بأسرع ما أمكنه . أخرجها وقربها من أنفه . اقتنع ، وأخرج ولاعته من داخل سترته المشعوطة الوسخة وفتحها . اشتعلت الخرقة في يده ودفعها إلى داخل الغطاء بأسرع ما يستطيع ، مستعيناً بماسورة مسدس إيردال الآلي الفارغ كعصا . عندما اختفت الخرقة في الداخل ، نادى على مسعود «اركض!» ركض مسعود بكل سرور وهو يطلق النار بلا توقف أو توجيه لجرد تغطية فراره ، وهو يتراجع في البداية ثم استدار وأطلق النار وراءه ليلحق بأورهان .

راقب العملاء الموجودون حالياً في الحديقة المسيطر عليها ، الفريق المتقدم يحتمي أمامهم على الشرفة ، وما زالت مناظير الرؤية الليلية تظهر شكلي أورهان ومسعود والشرفة بكاملها مضاءة بوميض النور الوحيد هناك . ظهر وكأنهما يركضان حول السيارة في محاولة لتشغيلها ، ثم أصيبا بالذعر ، لكن المنظر بات محتجباً بعض الشيء بسبب النباتات والأشجار التي تزنر نهاية الممر . اصطف أربعة عملاء محتمين بزاوية البناء وحاولوا أن يردوا على إطلاق النار من صليات مسعود الطائشة ، لكنه نجح في صدهم للحظات . ثبت قائد الفريق التركيز منظار الأشعة تحت الحمراء ، فوق وجه أورهان وهو يجري حول سيارة الدفع الرباعي .

«أطلق الرصاصة» قال من خلال ميكروفون الاتصال على واقي وجهه . ثبت الرجل الواقف بجانبه زر الأمان على بندقيته وسدَّد . استمر مسعود الموجود بين السيارة والبيت في القفز إلى الظلال وخارجاً منها ، وأصبح وجهه يضاء للحظات من صليات الرشاشة .

قال الرامي إلى قائد الفريق «الهدف مؤمن . جاهز للرمي» في

اللحظة التي قال فيها «أطلق» انفجرت الخرقة التي حشرها أورهان في خزان البترول واشتعلت بقوة لاهبة . ظهرت عبر جهاز تحت الأشعة الحمراء مثل مصباح صيني .

«صاح أحدهم «قنبلة يدوية !»

«لقد حشر خرقة في خزان البترول . هذه ليست قنبلة يدوية» قال قائد الفريق «تراجعوا ! كل الوحدات تتراجع !»

اختفى أورهان ومسعود في العتمة أمام المنزل ، ومسعود يطلق النار بجنون أثناء ذهابه . نزل القائد الموجود فوق الشرفة خلفهم على ركبة واحدة واستعد للرد على الرماية من وراء الزاوية ، لكن قائد الفريق ضغط على زر اتصاله «قلت لكم تراجعوا ! تراجعوا فوراً !» قاطعته كرة النار التي تكاد تعمي الأبصار لدى انفجار سيارة الدفع الرباعي . أدى التغير المفاجئ في التعرض للضوء إلى شعط الأشعة تحت الحمراء وأجبر كل رجل من فريق الاختطاف أن ينحني ويضغط على عينيه ليزيل الألم . طار الرجال الذين بقوا على الشرفة إلى الوراء من فوق الحاجز إلى الحديقة تحتهم ، مصابين بالحروق وقد غطتهم قطع جارحة من نوافذ السيارة . تدحرجوا في أحواض الزهور وهم يصرخون طالبين المساعدة من زملائهم في المؤخرة ، لكن أولئك تأخروا في القدوم بسبب الحروق التي أصابت عيونهم جراء الانفجار .

عندما نجحوا في الوصول ، كان القسم الشرقي من البيت بكامله يشتعل ، بينما جعلت السيارة التي تحولت إلى جحيم الممر مستحيل العبور .

الباب الخلفي المسلح للفيللا كان بطبيعة الحال مقفلاً من الداخل . تمّ إحضار كبش نطاح لفتحه عنوة ، ليتبين أن المكان خالٍ كلياً

من جميع أفراد وموظفي حاشية الرئيس . ذهب العميلان اللذان نسفا السيارة بدورهما ، مستغلين دقائق التأخير التي تسبب فيها ليخرجا عن الطرق السالكة ويتخذا سبيلهما عبر الأرض غير المطورة في مواجهة الڤيللا . بعد أن حام غاضباً حول البيت وشتم جميع الحاضرين ، أعطى سوغميزاتيش الأمر بالانسحاب لحظة وصلت أصوات صافرات الإنذار من البعيد .

جرى تحميل المتوفين والجرحى إلى ساحات فندق عمامة نادي اليازجي الكبير وإيصالهم إلى طائرات البلاك هوك ، فيما أشرف قائدهم المباشر على العملية بوجه عابس متجهم ثابت القسمات . بدأت الشمس تشرق من فوق البحر في المدى ، تلقي على الأمواج مسحة من الروعة الحمراء والفضية ، وفكر كل رجل موجود هناك ما إذا كان من الأفضل لهم مجرد الطيران في ذلك الاتجاه والبحث عن حظوظهم ، حيث لا يتمكن الرجال الذين يبحثون عنهم من الوصول ، للوقت الحالي على الأقل

في هذه الأثناء ، وعلى بعد تسعين كيلومتراً في مطار دالامان ، توقف أسطول من سيارات الركاب الضخمة وسيارات الشرطة والدفع الرباعي عند حافة المدرج . ظهر الشكل البعيد لشخص الرئيس أردوغان لأولئك القلة من الموظفين في القاعة ، محاطاً بعناصر من فصيل الحماية الرئاسية من كافة الجهات . مشى مسرعاً تحت أنوار المدرج باتجاه طائرة جلف ستريم IV المنتظرة ، وقد سطعت علامتها الحمراء فوق اللون الأبيض الناعم لجسمها ومقدمتها

استمرت قوات الحماية في تفقد كل الطرق القريبة والساحات المفتوحة بالإضافة إلى السموات ، بحثاً عن أي تهديد محتمل . لم

يتوقف الرئيس على قمة الدرجات بل مشى مسرعاً إلى الداخل وأغلق الباب خلفه فوراً . دفع الطيار بمحركي الطائرة الرولز رويس إلى قوة إضافية وخلال ستين ثانية من إغلاق الأبواب ، أزيلت سيارة الدرجات وبدأت النفاثة تتمشى استعداداً للإقلاع . مع وصولها إلى آخر المدرج ، تركت اللون الزهري الفاقع للنهار الجديد القادم من الشرق خلفها ، المنظر نفسه المنعش للروح الذي بات المنهزم سوغميزاتيش يتأمله في تلك اللحظة ، وبدلاً من التأمل ، أقلعت الطائرة هادرة باتجاه سموات الغرب التي ما زالت تسبح في العتمة ، باتجاه المدينة التي قادها أردوغان في الماضي بصفة رئيس بلدية ، والذي قيل له إنها سوف تسانده في أحلك ساعات الخطر المحدقة به

الوضع النفسي في قمرة الركاب مصمم ، عاقد العزم ويكاد الصمت يعم ، الصوت الوحيد هو همسات الموظفين وهم يخططون لكيفية تحرك المجموعة لدى وصولها إلى وجهتها

***

في أنقره ، أشارت آثار المعركة بوضوح على مقر قيادة الإدارة العامة للشرطة

حيث استمرت مجموعات المغاوير المهاجمة في محاولة التغلب على المدافعين عند المدخل الأمامي

ارتمت الجثث في أرجاء الساحات وداخل المبنى نفسه . على الرغم من استمرار تبادل النيران ، وقف مئتان أو أكثر من المحتجين يهتفون خارج السور والبوابات الرئيسة متجاهلين الخطر في معظم الوقت ، يحتمون فقط عندما يصبح هدير الأسلحة الآلية ثقيلاً بدرجة خاصة أثناء التوقفات ، كانوا يطلقون الشتائم والنداءات للمهاجمين

حتى يتوقفوا . حدق مدافعو الشرطة في البهو المحصن بوجوه دامية ومسودّة ، من خلال الأدخنة والغبار ، يطلقون نيران أسلحتهم بشكل نمطي .

في النهاية ، ومع تناقص كميات الذخيرة ، تبادل العديد من رجال الشرطة النظرات وطأطأوا برؤوسهم . أخرج أحدهم صندوقاً أخضر داكناً وفتحه ليكشف عن صف منتظم من القنابل اليدوية . أخرج اثنتين منهما ووضعهما إلى جانبه بتأنٍ . بعد ذلك قام بتوزيع البقية بين الرجال الآخرين القريبين منه .

تناول كل رجل قنبلة ووقف ينتظر . بعد أن تم التوزيع على الجميع ، رفع الرجل الذي يحمل الصندوق القنبلة اليدوية الأولى ، انتظر توقف الرماية ثم سحب الدبوس . قلّد الآخرون أفعاله . ألقى القنبلة من فوق التحصين ، إلى الخارج عبر المدخل المدمّر ثم مد يده فوراً نحو الأخرى . لاحق بقية الرجال عمله وألقوا بقنابلهم أيضاً . مع وصولها إلى الأرض ، كان الرجل الأول يسحب دبوس الثانية ويستعد للانقضاض .

في الخارج ، فوجئ فريق المغاوير الذي كان متخندقاً ويحاول أن يرهق المدافعين بالاستنزاف من سلسلة الانفجارات المفاجئة . ألقي أولئك الذين لم تصبهم الانفجارات إلى الوراء ، ولم تتوفر لهم الفرصة ليستعيدوا توازنهم قبل أن ينطلق مدافعو الشرطة إلى الأمام في هجمة ، يطلقون أسلحتهم بشكل صليات آلية . رد اثنان من المغاوير على النار ، لكن صفهم كان قد تحطم جراء التفجيرات المتفرقة فبدأوا يتراجعون .

لدى وصولهم إلى الأرض المكشوفة بين المبنى والجدار الخارجي

الملاصق للشارع ، أدركوا أن طريقهم إلى الخارج مغلقة من قبل مساندي الحكومة . توقفوا في وسط العشب وأخذوا يتلفتون حواليهم في اضطراب . لاحقهم مدافعو الشرطة بعيون هائجة هيئات مشعثة ، واقتربوا منهم . أشار أحد ضباط المغاوير إلى الناس

«افتحوا النار عليهم! افتحوا النار عليهم! أطلقوا من خلالهم!» لدى رؤيته رجاله يترددون ، حاول مرة أخرى :

«هيا بنا !»

نفضوا رؤوسهم رافضين وأرخوا عيونهم باتجاه الأرض . أصبح الشرطة على مسافة خمسين ياردة في هذه اللحظة . ألقى أحد الضباط الأصغر سناً ، والذي لم يكد يتجاوز سني مراهقته بكثير ، سلاحه على العشب ورفع ذراعيه . بدأ يمشي باتجاه الشرطة . تابعه الآخرون ، يسقطون أسلحتهم ومعداتهم ويمشون باتجاه خط الشرطة .

«انزلوا على الأرض ! هيًا انزلوا !»

استسلمت السرية بكاملها ، وكان القائد آخر من يئس . دفعهم رجال الشرطة إلى الأسفل وبدأوا يفتشونهم .

الفصل الثلاثون

وقف ستيف في الزاوية الخلفية لغرفة السناتور بعد عودتهم إلى واشنطن العاصمة ، يراقب النشاط المحموم يتزايد وينمو مع كل تقرير جديد ، يتم تسليمه يدوياً من قبل موظف مبهور الأنفاس ، وبعدها تتخافت الأجواء بينما يتم استيعاب الأنباء الأخيرة وإما يتم تبنيها من قبل المجموعة أو رفضها . في العادة ، فإن ستيف قادر على قياس الحالة المعنوية لكل غرفة بمجرد الدخول إليها ، لكن هؤلاء الناس غرباء بالنسبة إليه . ذكروه بمقامري أواخر الليل ، الصنف الذي شاهده يتمشى عبر الكازينوهات في كل الدنيا ، من لاس فيغاس إلى ماكاو يتمتعون بالمنظر نفسه بغض النظر عن أصولهم . أولئك الذين لا يستطيعون أن يتوقفوا أناس يمارسون حركات المقامرة ولكنهم لا يفهمون بالضبط لماذا يقومون بها

الرجال الذين يجهزون خطوطاً من قطع الرقاقات بمنتهى العناية على طاولة الروليت ، يختارون أرقاماً محددة بدقة ليعطوا الانطباع بأنهم يتبعون نظاماً محدداً ، لكن في الحقيقة فإن أفعالهم تكون اعتباطية مثل فقاعات الزئبق حين يتم سكبها على طبق زجاجي في المختبر النساء صغيرات السن بفساتينهن المثيرة الأنيقة ، يطعمون آلات القمار ذات صور الفاكهة بأوراق نقدية من فئة العشرين دولاراً وكأنهن يطعمن حيواناً أليفاً . طالما أدهشت هذه الإرغامات على التصرف ،

على عمل شيء ما ، ستيف . يعرف هؤلاء الناس أنهم سيخسرون في نهاية المطاف - سواء اعترفوا بهذه الحقائق أم لا

لم يكن لديه الكثير من المعارف ذوي الميول التحررية ، لكن أولئك الذين يعرفهم ظلوا يصفون مثل ذلك التصرف على أنه إدمان . ظل يمتنع عن الخوض في البحث الذي يشير فيه إلى أن هذا لا يمثل إدماناً ، بل اضطرار ، واستمر يرشف من كأس الويسكي الذي يحمله

لا تنبع مشاكل الناس من أداء الفعل ، بل من الخوف من عدم فعل أي شيء . ذلك هو كل ما في الأمر . تشير جميع الأبحاث إلى أن المدمنين سيظلون دوماً يستبدلون سلوكاً معيناً بآخر ، تماماً مثلما استبدل راي تشارلز ، مغني ستيف المفضل ، إدمانه على الهيروين بشرب محيطات من الويسكي . لقد ظل مدمناً ولكنها عملية أبطأ وأكثر تسبباً بالملل . الناس متحفزون للتصرف وليس للاستراحة

هذا هو ما رآه ستيف في الغرفة هذه اللحظة ، الغرفة التي تضم المرأة التي يحتمل أن تكون صاحبة النفوذ المؤثر في البلاد ، حيث تقوم هي وجماعتها بتنفيذ مهمات وتحركات بدون أي منطق أو فهم . الأمر الذي تمتلك معلمات رياض الأطفال الإلهام الكافي لفهم أنه مجرد انهماك في العمل الغرفة تفوح برائحة السلطة ولكن لا أحد من الحضور يعرف كيف يستعملها كان قد توقف عن النظر إلى هاتفه لفترة سابقة . فهو ليس لديه ما يقدر على عمله للناس الذين يطلبون مساعدته . لم يعد هناك ما يمكنه عمله للتأثير على مسار الأحداث . لقد كان دوره منحصراً في تهيئة الدواليب للحركة وقد قام بذلك ، ولكن لم يستطع أحد أن يعرف ، وأقلهم ستيف ، إلى أين تأخذ هذه الدواليب العربة

وقف ساكناً يراقب شاشة التلفاز وبالكاد يسمع محتوى ما جلبه آخر الموظفين . لم يعد ذلك مهماً . ذهب ليصب لنفسه قليلاً من القهوة .

«هل سمعت ذلك؟»

انتبه ستيف إلى أن السناتور تخاطبه . تناول فنجاناً عن الصينية الفضية .

«اعذريني سيدتي ، ماذا؟»

تمتم كيپ بشتيمة ، بينما عقد ستيف ذراعيه وواجههم .

قالت السناتور «إن أردوغان يحلق في الجو» .

دلى ستيف بمقبض الفنجان ورفع أحد حاجبيه ، وكأن هذه أخبار تسترعي اهتمامه ، ولكن ليس أكثر من ذلك . شيء قريب من شخص أخبره عن نتيجة الأهداف في مباراة كرة قدم .

استدار عائداً وبدأ يملأ فنجانه بالقهوة من الجهاز . قال «هممم» راقبوه محتارين .

«إلى أين هو ذاهب؟» جاء صوت السناتور قاسياً . حمل في طياته عبئاً أشبه بالشق في مقبض الفنجان الذي يحمله ستيف .

«يقولون إنه متجه إلى إستنبول» قال أحد الموظفين «هناك قناتان إخباريتان تقولان ذلك سلفاً وعلى المكشوف . كذلك تقول معظم ثرثرات التويتر الشيء نفسه» .

«هممم» كرر ستيف القول . تناول الابريق وأضاف دفقة من الحليب .

«كنت أظن أنك تفضلها سادة» قالت السناتور .

«حسناً» استدار نحوها ورفع الفنجان إلى شفتيه ليرشف قبل أن

يرد «الأمور تتغير، ألا تتغير؟»

انتفخت العضلة على الجانب الأيسر من فكها وجاهدت لتسيطر على أفعالها «ما الذي يجري؟ ألم تسمع من جزيرة الأمير؟»

شرب ستيف جرعة كبيرة واستمتع بالشعط في حلقه. القهوة حارقة «لقد سمعت قبل وهلة قريبة. لا توجد أية قوارب أو مروحيات ذاهبة إلى أي مكان. إنه عالق. لقد تم إبطاء الانترنت في جميع أنحاء تركيا بحيث أصبح غير صالح للعمل بدرجة أساسية».

قال الموظف «يقول البعض إن الانترنت البطيء هو من عمل الحكومة، ولكن الاحتمال الأكبر هو أن الحركة تتجاوز سعة الموجات».

«ذلك لا يهمني» لم تكلف السناتور نفسها عناء الالتفات إلى المتكلم. ظلت مركزة نظرها على ستيف «ماذا يستطيع أن يفعل؟»

«لا شيء» أنهى ستيف فنجانه مع شهقة رضى. كان يشعر بقليل من الدوار. بدأ نبضه يتسارع. «لا يستطيع أن يفعل أي شيء. لقد تم تعطيل المدينة بكاملها من قبل المحتجين الموالين للحكومة المنتشرين في الشوارع. لا يستطيع أي شخص أن يتحرك إلى أي مكان. الوضع أشبه بوجود مئة ألف درع بشري».

«ماذا عن الشرطة؟»

«ليسوا على الجانب الصحيح. تفيد آخر الأخبار أن الشرطة تقف إلى جانب أردوغان. لن يقدموا على إخلاء الطرق».

«في هذه الحالة، أين سيهبط أردوغان؟ لقد احتل الثوار المطار، صحيح؟»

أشار ستيف بفنجانه إلى التلفاز واتجهت كل الأعين لتشاهد

الأحداث المتوالية على الشاشة . هناك خليط من المحتجين والشرطة وأفراد القوات الخاصة بالملابس المدنية وضباط مقاومة الإرهاب يركضون عبر قاعات مطار أتاتورك ، حتى إن بعض المدنيين توقفوا لالتقاط صور سيلفي مع أفراد شرطة بالاكلاڤا . واضح أن الجيش الذي لم يظهر في اللقطة ، أصبح في حالة تراجع كلية . على المدرجات في الخارج ، تغطت الدبابات بالمزيد من المحتجين ، يصعدون فوقها ويدقون على الفتحات ، يعلقون الأعلام التركية على الجنازير والأبراج . أصبحت القوات الحكومية تسيطر على المطار بدرجة كاملة

«الجمهور التركي هم الأبطال لهذا اليوم» قال ستيف بدون أن يرف له جفن .

«إنه في طريقه ليهبط في إستنبول» جاء صوت السناتور أخف من همسة «لقد انتهى الأمر»

جاء صوت كيپ خشناً ، يبتلع ريقه ، كلماته ثقيلة «ما زالت هناك إمكانية -»

«اخرس!»

استدارت السناتور بحدة وخاطبتهم كلهم :

«احرقوا الأقراص . اقطعوا كل الاتصالات . لا تردوا على الهاتف إذا تلقيتم مكالمات . إذا جاء إليكم أي شخص من الصحافة ، قولوا إننا ندعم العملية الديمقراطية في تركيا بشكل كامل ؛ لأنها مقدسة ولا ندعم أي محاولة لتقويض تلك العملية أو التجاوز عليها»

بدأ الموظفون يتوزعون لتنفيذ الأمر ، تناول ستيف سترته عن طرف السرير وطواها على ذراعه

«إلى أين أنت ذاهب؟» توقف الجميع بينما ركزت السناتور

اهتمامها عليه . اتخذ خطوتين إلى الأمام وابتسم .

«أنا ذاهب إلى البيت لأشرب قارورة من النبيذ الأحمر كنت أحتفظ بها وأفكر في الناس الذين ماتوا هذه الليلة»

«لدينا عملية حصر أضرار لنقوم بها هنا . طيلة الليل» وضعت السناتور يديها على وركها ، وباعدت بين ساقيها . وقفة سلطة ، فكر ستيف بتفكه مرهق «نحن بحاجة إلى اتصالاتك» .

«اتصالاتي؟» أعاد ستيف فنجان قهوته إلى الصينية بعناية وحرص «اتصالاتي سينشغلون بحصر أضرار خاصة بهم ، وهناك العديد من الأتراك بينهم سيحاولون أن يخرجوا ويخرجوا عائلاتهم إلى خارج البلاد . هل تعتقدين أن الجميع سيعودون إلى بيوتهم وينسون كل ما يتعلق بالموضوع عندما تشرق الشمس؟ هذا الموضوع لم يكد يبدأ ، لقد أريقت الدماء ، والدماء تستدعي الدماء . أفترض انهم لم يعودوا يدرسونكم ذلك في جامعاتكم العريقة . ربما حتى نسي أساتذة التاريخ أن هذه الأمور حقيقية» .

«هل أنت تمازحني؟» اتخذ كيپ خطوة باتجاه ستيف . للحظة ، تصاعد عنف شبابي داخل ستيف وتأمل أن ينسى الموظف وضعه ستيف لا يكاد يصل إلى ارتفاع كتف الرجل ، لكنه عرف أن كيپ قد تخلى عن ميزة طول ذراعيه بالاقتراب أكثر مما ينبغي

«هل تظن أنك تستطيع أن تتفوه بهذه الترهات هنا ثم تمضي مغادراً؟» كان كيپ يقول الآن «أنا كنت في العراق»

رفع ستيف حاجبيه في احترام ساخر ، شكّل فمه كلمة «واو» صامتة . وقال «أستطيع أن أرى أنك تعلمت من تلك التجربة»

«إذاً ما الذي ينبغي أن نفعله؟» كانت تلك السناتور ، تتكلم من

فوق كتف كيپ . دخلت لمسة من الضعف في صوتها .

«نحن لا نفعل أي شيء» . أخذ ستيف يتحرك باتجاه الباب «لمرة واحدة لا نفعل أي شيء . فقط اقطعوا جميع الاتصالات مع حلفائنا الإسرائيليين . . هم الأكثر احتمالاً في أن يجري تجريمهم في هذه العملية . هم مكشوفون أكثر مما يجب ، وليس نحن»

«وأي نوع من السياسة هي هذه؟» لاحقه كيپ «سيكون هناك أناس بحاجة إلى مساعدتنا»

«ودعني أسألك ، كيف كان دعمنا هذا يؤثر مؤخراً؟ كيف كانت نتيجة تقديمنا المساعدة على الإطلاق؟ على الأقل منذ العام ١٩٥٣» .

توقف كيپ «ماذا حدث عام ١٩٥٣؟»

«أرأيت؟» نظر ستيف إلى السناتور من فوق كتف الهاوي السياسي «هذا هو الوضع . هل أنتم أيها الناس تعيشون داخل فقاعة؟ في هذا العلو ، تعتقدون أنكم آلهة جبل أوليمپوس؟ حتى الناس الذين يدفع لهم ليتعلموا من الماضي ، مثل هؤلاء» أشار حوله إلى الموظفين . «لا يعرفون لماذا يقومون بالأشياء التي يفعلونها . تغيير نظام الحكم؟ حل عني . لقد انتخب أردوغان بطريقة ديمقراطية»

«حسناً» قالت السناتور «هل انتهيت؟»

«لا ، ولكنني سوف أفاجأ إذا لم ينته الشرق الأوسط منا . انظري إلى ما حصل خلال خمسة عشر عاماً - العراق ، مدمر . سورية ، مدمرة . ليبيا ، مصر . فلسطين أقل حرية من أي وقت مضى ولا أحد يهتم . نحن نسمح لحليفنا بأن يدمر البيوت الفلسطينية ويصادر أراضيهم . لقد أنشأوا دولة فصل عنصري ونحن دعمناهم في إقامتها هل تعتقدون أن العرب سوف يحبوننا لأجل ذلك؟ إيران والسعودية

غارقتان في حرب باردة . والآن تركيا ! هل هذه هي (حربنا على الإرهاب؟) هل هذه هي خطتنا العظيمة لإحراز السلام؟»

حدجته بعينيها السوداوين بقوة «وكيف تعرف أن تلك لم تكن الخطة منذ البداية؟»

توقف ستيف وعلقت الكلمات في حلقه أدرك أنه ليس لديه ما يقوله . لقد ظل منذ زمن طويل يظن نفسه إنساناً بارداً وساخراً ، لكن هذا الأمر أكبر حتى مما سمح لنفسه بأن يشك فيه . لقد كان الأمر كله عبارة عن لعبة - لعبة هائلة من الشطرنج وهو بيدق مثل كل الآخرين أعتقد أنه يشاهد جميع الحركات ، وكل اللوحة من نقطة مراقبته ، ولكنه في الحقيقة محشور في زاوية ومسموح له فقط بالتحرك خطوة واحدة في المرة الواحدة . ارتدى سترته وذهب باتجاه الباب . نادت وراءه «استمتع بشرابك !» لم يضحك أحد . مشى ستيف عبر الحشد من العيون التي تراقبه وقطع الممر بعدها . ضغط على الزر وانتظر ، لم ينظر رجل الخدمة السرية الواقف عند الأبواب إليه ولا بنظرة . فقد كان يحدق أمامه مباشرة .

***

انهمك محمد ديشلي في النقر على هاتفه ، بينما وقف طاقم الخدمة الأرضية والطيارون حوله ، وقد ذهب التوتر من تعابيرهم وحركاتهم . حل إرهاق ثقيل على القاعدة مع انبلاج النهار ، وبدا الآن كأن كل رجل يشعر بتأثيرات ليلتهم التي قضوها بلا نوم .

استمر بعض أفراد الطاقم في أداء واجباتهم ، ولكن كانت هناك ميزة آلية في حركاتهم ، وغابت عنها تلك الحماسة والحيوية اللتان كانتا موجودتين على شكل أساسي لدى أفضل الوحدات .

دخل فاتح شاهين من مدخل الهنجر العريض ، قادماً من الساحة تبادل هو وديشلي نظرة .

سأل شاهين «ماذا عن سوغميزاتيش؟»

نفض ديشلي رأسه . أشاح فاتح شاهين بنظره ، هبط كتفاه ، ثم مشى متمهلاً نحو كرسي بلاستيك عند جدار الهنجر وجلس عليه . وضع رأسه بين يديه . التفت ديشلي نحو مساعده :

«هل ما زالت لدينا طائرات في الجو؟»

هزَّ الرجل رأسه «ما زال البعض على اتصال بالراديو يا سيدي»

نظر ديشلي خارجاً إلى السماء التي يتزايد ألقها فوق المدرجات الفارغة

***

وصلت كل من آيلا وديميت إلى مرحلة الإعياء مع زحف الشمس الوئيد فوق السجادة وتسلقها من قاع الكنبة إلى حيث تجلسان . فركت آيلا عينيها ببراجمها وسحبت نفساً عميقاً لتوقف قدوم التثاؤب . لم تجلس لتراقب التلفاز طيلة الليل منذ أيام الجامعة . استمرت ديميت في الاستلقاء قبالتها ، واضعة ذراعها حول وسطها للحماية . ألقت آيلا إليها بنظرة جانبية وتفحصت المشاعر المتضاربة التي تحس بها تجاه الفتاة . فمن ناحية ، هي سعيدة لأن ديميت - تلك الفتاة البريئة الثرثارة التي تتقافز في أرجاء المكتب جالبة إشراقة الشمس إلى نهار كل شخص - قد أنعم الله عليها بالشيء الذي طالما حلمت به هي لنفسها ، ولكن بالنسبة لآيلا كان هناك أيضاً وعي لا يمكن إنكاره بالحسد ، إلى درجة المرارة ، فالزوجان غير اللائقين للأبوة سوف يتم إهداء طفل إليهما . لقد حاولت هي وأورهان لفترة طويلة ، حتى جعلها

الأمر تعتبر نفسها قشرة فارغة لمجرد التفكير بأنها وأورهان سوف يستمران في الصراع بينما ديميت تتألق .

تسبب لها التفكير فيه بحدوث دفعة جديدة من الألم والخسارة .

تهيجت أحاسيسها طيلة الليلة الماضية لأنها وصلت إلى قناعة بأنه ميت ، لتتحول إلى التفاؤل الطاغي بأنه سوف ينجو ويعود إليها انتشرت الشائعات في شلال من رسائل التويتر كلما تمكنت من جعل الانترنت لديها يعمل : بعضها يقول إنه حدث تبادل لإطلاق النار لدى الحرس الرئاسي ، وبعضها الآخر يقول إن الرئيس قد غادر بيت إجازته بدون أية عوائق ، وكل أنواع الحكايات والقصص وحتى بعض الصور المغبشة إلى درجة أنها لم تكن تستطيع أن تتبين منها أكثر من أشكال أقرب إلى الكرات . تم تداول قصة عن حدوث انفجار في فيللا الرئيس ، وقريباً منها ، وعن مروحيات تهبط على المرج - في الحديقة حيث تعرف هي أن أورهان قد تم تعيينه هناك . فقد أرسل لها سابقاً صورة عنها في نهاية المطاف .

هو ميت لا محالة

مشت الكلمات والشعور المرافق لها لتعبر كيانها كله . تخيلت الحياة بدون رؤيته ، فبدت لها فارغة من كل ما يجعلها تستحق أن تعاش . الفتاة التي آوتها لهذه الليلة تمتلك كل حياتها أمامها ، الحياة التي أدركت آيلا مؤخراً أنها تريدها هي الأخرى ، ولكنها ستحرم منها الآن وتهدى إلى ديميت . انحنت إلى الأمام ووضعت رأسها بين ركبتيها . استندت ديميت جالسة وجعلت كلتا يديها فوق كتفي صديقتها «آيلا؟ آيلا؟ هل أنت على ما يرام؟»

أصابت فكرة قيام الفتاة الحامل بمساعدة آيلا بضرب من السخف .

عاودت رفع رأسها وحشرت شعرها خلف أذنيها

«نعم ، أنا بخير . فقط متعبة» لمست ساق ديميت «كيف حالك أنت؟»

استندت الفتاة إلى ظهر الكنبة

«ربما الأفضل لي هو أن أستعد للذهاب»

لم تمتلك آيلا الطاقة الكافية للاعتراض «كم بلغت مدة حملك؟»

توقفت ديميت عن لف منديلها بين يديها «أظن أنه قرابة ثمانية أسابيع . ربما شهران . إنه لا شيء مهم حتى الآن»

ليس لا شيء «هل يعرف آيدين؟»

أغمضت ديميت عينيها ونفضت رأسها «كنت أنوي أن أخبره بعد المقابلة»

«هل تعتقدين أنه كان في الخارج - هناك -» وأشارت إلى التلفاز «هذه الليلة؟»

ألقت ديميت نظرة باتجاه الشريط الإخباري . ما زالت الصور القادمة من الجسر بعيدة جداً بحيث لا يمكن تمييز الجنود بشكل إفرادي . كانوا واقفين في هذه اللحظة رافعين أسلحتهم فوق رؤوسهم . واضح أنهم على وشك الاستسلام «أعرف أنه كان هناك»

لم تستطع آيلا أن تجد ما تقوله غير ذلك ، فنهضت واقفة «يجب أن تأكلي . لدي بعض المقرمشات»

«كلا» نهضت ديميت خلفها ، ترفع يدها الملفوفة بالمنديل «سأكون بخير»

«ما زال الوضع خطراً . إبقِ لفترة أطول . إلى أن يعلنوا انتهاء كل شيء»

«سأكون بخير . لقد رأيت بنفسك الآلاف الخارجين هناك»

«نعم آلاف الناس وكلهم يتجولون بدون أي سيطرة على الإطلاق . ابقي هنا حتى بعد الظهر على الأقل» .

نظرت ديميت إليها . أدركت آيلا أنها بدت غير مقنعة . تمنت لو تستطيع أن تمنح صوتها صفة الأصالة التي ستكون ضرورية لإبقاء الفتاة في الشقة وآمنة . لم تكن الصفة موجودة . لم تتمكن من أدائها . مرت لحظة صمت غير مريحة ثم بدأت ديميت تضع المنديل على رأسها

«أشكرك يا آيلا . سأتصل بك حالما أصل إلى بيتي»

«دعيني أذهب معك» .

«لا» ابتسمت ديميت «الأمر على مايرام ، حقيقة . هي مسافة مشي قصيرة . ذلك كل ما في الأمر» .

تحركت باتجاه البهو ، آيلا خلفها «حسناً ، ولكن لا تستخدمي المصعد . قد لا يكون آمناً . أقصد-» عبست آيلا «بل استخدمي المصعد . لا ينبغي عليك أن تنزلي الدرجات»

توقفت ديميت عند الباب ووضعت يدها على ذراع آيلا «سأكون بخير . أشكرك مرة أخرى»

حلت السقاطة على الباب بنفسها ووقفت آيلا بطريقة مرتبكة أثناء خروجها

ابتسمت ديميت وهي تلتفت إلى الوراء أثناء سيرها في القاعة

***

فوق الجسر ، اتبع آيدين الأوامر بإلقاء سلاحه وخوذته على الكومة والتحرك إلى الأمام رافعاً يديه . ظهر الحشد أمامهم مشكلاً كله من الرجال ، وكلهم غاضبون ، وكأنهم مستعدون لتمزيق وسط الجسر

وتقطيع أوصالهم . مد آيدين يده تحت الكيڤلار وسحب الهاتف أثناء تخلصه من الصدرية . لم ينتبه إليه أحد من الرجال حوله بينما هو يكتب ، فقد ذهب الضباط سلفاً . عندما أنهى الرسالة ، استند إلى الوراء وألقى الهاتف بعيداً بكل قوته ، بحيث أرسله يدور من فوق الحاجز وإلى داخل المياه بعده . ثم انضم إلى الطابور ووضع كفيه مفتوحتين فوق رأسه . عندما رأى رجال الشرطة أنهم غير مسلحين ، بدأوا يتحركون قدماً ، لكنهم لم يتمكنوا من منع الناس العاديين من القفز إلى الأمام مثل الغضب المطلق سراحه ، مستعدين للانتقام لإخوتهم وأبناء وطنهم الذين سقطوا . خاطر آيدين بإنزال يديه للحظة ونزع نظاراته عن رأسه ليضعها في جيب قميصه .

الفصل الحادي والثلاثون

ما بين الأوامر التي تتداول همساً وقراءات المعدات في قمرة القبطان للطائرة الرئاسية ، كان هناك توجس من وجود المزيد من الخطر أمامهم ، ولكن رافق ذلك الإيمان المحموم بأن كل الصراع قد انتهى الآن طالما أن الطائرة قد أصبحت في الجو ، ولن يكون هناك شيء سوى التحليق الآمن السهل نحو أكبر مدينة في البلاد . وضع طاقم الطيران الطائرة في مدى قوسي واسع بعد الإقلاع من دالامان ، بحيث تجنب كلا من قاعدة ديار بكر في الجنوب الغربي والأطراف القصية للقواعد الجوية المحيطة بأنقرة ، والتي أبرزها قاعدة التشيني . ليس هناك مكان خارج المدى بالنسبة للنفاثات ، لكن الطيار قد تم إخباره من قبل عملاء هاكان فيدان مدير الـMIT بأن هذه المناطق محظور فيها الطيران بدرجة مشددة ، ولهذا اضطر إلى سلوك قوس عبر وسط الأراضي الداخلية ، الأراضي التي كانت تركية منذ الأيام الأولى للسلاجقة ، في الأيام الذهبية التي تلت انتصارات الب أرسلان العظيمة ، قبل ألف سنة .

في اللحظة التي شعر فيها الرجال الثلاثة - الطيار ، مساعد الطيار ، والملاّح أنهم تحرروا من المناطق الخطرة ووصلوا إلى المرحلة الأخيرة من رحلتهم ، مال مساعد الطيار إلى الأمام فوق شاشة الرادار وشد كم قميص الطيار .

«هل أنت ترى هذا؟»

تابع الطيار خط تطلعه نحو شاشة الاستشعار الصغيرة وأجفل «ماذا بحق الـ-»

انفتح الباب خلفهما ودخل إلى الحجرة إبراهيم كالين، متبوعاً بحسن دوغان.

قال كالين «هناك طائرتان مقاتلتان على كل جانب منا» قال كالين «فما الذي تفعلانه؟»

انفتل الطيار في كرسيه «لقد انخفضا لتوهما يا سيدي. يحتمل أنهما يتابعاننا منذ لحظة الإقلاع، ولكن الاحتمال الأكثر هو أنهما كانا يتجولان حول المقتربات وصادفانا»

«نحن نطير على ارتفاع منخفض حتى نتجنب أي طيران آخر» شرح مساعد الطيار «ولكنهم قادرون على اصطيادنا مثل بطات جالسة في بركة سباحة»

قال دوغان «ليس هناك أمر طيران. لا يفترض وجود أي شخص في الجو»

قبل أن يتمكن الطيار من الرد، طقطق الراديو وجاء منه صوت محمل بالذبذبات الكهربية عبر السماعات «جلف ستريم IV، جلف ستريم IV» قال قائد الطائرة المقاتلة «أرجوك أن تعرف عن نفسك. حوّل»

نظر الطيار إلى إبراهيم كالين طلباً للإرشاد. أشار إليه السكرتير الصحفي بأن يلتقط المذياع، قال له بنفاذ صبر «قل له شيئاً ما. نحن طائرة مدنية»

تكلم الراديو مرة أخرى «أيها الطائرة جلف ستريم IV غير المعرفة نحن نتابع تحركاتك وأنت قد جئت من شمال مارمريس. أرجوك أن

تفصح عن وجهتك وحمولتك الحالية . حوِّل»

«يريدون أن يعرفوا من هو الموجود على الطائرة» قال الطيار . كان يحمل المذياع في يده .

«قل له إننا سواح من القطاع الخاص» حرضه دوغان .

«سامحني» تدخل مساعد الطيار «ولكن هذه العبارة لن تطير»

عبس كالين في وجه الرجل وهو يعض على شفته العليا «هل تدرك ما سيحدث إذا لم تهبط هذه الطائرة في إستنبول هذه الليلة؟»

«سامحني» قال مساعد الطيار «مزاح طاقم الطيارين»

«جلف ستريم IV» لاح الانزعاج في الصوت القادم على الراديو في هذه اللحظة

«نحن نسدد أجهزتنا على احداثياتك . ليكن لديك علم أن الإخفاق في الإجابة سوف يؤدي إلى أن نطلق النار على طائرتك . استجب . حوِّل»

تكلم إبراهيم كالين بصوت لا يكاد يعلو عن همسة ، الصوت الذي يتم سماعه على الأخبار كل يوم وقد تسلح بطبقة فولاذية من العاطفة النقية «إذا لم تحط هذه الطائرة وتكمل رحلتها ، ستقوم حرب أهلية» قال له «هل تعتقد أن الوضع في سورية سيء؟ دماء على الشوارع؟ ستنقسم تركيا كلها إلى قسمين . سنكون نحن أول من يموت فقط . أتمنى لو أستطيع أن أخبرك بشيء أفضل ، ولكن ليس هناك بديل . إذا سمحت لهؤلاء الرجال بالاستيلاء على السلطة هذه الليلة ، أو إذا لم تكتب لرئيسنا الحياة عبر هذه الليلة ، فإن تركيا ستتوقف عن الحياة كدولة كل شيء - **كل شيء** - سيذهب هباء . تماماً مثل جميع الدول الإسلامية التي كانت عظيمة فيما مضى . أقسم على

كل ما أعتبره عزيزاً بأن هذه هي الحقيقة . لن يكون أي شخص تحبه مستثنى»

تفهم الطيار هذه الكلمات ورأى صورة الدمار التي يرسمها مساعد الرئيس أمامه . رأى سنوات الشقاء والموت ، الصور التي نشأ وتعود على رؤيتها عبر العقد الأخير أو أكثر في أخبار المساء ، حينما كان بوسعه أن يجبر نفسه على مشاهدتها

ضغط على الزر ليتكلم بتصميم جديد «اعتذاراتنا ، المقاتلة واحد صفر أربعة . لقد كنا نتفحص خطة طيراننا ، لكن أمر عدم الطيران قد مسح جميع الأجهزة . لا شيء يخرج إلينا من الحاسوب . كان يفترض فينا أن نحمل هذه الحاشية إلى إزمير ، حيث يوجد مؤتمر أعمال . لكن مسؤولي التوجيه كلمونا بالراديو ليقولوا لنا ممنوع . لذلك نحن عائدون إلى المدينة . إن رئيس مجلس الإدارة يأمل في ترتيب عمل ما من هناك . هل سمعت ما هو الوضع؟ حوِّل»

«عودة إلى المدينة؟ أرجوك أفصح . تخبرنا قراءتنا أن مكان انطلاقكم في هذه الرحلة كان دالامان . أكرر ، أرجوك أخبرني ، حوِّل»

«ذلك صحيح ، أيها المقاتل واحد صفر أربعة . لقد كان مركز انطلاقنا الأصلي اليوم هو إستنبول فقد غادرنا قبل أن يذاع أمر منع الطيران مباشرة» .

«مفهوم يا جلف ستريم IV . على أية حال ، مطلوب مني أن أخبرك بأن الوضع في إستنبول سيء . لا تكمل وعد إلى آخر نقطة انطلاق لك . أرجوك أن تطبع تفاصيل خطة طيرانك ومكان تسجيلها سوف نتحقق من التفاصيل مع سيطرتنا . حوِّل»

تنحنح الطيار قبل أن يضغط على الزر ليرد «ذلك سلبي ، يا واحد صفر أربعة . نحن مضطرون إلى انتظار الاتصال من قبل مدير طيراننا قبل أن نتمكن من إيصال أي معلومات إلى هنا . نحن نطير بدون تعليمات حالياً . أرجوك أن تزودنا برقم هويتك وإحداثيات سيطرتك ، وسوف نرسلها إليهم مباشرة . حوّل»

حلَّ الصمت على الجهة الأخرى . تبادل الرجال الأربعة النظرات . مال الطيار إلى جهاز الراديو ، وقد لوى فمه في تكشيرة متوترة . حبس كل واحد فيهم أنفاسه

أدرك الطيار الفرصة السانحة وأراد أن يستغلها «هل تفهمني يا واحد صفر أربعة؟ أرجوك أن توفر لنا رقم سيطرتك وسوف نرسل خطة طيراننا الأصلية إلى قاعدتك»

أصبح بوسعه أن يشعر بإثارة وحماسة المستشارين خلفه ، بالإضافة إلى مساعد الطيار والملاح . «لا يريدان أن يخبرانا عن شخصيهما !» همس الملاّح .

بعد توقف آخر ، عاد صوت الطيار المقاتل أخيراً «ذلك ليس ضرورياً يا جلف ستريم أربعة . نعلمك أن إستنبول هي منطقة عدم طيران ، وأنك مضطر إلى التحول نحو موقع هبوط منفصل . حوّل»

ارتد الطيار في مقعده مع تنهيدة هائلة من الارتياح وألقى بعينيه إلى السماء . ابتسم بقية الرجال وسمحوا لأنفسهم بأن يتنفسوا بطريقة عادية للمرة الأولى من دقائق عديدة . حدث الأمر وكأنه قد أعيد ضخ الأوكسجين إلى داخل أنظمة قمرة القيادة . رفع الطيار يده ليسكتهم للمرة الأخيرة ثم بذل جهداً لإبقاء صوته معتدلاً وهو يقرب المذياع من فمه

«مفهوم يا واحد صفر أربعة نحن نتحول باتجاه خطة تحويلية فوراً حوِّل»

ابتعدت المقاتلتان عن الجلف ستريم وغادرتا المنطقة . استمرت الطائرة الرئاسية في طريقها إلى المدينة ، ولكنهم لم يسمحوا لأنفسهم بأن يفكروا أنهم قد وصلوا فعلاً إلى الأمان إلا عندما بدأت أنوار المدينة تظهر على الأفق الأزرق البعيد ، وملأ وهج الشمس الصاعدة السموات إلى الشرق من الطائرة .

في المطار الذي أصبح الآن خالياً من الجنود كلياً ويفيض بالآلاف من داعمي الحكومة ، ظهر الرئيس أردوغان لوهلة قصيرة أثناء نزوله من الطائرة ، حيث قامت الجموع التي تحدت الأخطار باسم بلادها بالهتاف له . تم اصطحابه بالسيارة للمسافة القصيرة نحو القاعة ، محاطاً بالجماهير الكثيفة إلى درجة أن السيارة مشت بسرعة الزحف . تمكن أخيراً من فتح الباب بصعوبة ، وبذل أفراد الحماية أقصى جهودهم لتشكيل درع حماية حوله لكن حماسة الجماهير كانت طاغية ، بحيث ظل الخطر عليه قائماً في هذا الموقف الذي يستحيل السيطرة عليه ، بكمية الخطر التي كانت قائمة في مارمريس بالنسبة لأعضاء وحدة حراسه الشخصيين ، الذين قدموا معه على الطائرة . ولكن ظهر الوضع بالنسبة للمراقبين وبالنسبة للرئيس نفسه ، أن الخطر قد انقضى .

جلس الرئيس خلف طاولة كبيرة في مؤتمر صحفي تم إعداده على عجل ، ليخاطب العاملين في الصحافة . كان محاطاً بكالين ودوغان ومستشارين آخرين . برزت خلفه صورة كبيرة لمصطفى كمال أتاتورك . أحيطت الصورة بعلمين تركيين مكويين إلى درجة الكمال من الجانبين .

بدأ بقوله «أيها الأصدقاء الأعزاء ، كما تعلمون فقد حصل عمل اليوم بشكل مؤسف داخل قواتنا المسلحة ، وكانت نتيجته أن أقلية ضمن قواتنا المسلحة استهدفت وحدة وسلامة بلادنا»

أثناء حديثه ، انهمكت القوات الموالية للحكومة في إلقاء القبض على القادة المأسورين في قاعدة التشيني التابعة لسلاح الجو ، بمن فيهم محمد ديشلي وفاتح شاهين ، اللذين ارتديا ملابس مدنية في هذه الآونة ، وظهرا بشكل سيء نتيجة الإرهاق ، إلى جانب عدد من مساعديهم ، وتم استعراضهم أمام كاميرات الأخبار المنتظرة وهم مكبلون بالأصفاد . أمر المنتجون في كل من CNN التركية وTRT المستعادة ، بأن تقسم الشاشة إلى قسمين ، الرئيس الراسخ الإيمان في جهة ، والوجوه التعيسة المهزومة للمتآمرين في الأخرى .

استطرد الرئيس «هذه المجموعة ، وكما قلت منذ وقت طويل ، ليست شيئاً مختلفاً عن تنظيم الدولة الموازية . هذا العمل الأخير هو عمل خياني وسوف يضطرون إلى دفع ثمن باهظ لقاءه»

رقد آيدين منكفئاً على وجهه فوق جسر البوسفور ، وايلكر إلى جانبه في مكان ما ، مثل بقية أفراد قوتهم الممددة ، وكلهم يحاولون أن يحموا أنفسهم من الضربات وعقد الأحزمة العائدة لانتقام الرعاع

منعت قوات الأمن في غرفة المؤتمر الصحفي المصورين الشديدي الحماسة من إطلاق مصابيح الفلاش بشكل قريب جداً من الطاولة ، رغم أن صوت أردوغان لم يتخافت للحظة ، ولم تكن هناك أي علامة على الليلة المحفوفة بالأخطار وعديمة النوم التي قضاها لتوه «سوف أقول في البداية إن هذه الحكومة قد جرى انتخابها من قبل الشعب ، وإنه يوجد رئيس قد جرى انتخابه من قبل الشعب» .

ذرعت ديميت الشوارع مطاطئة الرأس ، وقد ثبتت عينيها على الكلمات المرسلة إليها من قبل آيدين ، في رسالة نصية قبل أن يتم اعتقاله . قالت الرسالة

«أنا لست خائناً ، وسأظل أحبك إلى الأبد» .

رفع الرئيس يده ليؤكد على النقطة التالية «هم لا يستطيعون أن يتحملوا الحقيقة القائلة بأنني القائد العام والرئيس . لقد وضعنا أنفسنا في هذا المسار»

في مكتب رئيس الوزراء ، كان كل من بن علي يلدريم وهاكان فيدان يعبران عن فرحهما في الوقت نفسه بنجاة الرئيس ، وأنه تمت قيادة الدولة بعيداً عن الكارثة ، ولكنهما يؤكدان أنه ستطبق الإجراءات الضرورية ، ولن يظهر إلا القليل من اللين تجاه أولئك الذين لم يكتفوا بتعريض إخوتهم الأتراك للخطر بل قتلوا بعضهم .

قال الرئيس «هذا هو المسار الشرعي» .

في مقر قيادة الـMIT ، قاد ليڤانت الذي مازال يرتدي صدريته المضادة للرصاص ويحمل رشاشته بيده ، وقد ارتسمت خطوط المعركة على وجهه الذي طالما كان متحرراً من الهموم ، قاد صفاً من الجنود الذين كانوا قد هاجموا البناية في الليلة الماضية باتجاه صف من عربات الشرطة

وقفت ثلة من أفراد القوات الخاصة للحماية .

أبقى معظم السجناء رؤسهم مطأطئة وحاولوا أن لا يلفتوا الانتباه إلى شخوصهم .

على أية حال ، فقد استمر أحدهم في النظر إلى ليڤانت محاولاً أن يلفت نظره . في النهاية اقترب ليڤانت وسمح للرجل أن يقف بموازاته

فحّ الرجل «أنا أعرفك ، أنت ليفانت . أنت الشرطي الذي كان يعمل في نوادي التعرية . أنت علماني» .

دفعه ليفانت بماسورة سلاحه «استمر في الحركة»

«أنت ليفانت ، هل أنا محق؟»

نفد صبر ليفانت ، فرفع السلاح وصوبه في وسط وجه الرجل الوسخ . لم يحاول أي من الرجال الذين يحرسون السجناء أن يوقفه «وماذا إذا كنت كذلك؟»

«لماذا تعمل معهم؟ ينبغي أن تكون في صفنا . هل تذكر ما قاله أتاتورك؟ يجب على كل الخرافات أن تنتهي !»

أنزل ليفانت السلاح ووضع وجهه قريباً من وجه الجندي إلى درجة أنه أصبح بإمكانه أن يرى الخطوط الرمادية الرفيعة داخل زرقة بؤبؤي الرجل . «وقد قال كذلك إنه ما لم يكن مواطنو الأمة معرضين للخطر ، فإن الحرب هي جريمة قتل لا تحاول هذا الخراء معي . والآن اركب في العربة اللعينة»

رفع مقبض سلاحه ودفع بالرجل إلى الأمام .

استمر الرئيس في القول «هذا عمل سيكون إيجابياً في التحليل الأخير لأنه سوف يساعدنا في تنظيف قواتنا المسلحة»

عثرت القوات الخاصة على الجنرال خلوصي أكار في الغرفة التي وضع فيها في قاعدة التشيني الجوية ، يتعافى من محنته ، وساعدوه في القيام عن كرسيه والخروج إلى الساحة ، والتي كانت تغص في هذا الوقت بالموالين للحكومة والمواطنين العاديين الذين استغلوا الوضع ليدخلوا ويتجولوا ويراقبوا تطور الأحداث . وضع الجنرال في المقعد الخلفي لسيارة وتم أخذه إلى حيث يتلقى المعالجة

لم تذهب ديميت إلى البيت ، بل قطعت الطريق الطويلة مشياً إلى معسكرات إيدين في المدينة ، لتشق طريقها هناك من بين المحتجين ، إلى عائلات الرجال العاملين في ذلك المجمع ، الذين ينظرون بيأس إلى اللوحات الإعلانية الملصقة ذات الطراز القديم ، ليروا ما اذا كان أزواجهم وآباؤهم أو أشقاؤهم مسجلين ضمن المسجونين .

قرأت الصفائح الملصقة مرتين ، لم تشاهد أي إشارة إلى اسمه ، ثم استدارت وسارت مبتعدة خافضة رأسها لتتجنب التواصل أو التلامس مع أولئك الذين استمروا في الضغط إلى الأمام للدخول بعدها

استمرت في المطار ردود الفعل السارة لدى الرئيس تجاه المحاولة

«من دواعي الأسف أننا موجودون هنا تحت سقف مطار أتاتورك في إستنبول . قبل فترة قصيرة ، هاجم متشددو داعش هذا المكان وفقدنا العشرات من أبناء شعبنا في ذلك الهجوم الإرهابي . هل يمكنكم أن تتخيلوا أنه في هذا المطار بالذات كانت طائرات F16 تحلق في السموات فوقنا؟ لماذا؟»

لقد اشترينا هذه الـF16 لتحمي شعبنا وتحمي بلادنا من الأعداء هل يمكنكم أن تتخيلوا أنهم حالياً يطيرون فوق هذا المطار ويمنعون الطائرات المدنية من الهبوط والإقلاع ، ويهددون الرئيس في نهاية المطاف؟»

***

جلست آيلا وحدها في شقتها ، وقد أغلقت التلفاز لتستريح من إثارته ، في البقعة نفسها التي شغلتها طيلة الليلة الفائتة ، تحدق في الجدار . في الخارج ، كان هناك أناس يطلقون أبواق سياراتهم ، ينشدون الأغنيات والشعارات السياسية ، ولكن كل ما كانت تتمناه في ملجأها الصغير ، هو الصمت . اخترقته الرنة الوحيدة من الهاتف القابع إلى

جانبها . نظرت إليه ورفعته عن مسند الكنبة ، لم تجرؤ على تصديق الاسم حينما قرأته على الشاشة . ضغطت التنبيه لتتأكد ، ورأت الرسالة هناك : الكلمات الثلاث التي سترافقها لبقية حياتها وتؤنسها خلال أسوأ الليالي القادمة

أنا حي وبخير

من رقم أورهان . ضمت الهاتف إلى قلبها وبكت بلا سيطرة . جاء نشيجها عالياً إلى درجة أنها خافت أن يسمعها البواب أو الجيران . مسحت خديها وعينيها محاولة أن تجفف أنفها السائل ، حاولت أن تكتب رداً لكن أصابعها كانت ترتجف بحدة . لم تستطع أن تصدق فعلياً أنه قد تم تسليمه إليها ، وأنه سلم على اليد الإلهية إلا بعد أن وصل أورهان عند الباب بعد ساعات ، يلبس الحروق والكدمات التي تلقاها منذ أن تعرض لقنابل الصدع مباشرة ، احتضنته بقوة إلى درجة جعلته يئن . ومع ذلك لم تقبل أن تتركه . للمرة الأولى في تلك الليلة ، أديا الصلاة سوية ، قدم كلاهما الشكر والامتنان على ما نجيا منه في الأيام الماضية ، الاحتكاك بالموت الذي جعلهم أكثر وعياً من ذي قبل بالحياة التي لديهما والمقرر لهما أن يعيشاها أدركت آيلا أن الله سبحانه وتعالى سوف يهبهما طفلاً ، في الوقت الملائم ، وأصبحت في غاية الامتنان لتلك الحقيقة

***

تحولت الحدائق المحيطة بمركز قيادة جولباشي إلى أرض محترقة جافة ، بفعل الأدخنة والحرائق التي مازالت تتفاعل من آثار المعركة تولى القائد أكساكاللي ، زيكاي باشا ، بلباسه القتالي الكامل ، قيادة مجموعة من الضباط نحو خط من الجثث المغطاة على مسافة قصيرة

من مقدمة الفسحة ، تم وضع القتلى تحت أشجار الأرز المحترقة التي كانت في أوج تفتحها بفعل منتصف الصيف ، منحت أغصانها بعض الظلال للقتلى قبل أن يبدأوا رحلتهم الأخيرة إلى عائلاتهم .

انسحب الغطاء البلاستيك الذي يغطي الجثث إلى الوراء ليكشف عن وجه عمر خالص ديمير

ركع أكساكاللي إلى جانب جثمان الشاب وطبع شفتيه على جبينه . استند في جلسته واستمر يحدق في وجه الشاب ثم نهض ليغادر

«أنت منقذ تركيا» قال وهو يضع يده على صدر الشهيد .

لم تكن هناك حاجة إلى المزيد من الكلمات ، لا تأسي على الذين سقطوا ، لأن المعركة قد أحرزت الفوز ، وأولئك الذين مازالوا على قيد الحياة يعيشون مع فكرة واحدة لا غيرها ، وهي الاستمرار في حمل رسالة الذين ماتوا كان هناك قدر كبير من الخوف والصدمة على مدى الأمة كلها ، ولكن كان هناك الفخر والكبرياء والتحدي ؛ لأن العالم الجديد في طريق البداية على ما يبدو ، والماضي عبارة عن بقية ممزقة للأمس

كل ما حدث كان قد حدث في الماضي ولكن ليس على هذا القدر من الدراما المحطمة للأعصاب ، وحيث لن تتم رؤية أولئك الذين لم يعودوا موجودين .

«القوة للشعب»

لم تكن هناك عبارة أكثر ملاءمة منها كخاتمة في هذه القضية المتعلقة بمحاولة الانقلاب العسكري التركية يوم ١٥ تموز سنة ٢٠١٦

الشخصيات التاريخية
لمحاولة الانقلاب بتاريخ ١٥ تموز في تركيا

الشخصيات الحقيقية

الجنرال جوزيف ڤوتيل - جنرال أمريكي تابع للعمليات الخاصة والذي اتهمته الحكومة التركية بعلاقته في المحاولة . هو ينكر هذا ولكنه أكَّد بشكل موثق أنه كانت لديه صلات وثيقة بالعديد من قادة المحاولة الانقلابية

http://www.reuters.com/article/us-turkey-security-usa-votel-idUSKCN10925Y

سميح تيرزي - جنرال تركي أدى مقتله إلى إخفاق المخططين المناوئين للحكومة في الاستيلاء على قيادة القوات الخاصة ، وبذلك تنسيق هجماتهم عبر البلاد . قيادة موقع جولباشي كانت ستمنحهم القدرة على توظيف قوات أكثر بكثير مما توفر لهم .

إبراهيم كالين - السكرتير الصحفي والمستشار المقرب للرئيس أردوغان . في القصة ، ينحصر دوره في التصريح عن مجموعة الرئيس بينما كانت الأزمة دائرة .

فاتح شاهين - قائد تركي رافق سميح تيرزي إلى جولباشي في الليلة المصيرية . تجري محاكمته عن دوره حالياً . جرى التعامل مع قصته بقليل من التحوير الدرامي ، لأنه يبدو وكأنه غادر جولباشي بعد

وفاة تيرزي بقليل، ولم يبق ويخوض معركة من أجل الدخول كما تروي القصة

هاكان فيدان - رئيس دائرة المخابرات MIT . انتظر حصول توكيد في البداية عن إفادة طيار هليوكبتر خائن وصل إلى مقر قيادتهم يحمل أخباراً مفادها أن هناك أمراً غير ملائم يجري التخطيط له في تلك الليلة من قبل جناحه كذلك لعبت عملية استخدام MIT لمدفع الدوشكا المضادة للطائرات دوراً محورياً في إبعاد الطائرة التي هاجمت مقر قيادتهم وبعض المواقع الحساسة الأخرى .

جورخان سوغيزاتيش - قائد فريق المغاوير المرسل ليأسر (لتصفية؟) الرئيس أردوغان . أسلوب العملية دقيق . اختار سوغيزاتيش فريقه من رجال إما أنهم يحضرون مساقات تدريبية أو مجازون . ولم يكن أحد منهم قد عمل مع الآخر من قبل

أصبح فريق المغاوير خارج الاتصال بالراديو، يحتمل بسبب مقتل تيرزي، وهكذا فهم لم يكونوا يدركون أن وقت البداية للعمل قد تم تقديمه إلى الساعة العاشرة، بدلاً من ساعات صباح السبت الباكرة . في النهاية فإن الفريق قد هبط فعلاً في الفندق، بدلاً من ڤيللا أردوغان الفعلية المجاورة . تبدو معظم التقارير متأكدة من أن الرئيس كان قد غادر في هذا الوقت، ولكنه بقي في المنطقة، ما يعني أن التأخير في تفتيش الفندق كان نكسة محورية أخرى لنجاح الانقلاب، وربما هي الأكثر إضراراً .

خلوصي أكار - رئيس هيئة الأركان التركية . تم احتجازه من قبل المتآمرين وتعذيبه بحزام كما تقول القصة، في مسعى لإجباره على توقيع وثيقة دعم للانقلاب . تم تحريره من قبل القوات الحكومية صباح اليوم التالي .

عابدين أونال وزكي تشولاك . تم أسر الجنرالين كما تمت الرواية عند بداية الانقلاب ، بحيث تم أخذ أونال من حفل زفاف بطائرة مروحية مع تشولاك لدى وصوله في القيادة العامة ليكتشف ما يجري بالنسبة لخلوصي أكار . تم تأكيد روايته من خلال مقابلات شخصية

زيكاي أكساكاللي - التفاصيل المتعلقة بمحاولة أسر اللواء في القوات الخاصة غامضة في المصادر باللغة الإنجليزية . يبدو أن المتآمرين حاولوا القبض عليه أثناء مغادرته حفل زفاف مع زوجته ، لكنه تجنبهم ثم هرب بسيارة ، ما أدى إلى المطاردة الموصوفة . أصيبت زوجته بجراح في هذه المطاردة ، ولكن ربما ليس برصاصة طائشة كما روي بعد ذلك اتصل أكساكاللي مع مركز قيادة جولباشي وتكلم مع عمر خالص ديمير وحذره من وصول قوات ثائرة . شدد أكساكاللي على الضابط الشاب بأنه يجب أن لا يسمح للقوات المقتربة بدخول المبنى . تعتمد رواية الحادثة في القصة على مقابلات شخصية أجريت .

عمر خالص ديمير - الضابط الذي أطلق النار على سميح تيرزي في المدخل إلى مركز قيادة جولباشي (هناك ڤيديو أمني - تم سحبه من اليوتيوب لاحقاً)

https://www.youtube.com/watch?v=EMI0gB4ysxo

رئيس الوزراء بن علي يلدريم والمستشار جمال هاشمي

تيجين كاراس - TRT مذيعة أخبار قرأت تصريح المتآمرين . يبدو في الحياة الحقيقية أنها أخذت مع بقية الموظفين إلى غرفة أخرى ثم أعيدت إلى الاستديو ، ولكن هذا متروك للزمن .

اكين أوزتورك - القائد السابق لسلاح الجو التركي الذي اتهم

بكونه أحد القادة الرئيسيين الأولين لمحاولة الانقلاب، وقد تم استعراضه أمام الكاميرات في الأيام التالية بعد إلقاء القبض عليه في قاعدة التشيني لسلاح الجو. يبقى خاضعاً للمحاكمة.

جون كيري - وزير الخارجية الأمريكي الذي قدم تصريحاً غامضاً جداً ليلة المحاولة الانقلابية

هاندة فيرات - معدة برامج CNN التركية التي تكلمت مع الرئيس أردوغان بمخابرة فيس تايم في ليلة المحاولة الانقلابية

الشخصيات الخيالية

آيلا - مديرة تنفيذية صغيرة السن (أوائل الثلاثينيات). مخطوبة لتتزوج أورهان وتأمل في تأسيس عائلة لتصبح أما متفرغة. في السنوات الماضية، كانت متحررة جداً وربما ثائرة قليلاً. ولكن منذ بدء علاقتها بالشاب التقليدي الراسخ أورهان، فقد خف طيشها بطريقة ما

أورهان - خطيب آيلا (منتصف الثلاثينيات). عضو في الحرس الشخصي الرئاسي. رياضي ناجح على مستوى سنوات الجامعة العليا، ثم جندي استثنائي وضابط في القوات المسلحة. تلقى أورهان الكثير من المديح وأحرز نجاحات كثيرة في حياته كان لعلاقته بآيلا تأثير كبير عليه كما كان لها تأثير عليه، لأنه قابل للمرة الأولى أناساً من حلقتها الاجتماعية المدنية المتحررة، والعائلة التي لا تلتزم بآرائه في الأمور. هم ليسوا متأثرين كثيراً بإنجازاته الرياضية والعسكرية.

لقد أرغم على إعادة التفكير في العديد من القناعات السابقة نتيجة لذلك، وكذلك ليطوِّر مهارات اجتماعية لتتواءم مع الناس

الجدد . هو يقلق داخلياً ، بدون أن يظهر ذلك ، بأن فشلهما في الإتيان بطفل له علاقة به شخصياً

ديميت – صديقة أصغر سناً (أوائل العشرينات) من آيلا وخطيبة آيدين . تأمل في أن تقلد نجاح صديقتها الجديدة في العمل . هي ليست شخصاً متعمقاً في الدراسة ، لكنها جدية في العمل مع طموح . هي وآيدين غارقان في الحب ، لكنها لم تخبره بعد أنها حملت بطفله

آيدين – شاب انقطع عن الدراسة الجامعية ليكمل خدمته الوطنية في الجيش التركي . يحن إلى حياة الجامعة وينوي أن يعمل في تقنية المعلومات بعد أن يتخرج . هو يحب ديميت واستمتع بحياتهما المتحررة سوية قبل أن يلتحق بالجيش . يأمل في استئنافها بعد أن ينهي خدمته العسكرية

ليڤانت – عميل مخابرات تركي وشرطي سابق يمضي وقته على شوارع إستنبول يجمع معلومات حول أعمال جرمية ومؤامرات ضد الدولة . هو مثير للاهتمام لكونه لم يبدأ عمله بالانضمام إلى خدمات المخابرات ، ولكن مهاراته ومواهبه اكتشفت مبكراً حينما كان لا يزال في قوة الشرطة . هو الآن في أواخر عشرينيات عمره ، ويتمتع بثقة مدير عام MIT هاكان فيدان ، أحد أقوى الشخصيات في البلاد . الدافع الرئيس لدى ليڤانت هو أنه يستمتع بإثارة المطاردة ، ورغم أنه نزيه ومحترم ، إلا أنه أيضاً متبلد ومتحكم عند الضرورة

مسعود – أقرب زملاء أورهان في فصيل الحرس الشخصي . هو ليس بدرجة رصانة وجدية أورهان ، لكنه يمتلك قدرات استثنائية خاصة به تضمن له موقعه في حماية الرئيس

سياسية أمريكية غير مسماة - امرأة موصوفة في شكلها وطباعها بما يشبه هيلاري كلينتون . هي متميزة بانعدام وعيها وعدم قدرتها على التعلم من التاريخ بأن «تغيير نظام الحكم» المدعوم بالأجانب لا ينجح في العالم الحديث ، إذا كان قد نجح في الماضي أبداً

ينصب اهتمامها على إدامة السلطة والمكانة المتقدمة الأمريكية في الخارج ، ولكن فقط لأن هذا الأمر سينعكس إيجابا لصالحها في الانتخابات ويرضي فهمها الرجعي للسلطة

الهاويان السياسيان الأول والثاني - مستخدماها الشابان . تعلما في الجامعات العريقة ، هما عديما الأخلاق وليس لديهما اهتمام أبعد من إنجاح سيرهما العملية

ستيف - رجل السي آي ايه - مثل ليڤانت ، دافعه الأولي هو أنه يستمتع بطبيعة العمل الذي يؤديه . يستمتع بتصميم حوادث معقدة ويحركها ثم ينظر كيف تتحول . على أية حال فهو خلافاً للأمريكان الآخرين ، فقد أثر الوقت الذي أمضاه في الميدان بين الناس وسياسات حكومته تعني أن لديه فهماً أعمق بكثير لنتائج أعماله ، وحقيقة أن لها ألعاباً عقائدية بالنسبة للسياسيين . يظهر انعدام اليقين والشعور بالذنب في فقدانه الرغبة عندما يزور المناطق ذات العلاقة

آڤي رجل الموساد - صاحب تجربة للعديد من الصراعات على مدى الشرق الأوسط منذ ستينيات القرن العشرين . الهدف الأول لرجل الموساد هو الحفاظ على الدولة الإسرائيلية وتقدمها . عندما تظهر أمور تهدد الوضع القائم ، فيجب إزالتها بكل بساطة . وهكذا فهو مرتاح مع ضميره والعالم الذي يعيش فيه .

محلل شؤون الشرق الأوسط - مبنية على شخصية محلل قناة

سكاي نيوز تيم مارشال ، الذي قدم تحليلاً للانقلاب في الليلة المشار إليها

مقدم البرامج - مبنية على مقدم البرامج مارك لونجهرست في سكاي نيوز

مدير ومحرر قناة الأخبار - شخصيتان نشيطتان ، المدير أكثر تجربة بقليل وساخر ، المحرر أصغر سناً وأكثر مثالية . غايتهما الأولى هي التأكيد على الوضع غير المحدد في مراحل الانقلاب المبكرة وكذلك تحضير المقولات الافتتاحية ، لتوفير استعادة للأحداث المهمة في حياة الرئيس أردوغان .



NIGHT OF THE GENERALS

محي الدين قندور



قصة الانقلاب العسكري الفاشلة في تركيا
١٥ تموز ٢٠١٦

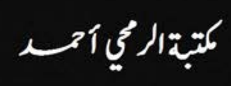
أصبحت قصة محاولة الانقلاب في تركيا (٢٠١٦) حادثة دولية مثيرة للاهتمام بسبب الأدلة الواضحة من الوكالات الحكومية الأجنبية المشاركة في العملية.
في البداية، ما بدا وكأنها عملية لبعض الجنرالات المنشقين، بغية إزالة أردوغان من منصبه، بدا في النهاية عملية قام بها فتح الله غولن، زعيم المعارضة الهارب في الولايات المتحدة.
ولم يكن الكيان الموازي للحكومة دون مساعدة. أثبتت أدلة التنصت من الفضاء (Cyberspace) مشاركة سرية من وكالة الاستخبارات الأمريكية في التخطيط لاضطراب دراماتيكي في البلاد.
أصبح الهدف تغيير النظام. وهي سياسة أمريكية تمارست في كثير من السنين في المنطقة - من تأسيس شاه إيران، لإطاحة صدام حسين وتدمير العراق، وتدمير معمر القذافي في ليبيا، ومؤخرا السياسة المفتوحة لإبعاد الرئيس السوري بشار الأسد.

كان ينبغي لتركيا، بوصفها عضوا في منظمة حلف شمال الأطلسي، أن تكون في مأمن من هذا المصير.

ولكن في انعكاس مذهل، أصبح السكان الأتراك في جميع مجتمعاته المتعددة الأعراق والاديان والأحزاب السياسية المعارضة، أمة واحدة للدفاع عن شرعية حكومة منتخبة ديمقراطيا. ورفضوا أن يكون التاريخ يعيد نفسه مرة أخرى مع دكتاتورية عسكرية، يدعمها ممولين أجانب، يسيطروا على أمتهم.
قد لا يكون أردوغان يملك الأمة كلها خلفه في صندوق الاقتراع. لكن قيادته أصبحت مصدر إلهام للعالم الإسلامي. تركيا كانت مثل سوريا قبل أردوغان. أصبحت مثل إسبانيا بعد أردوغان، وقد اظهر شجاعة وحكمة كبيرة خلال هذه الأزمة الخطرة.
في عالم أصبحت فيه الأخبار وهمية، والحقائق لها بدائل، حيث لا يوجد شيء كما يبدو والمؤامرات ومكافحتها عبر القارات اصبحت لمصالح سياسية، أضحي الشعب التركي وزعيمهم، الأبطال الحقيقين لهذه الدراما في ١٥ يوليو ٢٠١٦.








ISBN 978-614-419-871-1
9 786144 198711